محمد بن ناصر العبودي





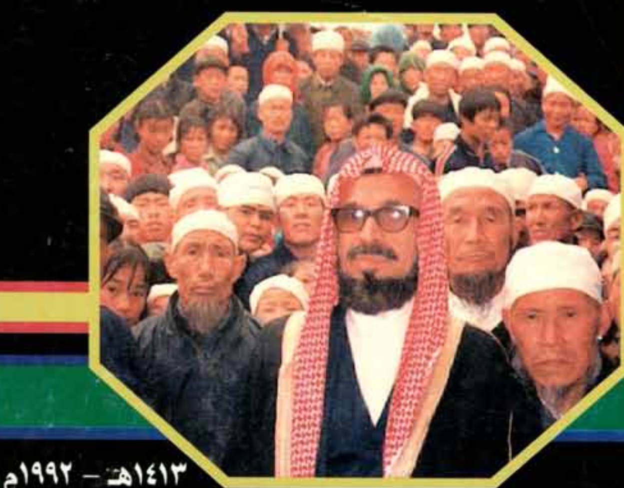
# داخل أسوار الصين

## رحلة وحديث في شئون المسلمين





الجزء الأول



١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الأولى

الأعمال الجرافيكية

**مطابع الفرزدق التجارية - الرياض**

تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

الإخراج الفني

**علاء درديري**

بسم الله الرحمن الرحيم



# مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا محمد رسول الله الذي طبقت دعوته الخافقين حتى اهتدى بها قوم لم يعرفوا من قومه العرب أحداً ، ولم يروا من بلاد العرب بلداً ، فصاروا الأدنين قلوبًا . وإن كانوا الأبعدين دياراً ودروبًا - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله أهل الهدى، وأصحابه مصابيح الدجى الذين بلغوا رسالته، ونشروا دعوته باللسان والسنان، فعلا على الأديان في أكثر بلاد الحضارة التي عرفها الإنسان، في تلك الأزمان.

حتى وصلت دعوتهم ودعوة من اتبعهم بإحسان إلى بلاد الصين، بل ما وراء بلاد الصين من بلاد المغول ومن حاذاهم أو بعدعنهم من أهل سيبريا ، ومن كان غربًا عنهم من أهل بشكيريا ، الذين تقرب بلادهم من بلاد القطب الشمالي بلاد الظلمات في الشتاء الشات.

أما بعد:

فإنني كنت سمعت والدي أكثر من مرة يقول لي وأنا طفل: ياابني بلاد الله واسعة، الناس يقولون إن الصين ربع الدنيا ، وسمعنا المثل يقول: (اللي ماشاف فاس ومكناس، ماشاف ناس). ثم يعلق على ذلك قائلاً :- هذا قولهم ونحن لم نر أحداً ذهب للصين، ولا رأينا ناسًا راحوا لفاس ومكناس.

وكنت أستمع إلى هذا الحديث منه الذي يعلق فيه على هذين القولين الذين كانا من أغرب الغرائب بل من أعجب العجائب في ذلك الزمان الذي كان يتردد على أذهان العامة وأهل بلادنا فيه المثل العامي، (أبعد من مصر)، فمصر عندهم كان يضرب بها المثل في البعد.

ناهيك بما هو أبعد منها مما لا يعرفونه إلا بالسماع وقد ينكره بعضهم كما سمعت بأذني بعض الطاعنين في السن وهو يقول عند نشوب الحرب العالمية الثانية: الناس كثروا علينا يقولون: لندن وباريس وبرلين إنها ديار كبيرة وأنا ما أقدر أقول إن هذا الكلام صحيح لأننا ما رأينا أحداً جاء منها ولا شفنا أحداً شاف الذين جاؤا منها.

ولذلك كان لكلام والدي -رحمه الله- وقع عظيم في نفسي في ذلك الوقت، وبخاصة أن الصين ربع الدنيا يعني أنها تعادل من حيث السكان أو المساحة ربع الأرض.

ومع أن موضوع السكان صحيح وأن موضوع معادلتها لربع المساحة الأرضية غير صحيح فإن العامة في ذلك الوقت لم يكونوا يقيمون وزنًا للأرض لأنهم لم يكونوا يحيطون بالأهمية العظيمة لها وإنما كانوا يعتبرون الإنسان هو المقياس في كل شيء.

ومضى بي الزمن فطلبت العلم وقرأت الكتب وكان فيها من تعظيم شأن الصين في سعة أرضها وحضارتها المتميزة ماحبب إليَّ زيارتها وحفزني إلى التطلع إلى رؤيتها.

وشاء الله سبحانه وهو اللطيف الخبير أن يكون عملي في مجال يطلب فيه مني أن أكون ملمًا بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كله إذ شغلت وظيفة

(الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة) وقد أنشئت لتعليم أبناء المسلمين من خارج المملكة العربية السعودية وذلك على هيئة تقديم منح دراسية للمسلمين في أنحاء العالم.

وكان لابد لإدارة الجامعة أن تحصل على معلومات كافية عن أوضاع المسلمين الذين ستقدم إليهم المنح وكانت وظيفتي هي الوظيفة الثانية في الجامعة عدة سنين.

لذلك سافرت في أولى الجولات الواسعة إلى عدد من الأقطار الإفريقية وكانت أولى السفرات في عام ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

وقد أصدرت كتابي الأول في الرحلات - في إفريقية الخضراء - وتوالت بعده كتبي في الرحلات ثم تتالت أسفاري في أنحاء العالم ومنها الصين الوطنية التي هي جزيرة تايوان. وكنت في سفري إليها مدفوعًا بالشوق للسفر إلى الصين ورؤية ماتتميز به عن غيرها.

إلا أن جزيرة (تايوان) أو (فرموزا) كما سماها البرتغاليون لا تمثل البر الصيني العظيم وإنما تمثل طائفة صغيرة من أبناء شعبه.

حتى بدأت الصين الشعبية سياسة انفتاح نسبي على العالم الخارجي بعد أن تخلصت من نفوذ عصابة الأربعة الذين سيأتي الكلام عليهم وهم الذين كانوا ينفذون سياسة ما سمي بالثورة الثقافية التي كان من أهدافها القضاء على كل شئ قائم في سبيل تعميق الشيوعية في البلاد.

وكان من ذلك الانفتاح النسبي السماح بدخول بعض الكتب الدينية وتخفيف القبضة الشيوعية على المسلمين بحيث أعيدت إليهم بعض مساجدهم التي كانت قد صودرت منهم، وسمح لطائفة منهم بالحج باسم الجمعية الإسلامية الصينية، وسمح لهم بإجراء الاتصال مع المؤسسات الإسلامية في الخارج.

وكان لابد من مقابلة هذا الانفتاح الجديد بالتجاوب معه والعمل على الاتصال بالإخوة المسلمين في الصين ومساعدتهم في شئون دينهم.

ومن ذلك أن رحبت رابطة العالم الإسلامي بالحجاج الصينيين واستضافتهم في مكة المكرمة أثناء موسم الحج، وتباحثت معهم في التعاون على ما فيه المصلحة الإسلامية العامة.

فكان أن طلبت الجمعية الإسلامية الصينية أن ترسل الرابطة وفداً إسلامياً إلى الصين الشعبية.

واختارت الرابطة أن أكون رئيس الوفد الأول المؤلف من سبعة أشخاص وذلك قبل أن تستشيرني لأنني كنت مسافراً وقتها في مهمة طويلة خارج المملكة. ولكني وافقت من حيث المبدأ بعد أن أبلغت بذلك.

وعقدنا اجتماعًا تمهيديًا في الرابطة مع أعضاء الوفد والمسئولين في الرابطة لتنظيم خطة السير والعمل في الصين، وأبلغت الرابطة الجمعية الصينية بأسماء رئيس الوفد وأعضائه.

وكنت عائداً لتوي من رحلة طويلة في أمريكا الجنوبية يحتاج العمل الذي أقوم به إلى وجودي في مكتبي لإنجاز بعض الأعمال التي تكون قد تأخرت وأخشى ألا أستطيع تركها والسفر إلى الصين في ذلك الموعد بالذات.

وكنت أعمل آنذاك في وظيفة (الأمين العام للدعوة الإسلامية) وأمين الهيئة العليا وهي هيئة مؤلفة من خمسة وزراء يرأسهم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران.

فرأت الهيئة أن العمل يقتضي وجودي في مكتبي في هذه الفترة وكتبت لرابطة العالم الإسلامي بعدم سفري للصين.

إلا أن الرابطة قد أخبرت الجمعية الصينية باسمي وحتى برقم جواز سفري فعاودت الاستئذان فلم يتيسر ذلك وكان أن عينت الرابطة أحد أعضاء الوفد رئيسًا بدلاً مني وهو صاحب المعالي الشيخ / أحمد صلاح جمجوم وزير التجارة السابق.

وسافر الوفد بالفعل في شهر رجب من عام ١٤٠١هـ ولم تتحقق أمنية قديمة لي في زيارة الصين والتجول في أنحائها رغم تعييني على رأس هذا الوفد من قبل الرابطة ومضى ما يقرب من السنين الثلاث على زيارة الوفد الأول للصين الشيوعية.

وتوليت أثناء ذلك العمل في رابطة العالم الإسلامي أمينًا عامًا مساعداً وأمينًا عامًا بالنيابة بعد وفاة أمينها العام الشيخ/ محمد الحركان - رحمه الله - في رمضان من عام ١٤٠٣هـ.

وكان وفد الجمعية الإسلامية في الصين الشعبية للحج في تلك السنة أكبر وفد قدم منها للحج من قبل إذْ بلغ عدد أعضائه ثمانية وعشرين حاجًا فاستضفناهم في الرابطة طيلة موسم الحج جريًا على عادة متبعة وعقدنا معهم اجتماعات تباحثنا خلالها في الشئون الإسلامية العامة وفي شئون المسلمين في الصين الشعبية بصفة خاصة.

وقدموا إليّ دعوة رسمية لزيارة الصين الشعبية والاطلاع على أحوال المسلمين فيها وأن أكون ومن يرافقونني ضيوفًا على الجمعية الإسلامية الصينية مدة بقائنا فيها.

وقد وعدناهم بالنظر في الاستجابة لتلك الدعوة.

**الأمنية تتحقق:**

وصح العزم على زيارة الصين وتألف الوفد الثاني لرابطة العالم الإسلامي من ستة أشخاص وكنت رئيسه.

وتقرر أن تكون هذه الرحلة للصين الشعبية طويلة نسبيًا إذ ستستغرق شهراً ولكن الرحلات الطويلة إلى بلاد بعيدة أصبحت عملاً مألوفًا لي وبخاصة الرحلات إلى الأماكن القصية. وذلك بعد أن زرت القارات الست كلها وتجولت في أنحائها إلى جانب الجزر الأخرى التي لا تعتبر داخلة في أية قارة منها. مثل جزر المحيط الهادي، وجزر البحر الزنجي الذي أصبح يعرف الأن بالمحيط الهندي وجزر البحر الكاريبي بين الأمريكتين الشمالية، والجنوبية.

إلا أنني وأنا أتأهب للسفر خارجًا من بيتي في الرياض إلى مطار الملك خالد الدولي ومعي ابناي المهندس ناصر والاقتصادي خالد كنت أعود بذاكرتي إلى عهد الطفولة فأتمنى أمنية الطفل الصغير الذي يتمنى ما يعرف أنه لن يتحقق وهي أن يكون والدي حيًا في هذه الساعة ليرى ابنيّ وهما يودعانني إلى الصين في هذا المطار الدولي الفاخر في الرياض الذي يماثل بل يفوق أفخر المطارات في العالم الغني المتمدين، بل المتقدم في المدنية والحضارة، ويراني وأنا أسافر إلى الصين.

وكنت أعجب أيضًا من تيسر الرحلة إلى الصين على رأس وفد رسمي بدعوة من مؤسسة إسلامية رسمية في تلك البلاد. لغرض التجول فيها على ضيافة السلطات الرسمية الصينية.

فلم يكن الخيال الجامح يصل بي إلى حد التصور لهذا الأمر من قبل، وإن كان لا يزال يرن في ذاكرتي قول والدي الذي مضى على سماعي له لأول مرة أكثر من خمسين سنة:

« إن الصين - ياولدي - ربع الدنيا ولكننا لم نر من زارها ولا من رأى من زارها ، فملك الله واسع، وخلقه كثير، لا يحصيه إلا هو سبحانه وتعالى ».

**هذا الكتاب:**

في الصين فعلت ماكنت أفعله في أكثر رحلاتي وهو كتابة مذكرات يومية تتضمن المشاهدات والأحاديث التي سمعتها في الصين، وفي بعض الأحيان تتضمن التعليقات أيضًا.

وقد اجتمعت هذه المذكرات حتى ألفت هذا الكتاب، الذي هو في الواقع قليل من كثيرينبغي أن يكتب عن الصين، وإنما هو على قدر ما سمح به الوقت والحال بالنسبة إلى رئيس وفد رسمي إلى دولة شيوعية تحيط ضيوفها في العادة بمراسيم ظاهرها التكريم والتنظيم وباطنها إرادة التسليم بأنه ليس من الضروري للضيف أن يكون عليمًا بكل ما يريد أن يكون عليمًا به من أحوال مضيفيه.

ومع ذلك فإننا تلقينا من حسن الاستقبال وكرم الضيافة في الصين ما أوجب أن نكون له من الشاكرين الذاكرين وإذا كان فيه شيء من الإنتقاد لبعض مارأيناه في تلك البلاد ، فانه ليس إنتقادا للشعب الصيني العريق، وإنما هو انتقادا للإدارة المحلية الشيوعية مما هو مدون في هذا الكتاب. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

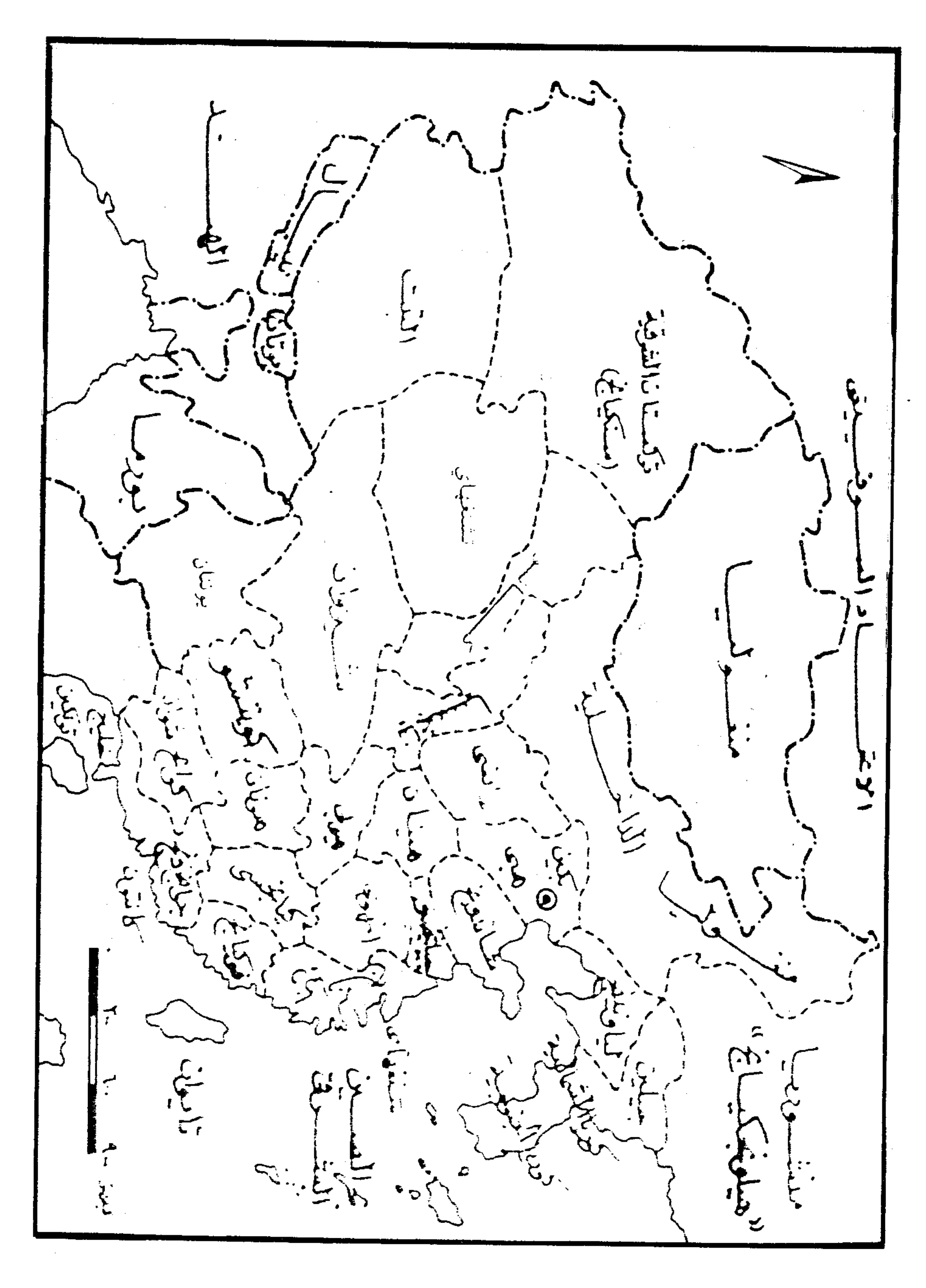
المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



# أحوال الصين





خريطة الصين



اعتدت أن أكتب في مقدمة مؤلفاتي في الرحلات معلومات مختصرة عن أحوال البلاد التي أكتب عنها تتضمن معلومات عامة مما يهم القارئ معرفته كما تتضمن معلومات أكثر تفصيلاً عن أحوال المسلمين فيها، إضافة إلى ما أكتبه من مشاهدات وما أسجله من أحاديث عن أحوال المسلمين خلال الكلام في يوميات الرحلة.

ولذلك رأيت تقديم بعض المعلومات عن بلاد الصين العظيمة بهذه الأوراق التي لا تفي بعشر معشار ما ينبغي أن يكتب عنها مما يلزم أن يعرفه القارئ المستوعب لما تحسن معرفته عن بلاد الصين كلها.

ذلك بأنها بلاد متسعة النواحي، مترامية الأطراف لا يمكن لمثلي أن يراها كلها أو يلم بجميع أحوالها خلال سفرة واحدة.

على أنني أشعر بأن ما كتبته - على قصره النسبي - هو أطول مما يريد القارئ غير الدارس أن يجده في كتاب رحلة يتوقع أن يجد فيه الكلام عن المشاهدات والاستنتاجات المتعلقة بتلك المشاهدات.

**نظرة خاطفة إلى الأوضاع العامة عند زيارة وفد الرابطة:**

إن جمهورية الصين الشعبية التي تعد أكبر دولة بشرية في العالم بعدد سكانها البالغ ألف مليون و٣٧ مليون نسمة وهي ثالث دولة في العالم من حيث المساحة إذْ تبلغ مساحتها ٩,٦ مليون كيلو متر مربع، وليس أكبر منها في المساحة إلا الاتحاد السوفييتي وكندا تعيش فترة الانفتاح النسبي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ اجتماع الجمعية العامة الثالثة لمؤتمر الحزب الشيوعي الحادي عشر الذي عقد في ديسمبر عام ١٩٧٨م تحت قيادة دونغ شاوينغ الرجل الأول في القيادة الصينية الحالية وذلك لإزالة آثار المنهج السياسي المتطرف الذي اتبعه ماوتسي تونغ وعصابته الأربعة خلال ما سمي بالثورة الثقافية في الصين، وأدى إلى التخلف الحضاري والتدهور الاقتصادي اللذين يعيشهما الشعب الصيني، بالمقارنة إلى الشعوب المجاورة.

ورأت الحكومة الحالية معالجتها بتخفيف الضغط الاستبدادي وإجراء بعض التعديلات في السياسة العامة لإنقاذ الشعب من الانحطاط الاقتصادي والحضاري اللذين عاناهما وذلك عن طريق نقل التكنولوجيا المتطورة عن الدول الغربية وجذب الاستثمار الأجنبي وتنشيط التجارة الخارجية وإحياء ثقة الشعب بالسلطة الحاكمة التي قاسى منها أنواعا شتى من العنف السياسي والتقشف المادي.

وقد قالوا في سياسة الانفتاح هذه بأنها ازدهار اقتصادي في الداخل وسياسة مفتوحة في الخارج ولم تكن بالطبع هذه التغييرات والانفراج السياسي يؤديان إلى إبعاد الحكم عن المنهج الشيوعي، بل هي وسيلة لمعالجة الأخطاء والانتكاسات الناجمة عن فشل النظام الشيوعي الماركسي المتزمت في تحقيق التقدم الحضاري والرفاهية للمجتمع الصيني.

وانطلاقًا من هذه السياسة الجديدة تحاول الحكومة الصينية ترك الاعتماد على أسلوب الانتاج الجماعي وتشجيع الانتاج الفردي بأسلوب صحيح إذ كلفت الجماعة أو الفرد أن يقدم كمية محدودة من الانتاج إلى الجهة الحكومية المختصة، أما بقية الإنتاج فيعود العائد منه مباشرة إلى المنتج.

فمثلاً منحت الحكومة لبعض الأفراد قطعًا من الأراضي الزراعية لا تزيد على فدان واحد وفرضت على المزارع تقديم ٣٠٪ من إنتاج الأرض إلى الحكومة وأجازت له أن يتصرف ببقية الإنتاج بالبيع إلى الحكومة أو للأفراد الآخرين.

كما سمحت لأصحاب بعض المهن والحرف اليدوية بمزاولة أعمالهم بشرط تقديم ٢٥٪ من الدخول ضريبة إلى الحكومة وكذلك البيع والشراء في السلع الاستهلاكية يوجد بنفس الطريقة على نطاق محدود.

أما الملكيات فلا تزال محدودة فالأراضي هي ملك الدولة تسحبها ممن لا يحسن استغلالها، وتمنحها إلى من يقوم بذلك. ولا يمكن للفرد أن يتصرف بها بالبيع أو الشراء أو التنازل عنها لأحد سواها.

والمساكن الشعبية المحدودة هي ملك للافراد المقيمين فيها ولكن العمارات ذات الأدوار المتعددة تتبع الدولة التي تؤجرها للافراد بحساب الغرفة للأسرة الواحدة بأجور زهيدة.

كما أن السيارات والشاحنات وغير ذلك من الآلات الميكانيكية هي ملك الدولة يستأجرها الفرد من الدولة لقضاء حاجته، أما المصانع بجميع أحجامها وأنواعها فهي ملك الدولة ويديرها الموظفون والعمال بالأجر الشهري، ولا يزيد راتب العامل العادي على خمسين يوانا في الشهر وراتب الموظف المتوسط هو مائة يوان وسلم الرواتب يبدأ من خمسين يوانًا إلى ثلاثمائة يوان في الشهر واليوان يساوي ريالاً سعوديًا.

والمعيشة اليومية بالنسبة إلى الراتب الشهري غالية جداً إذ أن قيمة(٥٠٠غرام) من اللحم هو يوانان ولكن الحكومة تقدم لموظفيها سلعًا رخيصة محدودة بموجب بطاقات خاصة، كما أن أغلبية الموظفين يتناولون طعامهم في المطاعم الحكومية بموجب البطاقة والاشتراك الشهري المخفض والسلع الاستهلاكية المخفضة من متاجر الدولة بنفس البطاقة، ويستعمل عامة الصينيين الأوتوبيسات في تنقلاتهم، كما ينتقل ذوو الدخول المتوسطة على الدراجات الهوائية المعتادة ولا يزال الإنسان يجر بعض عربات النقل بنفسه بدلا من الدواب في الأرياف أو الأحياء الشعبية حتى الآن.

وحينما شاهدنا آثار السياسة الشيوعية الصينية قلنا فيما بيننا إننا نتمنى أن كل من كان يغتر بالشيوعية تتاح له فرصة زيارة الصين الشعبية ليرى ما صنعته الشيوعية بهذه البلاد العريقة من افتقار وإذلال وإهدار للقدرات وتعطيل للمهارات ولم تحقق الشيوعية إلا ما جاء في المثل العربي القديم ( منع الجميع، أرضى للجميع).

وتطبق الحكومة الشيوعية قانون الطفل الواحد لكل أسرة بصفة صارمة على الصينيين بكافة وسائل الضغوط الاقتصادية والمعنوية، ومكافأة الأسرة التي تلتزم بعدم الإنجاب ثانية بمنحها العلاوات والأجازات من يومين إلى ١٥ يومًا وتأمين الدراسة للطفل الوحيد وإعطائه الأولوية لدخول الجامعة أو المصنع مستقبلاً، علاوة على منحة يحصل عليها أبواه إلى أن يبلغ الرابعة عشرة من العمر ومقدارها خمسة يوان في الشهر أي ما يعادل أجرة يومي عمل، لكن المصيبة الكبرى تحل بالأسرة الملتزمة بعدم الإنجاب إذا حملت الأم ورفضت الإجهاض فعليها أن تسدد مبلغ (منحة الطفل الوحيد) التي حصلت عليها طيلة السنوات السابقة للحمل الثاني الأمر الذي يتعذر على العمال والفلاحين الفقراء الذين لا يبقى لهم خيار آخر.

كما يحرم الطفل الثاني من جميع حقوق المواطنة في التعليم والعمل وغيرهما.

وهذه المأساة تتجلى في الريف خاصة، فالفلاح الذي يصر على الرغبة في إنجاب ابن قد يعمد إلى قتل مواليده من البنات إلى أن يولد له ابن ذكر وعملية الوأد تتم بالخنق عقب الولادة أو الإغراق في الأنهار، وهذا أمر سمعنا به وإن لم نره ولم نتحقق منه بأنفسنا.

ولم تطبق الحكومة الصينية قانون الطفل الواحد لكل أسرة على أفراد الأقليات القومية ومنهم المسلمون تطبيقًا عمليا إلا أنها تستخدم ضغوطًا معنوية ومادية عليهم في سبيل تحديد النسل وذلك بتحقير الأسرة التي تنجب أطفالاً كثيرين علنًا وتضييق فرص التعليم والعمل لأولادهم، وهذا من أسباب البطالة والجهل بين المسلمين لأنها عقوبة لهم لارتفاع نسبة الإنجاب بينهم.

والواقع أن فرص التعليم الجامعي والعمل الحكومي في المجتمع الصيني الحالي لأبناء الطبقة الحاكمة وزعماء الحزب الشيوعي والمقربين لهم بالدرجة الأولى.

## الحرية الدينية والمسلمون:

الحرية الدينية أو بالأصح سياسة التسامح الديني التي تعتبر أحد أوجه سياسة الانفتاح الصيني الحديث، هي حرية نسبية مثل الحريات الفردية الأخرى فالفرد حر في أن يمارس شعائر دينه التي تقتصر على الناحية الفردية المعتادة مادامت هذه الممارسة لا تتعارض مع سياسة الدولة، مثل الصلاة في المساجد والجوامع التي أعيد افتتاحها للمسلمين منذ بضعة أعوام بعد سنوات طويلة من الإغلاق والتهجير، وتمكن المسلمون من ترميم وإصلاح بعض المساجد التي عبثت بها أيادي التخريب والتدمير خلال الثورة الثقافية.

كما أعادت بعثات الحج سيرتها الأولى منذ عام ١٩٧٩م، وعادت العلاقات والزيارات الإسلامية بين مسلمي الصين ممثلة في الجمعية الإسلامية الصينية ومختلف الهيئات الإسلامية على النطاق الرسمي، وظهرت المصاحف والكتب الإسلامية إلى التداول بعد أن كانت معدومة نتيجة مصادرتها من أيادي المسلمين وإتلافها بالحرق أثناء الثورة الثقافية.

وهذا التسامح الديني الحديث الذي تنتهجه الحكومة يستهدف غايات عدة منها:

١- الحرية الدينية تساعد على تجميع القوى الوطنية حول برنامج تطوير البلاد وتحقيق سياسة التحديث الأربعة وهي تحديث الصناعة وتحديث الزراعة وتحديث الجيش واستعمال التكنولوجيا الحديثة في سبيل الوصول بالصين إلى دولة حديثة قوية مع نهاية القرن العشرين كما يقولون.

٢- أن المد الإسلامي المتعاظم الآن في أنحاء كثيرة من العالم كان لابد أن يقابل من جانب أي دولة لها مصالح مع المسلمين بقدر متكافئ من الاهتمام وخاصة عندما يكون مسرح هذا المد الإسلامي هو مناطق البترول والطاقة، بالإضافة إلى أنها أسواق هامة للمنتجات الصينية، علاوة على أسواق العالم الإسلامي الذي يتزايد احتياجه إلى المنتجات لضآلة التصنيع فيه.

٣- مقاومة المد السوفييتي الذي لا يزال يسلك مسلكًا عدائيًا نحو الدين، فقد كان الغزو السوفييتي لأفغانستان في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩م بمثابة نقطة تحول في السياسة الصينية عن سياسة الاتحاد السوفييتي في اتجاه مجاملة المسلمين لأجل أن تظهر أمام الجميع بأن السوفييت هم المعتدون على الإسلام والمسلمين، بينما يقف الصينيون في المربع المعاون والداعم للإسلام

والمسلمين وهذا يفسر دعوة الجمعية الإسلامية الصينية في مؤتمرها الرابع عام ١٩٨٠م، المسلمين إلى الجهاد ضد الغزو السوفييتي وتأييد نضال المجاهدين.

٤- حماية الأقليات الإسلامية في الصين الشعبية التي طالما هددت الحكم الشيوعي بالثورات وبخاصة مسلمي سينكيانغ (تركستان الشرقية) التي تمتد على الحدود المتاخمة مع الاتحاد السوفييتي من الدعاية الأجنبية، والتسلل الروسي إليها بمنحهم مزيداً من الحرية الدينية التي لا تتوفر لإخوانهم المجاورين في تركستان الغربية التي يحتلها الاتحاد السوفييتي وتكوين جبهة محلية ضد الاستفزازات الروسية وخاصة أن هذه المنطقة كانت ولا تزال محل نزاع بين الدولتين الكبيرتين.

٥- بالإضافة إلى عوامل المصلحة ومهاجمة السوفييت فإن هناك مناخًا يسوده الانفراج النسبي منذ عام ١٩٧٨م، أي منذ سحق عصابة الأربعة وتولي القيادة الجديدة زمام السلطة وهذا المناخ استفادت منه أطراف كثيرة، ومنها أصحاب الأديان بوجه عام، وهم الذين أصابهم الكثير من العنت والاضطهاد طوال سنوات الثورة الثقافية التي دامت أكثر من عشرة أعوام.

ويقول بعض المتفائلين بأن المجتمع الصيني الذي عانى من التعذيب والإرهاب على يدي غلاة المبادئ الشيوعية التي جلبت كثيراً من الدمار والخراب بدأ الآن يتطلع إلى الإيمان والدين بحثًا عن الغذاء الروحي الذي يبعث فيه الاطمئنان والراحة النفسية.

ومع أن دستور جمهورية الصين الشعبية في جميع مراحل تعديله وتنقيحه وحتى في عهد جنون الثورة الثقافية كان يؤكد على الحرية الدينية تمامًا مثل دساتير بقية الدول الشيوعية الأخرى التي تسود صفحات دستورها بذلك إلا أن

الدستور الجديد الذي أقره مجلس الشعب الصيني في دورته الخامسة المنعقدة في الرابع من ديسمبر ١٩٨٢م، يحتوي على المواد الواضحة التالية:

**المادة ٣٦:**

مواطنو جمهورية الصين الشعبية يتمتعون بحرية الاعتقاد الديني ولا يحق لأية هيئة حكومية أو مؤسسة شعبية أو لأي فرد أن يضغط على المواطنين في سبيل الاعتقاد بدين أو الإنكار لأي دين. والحكومة تحمي النشاطات الدينية العادية، ولا يجوز لأي أحد أن يستخدم الدين في نشاطات تؤدي إلى إزعاج النظام العام أوالإضرار بصحة المواطنين أو التدخل في النشاط التعليمي الحكومي. والهيئات الدينية لا تخضع مطلقًا لاية سيطرة أو تدخل أجنبي.

**المادة ٢٤:**

تعمل الدولة على بناء الثقافة الروحية الاشتراكية من خلال نشر التعليم في المثاليات والاخلاق والتعليم العام والأدب والنظام، كما تعلم الحكومة الناس الوطنية والجماعية والعالمية والشيوعية والجدلية التاريخية والمادية، وتحارب الرأسمالية والإقطاعية وغيرها من الأفكار الضارة.

ومع أن هذه المادة الأخيرة تشير إلى إمكانية التعليم الديني بما تعكسه كلمة الروحية من معنى، وهي كلمة نادرة في المجتمع الماركسي، لكن هذه الإمكانية تتلاشى مع الفقرة الموجودة في المادة (٣٦) التي تقول: «بعدم التدخل في النشاط التعليمي الحكومي» وهو تقييد لحرية المؤمنين في التبشير بدينهم أو الدعوة اليه على نطاق واسع، وسينظر إليها على أنها تحريض على أعمال التخريب ونشاط غير مشروع ضد الثورة تحت ستار الدين.

وفي الوقت الحاضر لا تجيز السلطات الحكومية رسميًا تلقين الشباب القاصرين تعاليم الدين وتمنع في الأغلب ذهابهم إلى المساجد قبل سن ١٨ سنة

وما يتم رسميًا في معهد الدراسات الإسلامية في بكين أو إرسال لبعض الطلاب المسلمين إلى بعض الجامعات الإسلامية مثل الأزهر هو من أجل إعداد الكفايات البشرية اللازمة للأعمال الإدارية والدينية في المجتمعات الإسلامية مثل أئمة المساجد الذين يسمح بإقامة دورات تعليمية لهم، ولذا لا يزال التعليم الإسلامي وتحفيظ القرآن الكريم في تلك المجتمعات الإسلامية يتمان خفية وبعيداً عن أنظار السلطات الشيوعية وبحذر تام، كما أكده الحجاج القادمون من (سينكيانغ) التي كانت تسمى تركستان الشرقية في القديم، علاوة على أن تغاضي الحكومة عن بعض التصرفات الإسلامية الفردية لا يعنى شرعية التعليم الإسلامي وإجازته بل تحتفظ الدولة بحق المعاقبة نظامًا بدعوى إفساد عقول الشبيبة وتخريب التعليم الحكومي الشيوعي.

كما أن قانون الأحوال المدنية المعمول به في جميع أنحاء الصين لا يراعى في تطبيقه على المسلمين إطلاقًا الأحكام الإسلامية بل يمنع تدخل الدين في جميع العلاقات الاجتماعية والعائلية ومنها أحكام الإرث ومراسم الزواج التي تعطي الحق لأي فرد بالزواج من أي فتاة تعتنق أية ديانة بدون قيود.

ورغم سياسة الانفتاح وإشارة الدستور إلى الحرية الدينية لأفراد الشعب فإن الجهات التي تشرف على النشاط الديني لا تزال أجهزة حكومية، وهناك ثلاث إدارات رسمية تشرف على المسلمين ونشاطهم وتكيفهم حسب السياسة الحكومية للحزب الشيوعي الصيني:

**أولاً**: وزارة الأقليات القومية التي يرأسها السيد إبراهيم يانغ جي رين وهو من مسلمي قومية خوي من ولاية كانسو، وهو من أوائل المسلمين المنتمين إلى الحزب الشيوعي وقد تولى مناصب عسكرية وإدارية في ولايتي كانسو ونن تشا وفي ١١ سبتمبر ١٩٨٠م عين نائبًا لرئيس الوزراء الصيني ورئيسًا للجنة شئون القوميات وفي التعديل الوزاري لعام

١٩٨٢م أصبح وزيراً لوزارة الأقليات القومية التي تشرف على جميع الأقليات العنصرية التي منها القوميات الإسلامية في الصين الشعبية من جميع النواحي.

**ثانيًا:** مكتب الشئون الدينية التابع لمجلس الوزراء يرأسه جن وي جي بدرجة وزير وهو ملحد كما يصرح بذلك، ويشرف هذا الجهاز على جميع النشاطات الدينية لكافة الأديان، ويعمل على فرض مرئيات ومتطلبات الحزب الشيوعي على كافة الهيئات الدينية، ولا يتم تطبيق نشاط ديني بدون موافقة هذا المكتب الذي يعمل على توجيه الدين إلى ما لا يتنافى مع سياسة الحزب والحكومة.

**ثالثًا:** الجمعية الإسلامية الصينية التي تأسست عام ١٩٥٣م، وقد يوحي اسم الجمعية بأنها هيئة شعبية ولكنها في الواقع هيئة شبه حكومية تديرها شخصيات إسلامية من رجال الدولة المعتمدين، فمثلاً رئيسها الأعلى هو الشيخ برهان شهيدي نائب رئيس اللجنة الوطنية الخامسة للمؤتمر الصيني الشعبي السياسي الاستشاري الاستشاري التي يرأسها دينغ شاوينغ رجل الصين القوي منذ سبتمبر عام ١٩٧٨م، أما الرئيس المباشر فهو الشيخ محمد علي جانغ جي الذي يبلغ من العمر ٦٨ عامًا من مسلمي قومية خوي من ولاية خي به وعضو اللجنة الوطنية الخامسة للمؤتمر الصيني الشعبي السياسي.

وتعمل هذه الجمعية من خلال فروعها الموجودة في مناطق الأكثرية الإسلامية على برمجة النشاط الإسلامي وإعداد الكفايات الإسلامية المعتمدة لكافة الأعمال والوظائف الإسلامية وتنفيذ النشاطات الإسلامية من تنظيم بعثات الحج الرسمية والتعليمية وإرسال الوفود الرسمية، واستقبالها ونشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية والحقيقة أن الجمعية الإسلامية الصينية هي الجهاز الوحيد الذي يحق له الإشراف على جميع الشئون الإسلامية.

وقد طبعت الجمعية في السنوات الأخيرة:

١- القرآن الكريم.

٢- ترجمة معاني القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد مكين باللغة الصينية.

٣- ترجمة جواهر البخاري مع شرح القسطلاني باللغتين الصينية والتركستانية.

٤- تفسير الجلالين.

٥- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

٦- دعاء ختم القرآن.

٧- خطب الجمعة.

٨- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.

كما افتتحت الجمعية معهد الدراسات الإسلامية في مقرها ببكين منذ سنتين ويدرس فيه حاليًا ٧٨ طالبًا في المرحلتين الأولى والثانية وبعثت عشرة طلاب من المسلمين إلى جامعة الأزهر في القاهرة ومثلهم إلى جامعة بغداد في العراق لإتمام الدراسات الإسلامية، وأقامت دورة تعليمية للأئمة والخطباء لمدة شهر في مدينة اورومسي عاصمة تركستان الشرقية في منتصف عام ١٩٨٣م كما نظمت بعثات الحج الصينية منذ عام ١٣٩٩هـ إلى الأراضي المقدسة، وكذلك أوفدت بعثات أخوية إلى بعض الدول الإسلامية مثل باكستان والعراق والجزائر والأردن والكويت، واستقبلت وفوداً إسلامية استطلاعية من مصر ورابطة العالم الإسلامي واليمن الشمالي وماليزيا وقامت الجمعية بترميم وإصلاح بعض المساجد والجوامع الأثرية والتاريخية.

ونظراً لاختفاء كثير من أئمة المساجد أثناء الثورة الثقافية التي أغلقت فيها المساجد وقتل بعض العلماء وأتلفت الكتب الإسلامية تعمل الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في مقاطعات الأكثرية الإسلامية مثل سينكيانغ و (نن تشا) لإعداد الأئمة والخطباء للمساجد التي افتتحت وبنيت حديثًا في السنوات الخمس الماضية.

**سكان الصين:**

الصين أكثر بلاد العالم سكانًا وهذا مالا جدال فيه تثبته الإحصاءات التي شاركت فيها الأمم المتحدة فأثبت ذلك ما قيل قديمًا من كون الصين ربع الدنيا الذي معناه أن الناس في الصين يمثلون ربع سكان العالم كله من حيث العدد أو كما قال أحدهم إن بين كل أربعة من سكان العالم واحداً من الصين.

فقد أثبت الإحصاء الأخير الذي لم يمض عليه إلا سنة وبعض السنة أن مجموع سكان الصين بلغ الف مليون وسبعة وثلاثين مليونًا من البشر.

ورغم تباعد أرجاء الصين واختلاف الجو فيها وكثرة عدد سكانها فإنهم يكادون يكون لهم طابع خاص مشترك بينهم، وإن اختلفت الفروق والتفاصيل بين سكان كل منطقة وأخرى حتى يصح التعبير عن أهل الصين بأنهم المحيط البشري الصيني كما صح مثله في الهند بأن أهل الهند يمثلون محيطًا بشريًا واحداً اتسم على مدى العصور بسمات ظاهرة واكتسب خصائص مظهرية وغذائية متقاربة فكذلك الصين التي هي في الحقيقة تكاد تكون عالمًا مستقلاً بذاته اكتسب على مدى العصور خصائص مظهرية متشابهة حتى إنه يخيل إليك إذا انتقلت من مدينة صينية إلى مدينة صينية أخرى ورأيت الوجوه في المدينتين أن سكان المدينة التي رحلت إليها هم أنفسهم سكان المدينة التي غادرتها.

واكتسب الصينيون على مدى العصور سمات ميزتهم عن غيرهم ومن ذلك لغتهم الواسعة المعقدة التي ليس لها حروف هجائية وإنما هي أصوات تختلف مدلولاتها باختلاف نغماتها ، وحتى كتابتها ليس فيها حروف الف باء كما في غيرها من اللغات وإنما هي رسوم وأشكال معقدة يدل كل واحد منها على شيء يفهم من السياق أو من اختلاف ضئيل جداً في شكله لا يفهمه إلا الصينيون أنفسهم.

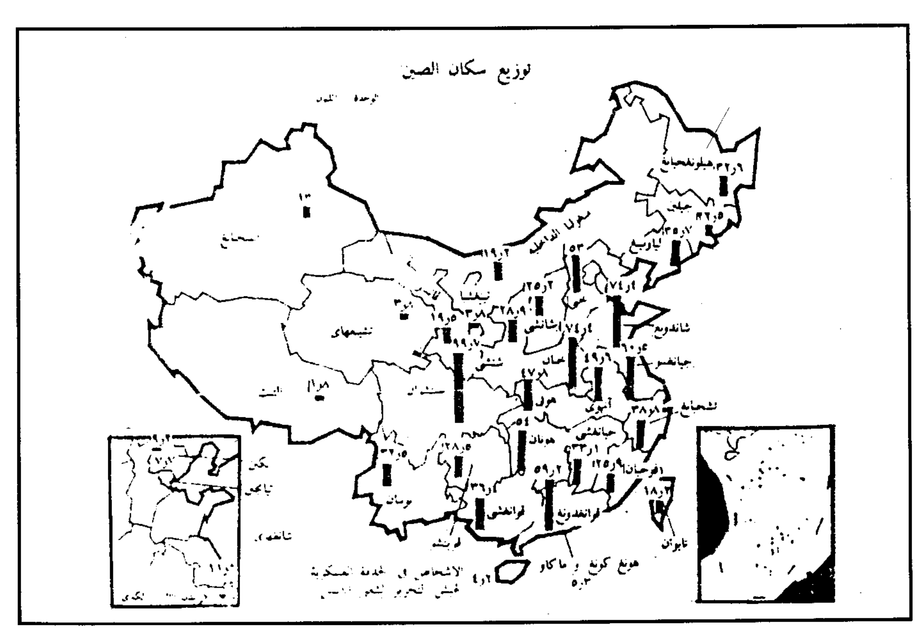
وحتى طعام أهل الصين قد صار معقداً متنوعا كلغتهم لا يكاد يحسنه غيرهم وإن شمله- على تنوعه وكثرته- طابع الطعام الصيني العام.

## تعداد السكان في بر الصين:

يبلغ عدد السكان في الصين ١,٠٠٨,١٧٥,٢٨٨ نسمة والأرقام التالية تبينها الدراسات التمهيدية من المعطيات التي جمعت في هذا الإحصاء.

جنس السكان: عدد الذكور ٥١٩,٤٣٣,٣٦٩ نسمة، أي ٥١,٥٪ من المجموع وعدد الإناث: ٤٨٨,٧٤١,٩١٩ نسمة أي ٤٨,٥٪ من المجموع.

تعداد القوميات المختلفة: تعداد قومية الخان ٩٣٦,٧٠٣,٨٢٤ نسمة، أي ٩٣,٣٪ من مجموع سكان الصين وتعداد الأقليات القومية المختلفة ٦٧,٢٣٣,٢٥٤ نسمة، أي ٦,٧٪ من المجموع. ومنذ عام ١٩٦٤، ازداد تعداد قومية الخان ٢٨٥,٤٠٧,٤٥٦ نسمة، أي بنسبة ٤٣,٨٪، وتعداد الأقليات القومية ٢٧,٣٠٩,٥١٨ نسمة، أي بنسبة ٦٨,٤٪ وازداد عدد القوميات، من بين الـ ٥٥ أقلية قومية، التي يتجاوز تعدادها المليون من ١٠ في عام ١٩٦٤م إلى ١٥.




توزيع مكان الصين(عن مجلة بناء الصين)

# توزيع السكان في المقاطعات والبلديات والمناطق الذاتية الحكم والأشخاص في الخدمة العسكرية

| بلدية بكين | ٩,٢٣٠,٦٨٧ نسمة (بما فيهم ٣,٦٣٢,٧١٥ نسمة من سكان المحافظات التسع التابعة لها) |
|---|---|
| بلدية تيانجين | ٧,٧٦٤,١٤١ نسمة (بمافيهم ٢,٦٢١,٥٧٦ نسمة من سكان المحافظات الخمس التابعة لها) |
| مقاطعة خبى | ٥٣,٠٠٥,٨٧٥ نسمة |
| مقاطعة شانشى | ٢٥,٢٩١,٣٨٩ نسمة |
| منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم | ١٩,٢٧٤,٢٧٩ نسمة |
| مقاطعة لياونينغ | ٣٥,٧٢١,٦٩٣ نسمة |
| مقاطعة جيلين | ٢٢,٥٦٠,٠٥٣ نسمة |
| مقاطعة هيلونغجيانغ | ٣٢,٦٦٥,٥٤٦ نسمة |
| بلدية شانغهاي | ١١,٨٥٩,٧٤٨ نسمة (بما فيهم ٥,٥٣٨,٨٧٦ نسمة من سكان المحافظات العشر التابعة لها) |
| مقاطعة جيانغسو | ٦٠,٥٢١,١١٤ نسمة |
| مقاطعة تشجيانغ | ٣٨,٨٨٤,٦٠٣ نسمة |
| مقاطعة آنهوي | ٤٩,٦٦٥,٧٢٤ نسمة |
| مقاطعة فوجيان | ٢٥,٩٣١,١٠٦ نسمة (بما فيهم ٥٧,٨٤٧ نسمة من سكان جزرجينمن وماتسو وغيرهما) |
| مقاطعة جيانغشي | ٣٣,١٨٤,٨٢٧ نسمة |
| مقاطعة شاندونغ | ٧٤,٤١٩,٠٥٤ نسمة |
| مقاطعة خنان | ٧٤,٤٢٢,٧٣٩ نسمة |
| مقاطعة هوبي | ٤٧,٨٠٤,١٥٠ نسمة |
| مقاطعة هونان | ٥٤,٠٠٨,٨٥١ نسمة |
| مقاطعة قوانغدونغ | ٥٩,٢٩٩,٢٢٠ نسمة (باستثناء تعداد سكان جزر دونغشا ونانشا) |
| منطقة قوانغشى الذاتية الحكم لقومية تشوانغ | ٣٦,٤٢٠,٩٦٠ نسمة |
| مقاطعة سيتشوان | ٩٩,٧١٣,٣١٠ نسمة |
| مقاطعة قويتشو | ٢٨,٥٥٢,٩٩٧ نسمة |
| مقاطعة يوننان | ٣٢,٥٥٣,٨١٧ نسمة |
| منطقة التبت الذاتية الحكم | ١,٨٩٢,٣٩٣ نسمة |
| مقاطعة شنشي | ٢٨,٩٠٤,٤٢٣ نسمة |
| مقاطعة قانصو | ١٩,٥٦٩,٢٦١ نسمة |
| مقاطعة تشينغهاي | ٣,٨٩٥,٧٠٦ نسمة |
| منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية خوى | ٣,٨٩٥,٧٠٦ نسمة |
| منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم | ١٣,٠٨١,٦٨١ نسمة |
| مقاطعة تايوان | ١٨,٢٧٠,٧٤٩ نسمة |
| هونغ كونغ وماكاو | ٥,٣٧٨,٦٢٧ نسمة |
| الأشخاص في الخدمة العسكرية للجيش الصيني | ٤,٢٣٨,٢١٠ نسمة |

ويشير هذا الإحصاء إلى تقدم مثير ألا وهو أن نسبة زيادة سكان الاقليات القومية أعلى من سكان قومية الخان وذلك نتيجة لتطبيق سياسة تنظيم النسل المرنة في مناطق الأقليات القومية. وفي الصين الآن ١٥ أقلية قومية يتجاوز تعداد سكان كل منها المليون وكان عددها ١٠ ملايين في عام ١٩٦٤م فقط.

و يقول خبير صيني: «إن الحكومة وخبراء السكان قد بذلوا أقصى جهودهم في تنظيم النسل، وقد أدركوا بصورة واعية أن تعداد سكان بلادنا سيفوق بليونًا هذا العام، فألحوا في المطالبة بأن يبقى تعداد السكان الصيني أقل من ١,٢ بليون بنهاية القرن الحالي. وقد برهنت نتائج هذا الإحصاء على أن هذا الهدف يمكن الوصول إليه بناء على أن نسبة زيادة السكان في الصين قد انخفضت انخفاضًا كبيراً في السنوات العشر الأخيرة، رغم أن معدل نسبة زيادتها ٢,١٪ في الفترة ما بين عام ١٩٦٤م وعام١٩٨٢م. وما زال يعتبر التحكم في زيادة السكان حلقة حاسمة في برنامج تحديث الصين.

إلى جانب ذلك، يقدم الإحصاء وضعًا خطيراً للغاية، وهو أنه مع أن نسبة المثقفين من مجموع السكان قد ارتفعت ارتفاعًا كبيراً، مازال يوجد في الصين ٢٣٥ مليون أمي أو شبه أمي بين الذين تفوق أعمارهم الثانية عشرة.

وهذا أحد الأسباب التي جعلت الدولة تضع التعليم والعلوم في الأولوية في سير تحديث الصين.

ولم تطبق الحكومة الصينية قانون الطفل الواحد لكل أسرة على أفراد الأقليات القومية ومنهم المسلمون تطبيقًا عمليًا إلا أنها تستخدم ضغوطًا معنوية ومادية عليهم في سبيل تحديد النسل.

وحتى بالنسبة إلى قومية (الخان)، أكبر القوميات الصينية قد ذكرت الصحف ووكالات الأنباء أخباراً مزعجة من سوء تطبيق نظام الطفل الواحد للأسرة الواحدة وذلك بعد أن ذكروا النتيجة السريعة لذلك القانون.

وأوضح شين جيوكسيانج المسئول بلجنة تنظيم الأسرة في مؤتمر صحفي عقده في بكين أن هناك أخطاء وانحرافات في تنفيذ توجيهات الحكومة. وأشار المسئول الصيني إلى وقوع حالات كثيرة نفذ فيها الإجهاض رغمًا عن الأم. كما أشار إلى حالات أخرى أقدم فيها الوالدان على قتل أطفالهما الإناث لأنهما يريدان إنجاب ولد والقانون لا يصرح لهما بإنجاب أكثر من طفل.

وفي الوقت نفسه أوضح المسئول الصيني أن معدل نمو السكان سجل هبوطًا حاداً خلال عام ١٩٨٣م، فقد نزل إلى ١٨,٦٢ في الألف بعدما كان ٢٤,٢ في الألف خلال عام ١٩٨٢م.

وذكرت صحيفة صينية أن معدل المواليد في الصين يزيد على ثلاثة أمثال معدل الوفيات.

وذكرت صحيفة «تشينا ديلي» في عرض لإحصاءات قومية أن الصين التي يزيد تعدادها السكاني على مليار نسمة تستقبل يوميًا في المتوسط ٥١,٠٠٠ مولود وتفقد ١٧,٠٠٠ شخص وتتم فيها ٢٣,٠٠٠ حالة زواج و١,١٧٠ حالة طلاق.

وأضافت الصحيفة قولها إن الفرد يستهلك يوميًا سلعًا قيمتها ٣٦ سنتًا أمريكيًا وإن شخصًا من بين كل ٢٣ شخصًا يشتري صحيفة أو مجلة وإن أقل من واحد في كل مئة يرسل خطابًا.

**دخول الإسلام إلى الصين:**

لم يكن الدعاة إلى الإسلام يعتبرون الدعوة إلى الله عملاً مجرداً كالأعمال الدنيوية التي إذا لم تجد من يكتبها ويخلدها بأي نوع من أنواع التخليد ضاعت وتلاشت ولم يستطع القائمون عليها أن يستفيدوا من القيام بها شيئًا وإنما كانوا يعتبرون أن ذلك من الأعمال المقربة إلى الله (والله لا يضيع أجر من

أحسن عملا). فالعمل الصالح الذي يأتي في قائمة الدعوة إلى الله محفوظ عند الله جزاؤه و لمن قام به أجر في الآخرة وثواب متصل بعد الموت لمن اهتدى على يده أحد من الناس حتى أجر من أهتدوا على أيديهم له فيه نصيب من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

كما في الحديث الشريف: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية وعلم ينتفع به بعده، وولد صالح يدعو له).

ولذلك نجد أن معظم البلاد التي دخلها الإسلام عن طريق الدعوة الفردية وليس عن طريق الجهاد والقتال لا يعرف بالضبط تاريخ دخول الإسلام إليها إلا إذا اقترن ذلك بحادثة غير معتادة كإسلام ملك من ملوك البلاد تبعه على إسلامه كل شعبه أو أكثر أفراد شعبه كما حدث في إسلام أهل جزر مالديف الواقعة في المحيط الهندي حيث أسلم الملك وأسلم أهل الجزر معه وقد ذكرت ذلك في كتاب (رحلة إلى جزر مالديف: إحدى عجائب الدنيا).

وكإسلام ملك البلغار وقومه من الذين يسمون الآن (البشكير) وتقع بلادهم في أقصى الشمال من الوطن الإسلامي على نهر ايتل (الفولجا) مجاورة لبلاد الروس القديمة وهي الآن تابعة إداريًا لجمهورية روسيا الاتحادية التي عاصمتها موسكو.

ولئن أغفلت المصادر العربية تاريخ دخول الإسلام إلى الصين لما سبق فإن المصادر التاريخية والأدبية الصينية لم تفعل ذلك فذكرت ما زعمته أول اتصال بين المسلمين والصينيين وبالتالي أول تاريخ لدخول الإسلام إلى الصين وإن كان ذلك يحتاج إلى براهين من أهمها أن يذكر في المصادر الإسلامية التي يكاد يمكن القول بأنها حصرت الوفود التي ذكرتها بأنها انطلقت من عاصمة الإسلام الأولى المدينة المنورة.

فقد ذكر المؤرخون الصينيون أن أول سفارة إسلامية جاءت إلى الصين كانت في زمن الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وأنها كانت وصلت إلى مدينة تشانغان (مدينة شيان في مقاطعة شنشي حاليًا) وكانت عاصمة أسرة تانغ إحدى الأسر الملكية التي حكمت الصين.

وذكروا أن وصول تلك السفارات الإسلامية كان في عام ٦٥١م.

ولكن الذي لا شك فيه أن الإسلام كان قد دخل إلى الصين في وقت مبكر من تاريخ أزدهار الدولة الإسلامية ذلك بأن العلاقات التجارية كانت قد ازدهرت ما بين الصين والموانيء العربية على الخليج العربي كميناء البصرة وميناء سيراف.

ولا شك في أن البحارة والتجار المسلمين قد وجد منهم من استقر في الصين استقراراً كاملاً أو لمدة تكفي للدعوة للإسلام.

ولم يكد يحل القرن الرابع الهجري حتى صار المسلمون أقلية معروفة في مدينة قونغتشو (كانتون) وما زال عدد المسلمين يتزايد فيها حتى بلغ في القرن الخامس الهجري مبلغا جعلهم يحافظون على اللغة العربية حتى في الكتابة على قبورهم وقد حفظ لنا التاريخ شواهد كثيرة مكتوبة بالعربية على قبور المسلمين في تلك المدينة مدينة (كانتون) كما عرفت في اللغة الإنكليزية وسماها ابن بطوطة مدينة (صين كلان) أي مدينة الصين الكبيرة أو (صين الصين)، وقد ذكرت بعض تلك الشواهد في كتابي (جنوب الصين) عند الكلام على تلك المدينة.

كما قد تدفق إلى الصين كثير من العرب والفرس تجاراً حاملين معهم الدين الإسلامي عن طريق البر والبحر، واستوطن بعضهم حيث طاب لهم المقام وأخذوا في إقامة الجوامع الإسلامية، وأخذ بعض الصينيين يدخلون في دين الإسلام ومن ثم تطور الإسلام في الصين تدريجيًا على مر الزمن.

وغالب المسلمين الصينيين اليوم يسكنون في منطقة سينكيانغ الويغورية الذاتية الحكم ومنطقة نن تشا الذاتية الحكم لقومية خوي ومقاطعات كانسو، تشينغهاي، خبي، خنان، شاندونغ، يوننان وغيرها، وينتمون إلى عشر قوميات هي: خوي، ويغور، قازاق، قرغز، تاجك، تتار، اوزبيك، دونغ شيانغ، سالا، باوآن.

ولقد بنيت جوامع ومساجد منذ قديم الزمان في المناطق التي استوطن فيها المسلمون وأشهرها: جامع عيد كاه بمدينة كاشغر بمنطقة سينكيانغ الويغورية الذاتية الحكم، والجامع الكبير بمحافظة تونغشين في منطقة نن تشا الذاتية الحكم لقومية خوى؛ جامع هواتشويه بمدينة شيآن عاصمة مقاطعة شنشى؛ جامع قوانغتا هوايشنغ (الشوق إلى النبي) بمدينة قوانغتشو؛ جامع العنقاء بمدينة هانغتشو؛ جامع تشيلين بمدينة تشيوانتشو؛ جامع الكركي بمدينة يانغتشو؛ جامع دونغسي بكين؛ جامع شياو تاو يوان (حديقة الخوخ) في شنغهاي؛ الجامع الجنوبي بمدينة شينانغ؛ جامع نانتشنغ في شارع العدل بمدينة كونمينغ، مقاطعة يوننان. وهناك جامع آخر في شارع البقر ببكين قيد تاريخي قديم.

ولا شك في أن المصادر الإسلامية العربية تشير إلى غزو قتيبة بن مسلم الباهلي لمدينة كاشغر في تركستان الشرقية عام ٩٤ هجرية - ٧١٥ ميلادية كأول اتصال يتم بين العرب الفاتحين والصينيين الموجودين حينذاك فيها.

ومع ما تفيده هذه الآراء في دخول الإسلام مبكراً للصين فإن القضية لا تزال تحتاج إلى إجراء بحث علمي وثائقي يجمع ويحقق الروايات المختلفة من صينية وعربية وغيرها، وخاصة في الأمور التي يتمسك بها المسلمون الصينيون وتتعارض مع الوقائع الإسلامية الصحيحة. مثل ضريح سعد بن أبي وقاص في مدينة كانتون التي كانت تسمى سابقًا بخانغو في المصادر العربية. ويقول الصينيون عنه إنه أحد الثلاثة الذين بعثهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -

إلى ملك الصين فمات الاثنان في الطريق، أما الثالث وهو سعد بن أبي وقاص فقد أقام في(كانتون) وبنى مسجد هوايشنغ ومعناه مسجد الاشتياق إلى النبي. وهذا غير صحيح.

ودخول الإسلام وانتشاره في الصين قد جاء عن طريقين اثنتين، لا يمكن التغافل عن إحداهما في دراسة الوجود الإسلامي هناك:

الأولى: الطريق البحرية حيث ازدهرت الملاحة التجارية بين المدن العربية والمدن الصينية الساحلية مثل خانغواي (كانتون) والزيتون أي جي وان جواليتي وصل إليهما الإسلام مع التجار والملاحين المسلمين واستقر بهما أولاً ثم انتقل إلى داخل الصين مع تغلغل التجار المسلمين.

الثانية: الطريق البرية التي سلكها الإسلام إلى الصين من تركستان الشرقية عبر طريق الحرير. وكان انتشار الإسلام في الصين في عهد الإمبراطورية المغولية عظيماً.

حيث انتقلت أسر إسلامية من أواسط آسيا إلى داخل الصين وتولى بعض المسلمين حكم عدد من الولايات الصينية، بالإضافة إلى أن المناطق الغربية من الصين التي تقطنها أصلاً قبائل تركية ومغولية أسلمت بسبب المسلمين الأتراك وهذا سر تكتل الأغلبية الإسلامية في غرب الصين على حدود تركستان الشرقية.

يتمركز المسلمون بصفة خاصة في منطقة الحزام الإسلامي التي تقع في غرب الصين وتضم بالإضافة إلى سينكيانغ (تركستان الشرقية) مقاطعات كانسو ونن تشا وتشنغهاي وشنشي وسيشوان ويوننان ثم يأتي في جنوب الصين ولايات كوانغ دونغ وكوانغ شي وهونان وخوبة وانخوي. والواقع أن كل ولاية صينية تضم عدداً من المسلمين الذين ينتمون عموماً إلى قومية خوى الواسعة الانتشار والقوميات العشر التي تعدها الحكومة قوميات إسلامية تقديراتهاالرسمية عام ١٩٨٢م كالآتي:

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | الايغــــور | ٧٢١٩٣٥٢ | من الأتراك في سينكيانغ |
| ٢ | الخــــوي | ٥٩٥٧١١٢ | من الصينيين في كل أنحاء الصين |
| ٣ | القـــازاق | ٩٠٧٥٨٢ | في تركستان الشرقية كانسو وجنغهاي |
| ٤ | دونغشيـانغ | ٢٧٩٣٩٧ | من المغول في ولايتي كانسو ومنغوليا الداخلية |
| ٥ | القيـرغيـز | ١١٣٩٩٩ | في تركستان الشرقية |
| ٦ | الســالار | ٦٩١٠٢ | من الأتراك في ولايتي كانسو وجنغهاي |
| ٧ | التـاجيـك | ٢٦٥٠٣ | في تركستان الشرقية |
| ٨ | الاوزبـــك | ١٢٤٥٣ | من الأتراك في سينكيانغ |
| ٩ | بـــوآن | ٩٠٢٧ | من المغول في ولاية كانسو |
| ١٠ | التـــتــار | ٤١٢٤ | في تركستان الشرقية |

وإذا كانت التقديرات الرسمية لحكومة الصين الشعبية عن المسلمين تشير إلى أن عددهم ١٤٢٩٣٦٥٠ نسمة في عام ١٩٨٢ حسب تعداد أفراد كل قومية مسلمة فإن التقديرات الأكيدة تشير إلى أن عدد المسلمين في الصين الشعبية يتراوح بين مالا يقل عن خمسين مليون إلى سبعين مليون نسمة وذلك لأن التقديرات الإحصائية للمسلمين قبيل الحكم الشيوعي نوعان:

١- تقديرات المستشرقين الأوروبيين يشير متوسطها إلى أن عدد المسلمين كان عشرين مليون نسمة في أوائل القرن العشرين عندما كان عدد سكان الصين الإجمالي هو أربعمائة مليون نسمة. والآن وقد بلغ سكان الصين ألف مليون نسمة فلابد أن يكون عدد المسلمين الصينيين خمسين مليون نسمة حاليًا، قياسًا على الزيادة الإجمالية مع أن نسبة الإنجاب عند المسلمين أكبر مما هي عند سواهم.

٢- تقدير حكومة الصين الوطنية أيام الكومنتانغ في عام ١٩٤٨م تشير

إلى أن عــدد المسلمين هو ٤٨١٠٤٢٤ نســمــة وهو يطابق تقــديرات بعض المستشرقين الغربيين والمسلمين الصينيين أنفسهم أيضًا كما تشير تصريحاتهم ومؤلفاتهم بأن عدد المسلمين الصينيين لا يقل عن خمسين مليون نسمة وقد كان عدد الصينيين الإجمالي حينذاك هو خمسمائة مليون نسمة فوصل عددهم في عام ١٩٨٢ إلى أكثر من الف مليون نسمة بزيادة مئوية قدرها ٥٠٪ وبهذه النسبة أيضًا يكون عدد المسلمين قد وصل إلى أكثر من ٧٠ مليون نسمة.

والواقع أن هناك حاليًا تقديرات متباينة جداً تبدأ من الإحصاء الحكومي الرسمي وهو ١٤,٥ مليون نسمة إلى تقديرات المعاهد الغربية مثل مجلة نيوزويك الصادرة في ٢٦ نوفمبر ١٩٧٦م وأطلس العالم الصادر في عام ١٩٧٢ وكتاب حقائق العالم الصادر في ١٩٧٤ وأطلس الرسمية الجغرافية الصادر في عام ١٩٧٥م ومجلة تايمز العالمية الصادرة في ١٦ أبريل ١٩٧٩ بأن ١٢٪ من سكان الصين مسلمون وعلى هذا أشارت مجلة تايمز العالمية ١٦ أبريل ١٩٧٩م بأن عدد المسلمين هو ١١٥ مليون نسمة من جملة السكان البالغ عددهم ٩٦٠ مليون نسمة عند ذاك.

وعندما يجابه المسئولون الصينيون بذلك يقولون: بأن تلك التقديرات ليست واقعية، وأن الإحصاءات التي تجريها الحكومة لا تقوم على أساس ديني، وإنماتصنف على أساس قومياتهم التي ينتسبون إليها وهو أمر يتفق مع سياسة الدولة اللا دينية. وأن التعداد القائم للمسلمين يضم أفراد القوميات الإسلامية العشر فقط وقد يكون هناك مسلمون من قوميات أخرى لم يشملهم التعداد الحكومي، كما أن هناك هجرات إسلامية صينية إلى جنوب شرق آسيا وأمريكا أدت إلى تقلص عدد المسلمين في الصين الشعبية.

والحقيقة أن إحصاء المسلمين في الصين الشاسعة الكثيرة السكان يزيد في صعوبته أن حكومة الصين الشعبية تطبق سياسة شيوعية، لا تعترف بالدين بل تعمل على تصغير شأنه وتقليل عدد معتنقيه، وهي سياسة واحدة في جميع الدول الشيوعية.

ومما يعـتقده أيضاً أن بعض المسلمين الصـينيين بعـد مـعـاناتهم من مظالم الأباطرة المنشوريين دفعهم الخوف من البطش الشيوعي واستبداده إلى إخفاء حقيقة إسلامهم وخاصة أنهم يستعملون أسماء صينية في سجلات الحكومة. وهم الذين لهم أسماء رسمية للاستعمالات الحكومية وأسماء إسلامية يتداولونها فيما بينهم، ولا يمكن التفريق بين المسلم الصيني وغيره من أتباع الأديان الأخرى بالاسم الرسمي الصيني. وحتى الإحصاءات الرسمية لأفراد القوميات عادة لا تشكل الرقم الصحيح في الدول الشيوعية ودول العالم الثالث، لأن الحكومات تلجأ إلى التهوين من حجم الأقليات القومية فيها في العادة، لكي تمنع مطالبة الأقليات بحقوقها القومية ولكي تفوت على الدول الأجنبية التي تنتمي إليها تلك القوميات دعمها ومؤازرتها.

ورغم انتشار المسلمين في كل المقاطعات الصينية بدون استثناء كما تؤكده الحكومة الصينية وتثبته في خرائطها فإنها أقامت لبعض التجمعات الإسلامية مناطق تتمتع بالحكم الذاتي، وهي:

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١ | إقليم نن شيا خوي المتمتع بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٨ | في نن تشا |
| ٢ | مقاطعة لين تشا خوي المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٦ | في كانسو |
| ٣ | مقاطعة فوشيان خوي المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٧ | في لياونينغ |
| ٤ | مقاطعة هايش مغول تبت قازان المتمتعة ،، ،، | في عام ١٩٥٤ | في تشنغهاي |
| ٥ | منطقة زانغ جيا جوان خوي المتمتعة ،، ،، | في عام ١٩٥٥ | في كانسو |
| ٦ | منطقة وين نينغ لي خوي مياو المتمتعة ،، ،، | في عام ١٩٥٤ | في قوى زو |
| ٧ | منطقة واشنغ خوي المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٤ | في جي به |
| ٨ | منطقة جوي خوي المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٤ | في جي به |
| ٩ | منطقة هو الونغ خوي المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٤ | في تشنغهاي |
| . | منطقة مين يوان خوي المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٣ | في تشنغهاي |
| ١ | منطقة وي شان لي خوي المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٦٠ | في يوننان |
| ١ | منطقة اكساي قازاق المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٤ | في كانسو |
| ١ | منطقة دونغ شيانغ المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٠ | في كانسو |
| ٢ | منطقة شون خواسالار المتمتعة بالحكم الذاتي | في عام ١٩٥٤ | في تشنغهاي |

وبالإضافة إلى هذه المناطق الذاتية التي أقامتها حكومة الصين الشعبية للمسلمين فإن هناك ولايات كثيرة تضم جماعات إسلامية كبيرة تعترف بها الحكومة وأهمها هي:

١- ولاية شانش SHAANXI وفي عاصمتها شيآن XIAN فقط خمسون ألف مسلم حاليًا حسب الإحصاء الحكومي ومن مدنها ذات الجماعات الإسلامية لونغ شيآن وشي شيآن.

٢- ولاية زيجوان SKHUAN التي في عاصمتها جنغ دو آلاف من المسلمين لهم أكبر مسجد في الولاية وهو مسجد خوانغ شنغ ومن مدنها التي يكثر فيها المسلمون سونغ فان SONG PAN وجونغ جنغ CHONGJING ويان تينغ YANTING .

٣ - ولاية منغوليا الداخلية وفي عاصمتها خوخاخوت مايزيد على ثلاثين ألف مسلم لهم مسجدان.

٤- ولاية خنان HENAN وعاصمتها زنغ زو ZHENGZHOU وبهذه الولاية أكثر من ٣٣٤ مسجداً وفي مدينة كايغرنغ وحدها ٣٠ ألف مسلم ومن مدنها التي يكثر فيها المسلمون لوياومنغ شان.

٥- ولاية جيانغ سو JIANGSU وعاصمتها نانكين NANGJING وبها جالية إسلامية كبيرة كان لهم ٣٦ مسجداً قبيل الحكم الشيوعي ومن المدن التي يكثر فيها المسلمون يانغ جو وجن جيانغ.

٦- ولاية غوانغ جو GUANGZHOU (كانتون سابقًا) والعاصمة كوانغ جو أول مدينة ساحلية صينية وصلها العرب وبها أقدم مسجد يسمى هوايشنغ.

٧- بكين العاصمة بلغ سكانها ٩٢٣.٦٨٧ في عام ١٩٨٢ بها مايزيد على ١٦٠ ألف مسلم حسب رواية الجمعية الإسلامية الصينية ولهم خمسة مساجد.

٨- شنغهاي المدينة الصناعية بلغ عدد سكانها ١١,٨٥٩,٧٤٨ نسمة في عام ١٩٨٢م. كانت مقراً لكثير من الجمعيات والمدارس والمجلات الإسلامية وعشرة مساجد قبيل الحكم الشيوعي ولا تزال الجمعية الإسلامية الصينية تشرف على مسجدين.

٩- تيانجين TIANJIN ثالث مدينة كبيرة في الصين بلغ عدد سكانها ٧,٧٦٢,١٤٥ نسمة في عام ١٩٨٢ منهم بضعة آلاف من المسلمين كان لهم ١١ مسجداً.

**ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الصينية:**

صدرت مؤخراً في بكين الترجمة الصينية لمعاني القرآن الكريم التي أعدها الشيخ محمد مكين وقد بذل المترجم أكثر من عشر سنوات في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الصينية. وهو من الذين درسوا في مصر فقد أتم دراسته الجامعية في الأزهر وكان آخر أفراد أول بعثة وبهذه المناسبة يجدر بنا أن ننقل مقتطفات من بحث نشره أحد الصينيين المعنيين بالعلاقات الثقافية ما بين الصين والبلدان العربية حول الفترة التي وصل فيها القرآن الكريم إلى الصين. قال:

ورد في «كتاب تانغ القديم» والمراجع التاريخية في مكتبة سونغ الإمبراطورية أن أسرة تانغ التي حكمت الصين من عام ٦١٨م إلى عام ٩٠٧م وضعت نظاماً للتعامل مع البلدان الصديقة وتجسد ذلك النظام في إعداد سمكتين برونزيتين ذكر وأنثى، نقش عليهما اسم البلد الصديق، أحدهما في

بلاط تانغ والأخرى في البلد الصديق.. فمن وصل إلى بلاد أسرة تانغ كمبعوث رسمي عرض السمكة البرونزية دليلاً على شخصيته. وعندما وصل مبعوث خليفة المسلمين إلى الصين لم يكن لديه سمكة برونزية.. هذه الحادثة جعلت المؤرخين يؤكدون على أن عام ٦٥١م هو العام الذي وصل فيه أول مبعوث إسلامي إلى الصين. وتذكر كتب التاريخ أن المبعوثين العرب قد جاءوا ٣٧ مرة بين عامي ٦٥١ و٧٩٨م، أي بمعدل زيارة واحدة في كل أربع سنوات. تلك البعثة الإسلامية الأولى إلى الصين قد أقامت العلاقات الودية بين الصين والعرب، كما اطلع منها الإمبراطور تانغ على أحوال العرب وتقاليدهم وعاداتهم ودينهم الإسلامي الحنيف.

وقد سجل دو هوان الذي عاش في أواسط القرن الثامن مذكراته في كتاب تحت اسم «رحلة إلى بلد الكتاب»، وهذا الكتاب هو أول كتاب صيني جاء فيه ذكر القرآن الكريم.

مكث دو هوان ١٢ سنة في بلاد داشي (أطلق الصينيون القدماء لقب داشي على بلاد العرب) متجولاً في ربوعها ثم عاد بطريق البحر إلى الصين وتكلم في كتابه عن الدولة العباسية باقتضاب من حيث الديانة والتقاليد والعادات.

ذكر دو هوان في مذكراته عن بلاد داشي يقول: «لبلاد داشي اسم آخر هو أكولا واسم الوالي مؤمن» وأكولا هي الكوفة في اللغة السيريانية. وهنا يقول المؤلف: إنه أقام في بلاد داشي وكانت الكوفة عاصمة الدولة العباسية والخليفة يلقب باسم أمير المؤمنين. ومن المؤسف أنه لم يذكر من هو أمير المؤمنين وقتذاك.

وعند وصفه لعاصمة الخلافة يقول: «فيها قاعة تتسع لعشرات الآلاف من الناس، يؤمها الخليفة مرة واحدة في كل أسبوع لأداء الصلاة. وهناك يعتلي

منبراً يعظ الناس ويفقههم في الدين»،ومما قال: «إن الحياة الدنيا دار زوال والآخرة هي دار البقاء. وكل من أقترف جريمة الزنا أو عاث بالفساد أو انتهك الحرمات أو ارتكب المعاصي أو سبب الأضرار لغيره أو أهان الفقراء أو أساء إلى من ملكت أيمانه فهو من المجرمين، ومن قاتل وقتل في سبيل الله فهو من الشهداء ومأواه جنة الخلد.» قال المؤلف: كان الخليفة العباسي يخرج في كل يوم جمعة إلى المسجد ليؤم المصلين ويعظهم ثم عدد دو هوان ما قال الخليفة في خطبته من الأوامر والنواهي ووجوب الإحسان وإطعام الفقراء واتباع تعاليم القرآن والشريعة الإسلامية.

وذكر المؤلف في كتابه «أن الإسلام يدعو إلى عبادة الله لا الملوك ولا الشياطين، ويدعو إلى بر الوالدين واحترام أولى الأمر» و«على كل انسان مهما كان فقيراً أو غنيًا أن يؤدي فريضة الصلاة خمس مرات كل يوم.»

وبالإضافة إلى ذلك ذكر في مذكراته بعض المحرمات في الإسلام مثل: «تحريم الخمر والغناء» و«البساطة في الجنازة» و«تحريم لحوم الخنزير والكلاب والحمير والخيل ولحوم الميتة»..

وذكر دو هوان في مذكراته: أن الإسلام يتطور بسرعة ملبيا احتياجات المجتمع. وعن ذلك قال: «أسلم الناس من كل فج ودخلوا في دين الله أفواجًا كسيل عرم.»

هذا وقد عرف «رحلة إلى بلد الكتاب» الشعب الصيني جوهر القرآن والإسلام ولعب دوراً طيبًا في نشر الإسلام في الصين.

### المخطوطات القرآنية

كثرت الجوامع والمساجد مع تطور وانتشار الإسلام واحتاجت إلى كميات كبيرة من المصاحف فأخذ الأئمة والعلماء ينسخون القرآن وكتبًا إسلامية أخرى

وكذلك فعل المتعلمون، ينسخون ويتعلمون منها ، وكان بعضهم يقطع المسافات البعيدة حاملين معهم زادهم ومتاعهم للعثور على العلماء ينهلون على أيديهم من مناهل القرآن وتعاليم الدين. وكان نسخ القرآن في الصين يجري في خطوط وأساليب متفاوتة. يقول ووجيان، في عهد أسرة يوان، مؤلف كتاب «رحلة إلى المسجد الطهور» في القرن الرابع عشر الميلادي:«انقسمت خطوط القرآن إلى ثلاثة أنواع: كتابات تشوان، كتابات بالأحرف الكبيرة، كتابات بالأحرف المتصلة».

والمخطوطات منها ما هو رائع الخطوط ومزخرف بماء الذهب أوالكتابات الملونة.

يوجد بعضها لدى العوائل المسلمة وأخرى في المتاحف والمساجد. مثلاً، توجد مخطوطة قرآنية في جامع دونغسي ببكين، تمت كتابتها عام ١٣١٨م. وكانت الجمعية الإسلامية الصينية قد طبعت «خاتمة القرآن» وفق أصل لمخطوطة عمرها ٢٠٠ سنة.

وقد ظهر دو ون شيو (١٨٢٣ - ١٨٧٢م) في مقاطعة يونان في أول أعوام تونغ تشي (١٨٦٢م) لأسرة تشينغ وترأس عمليات طبع القرآن الكريم من النحوت الخشبية مخرجًا أول نسخة من القرآن نحتًا على الخشب في الصين، وقد لعب دوراً معينًا في انتشار القرآن في الصين.

وقد رأينا تلك المخطوطات المحفورة بعد ذلك في مدينة كون منغ وذكرت ذلك في كتاب (العودة إلى الصين)

**ترجمات غير كاملة:**

اختار بعض الأئمة والعلماء أجزاء من القرآن الكريم لترجمة معانيها إلى اللغة الصينية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وأوائل القرن العشرين.

وبعد ذلك صاروا يترجمون معاني (جزء عم) الذي هو الجزء الأخير من المصحف الشريف أو يختارون بعض السور القرآنية تسهيلاً للقراء.

وفي تلك الفترة كان بعض العلماء يقومون بمحاولة للترجمة الكاملة لمعاني القرآن الكريم منهم:

السيد ما فو تشو، ضليع في اللغات الصينية والعربية والفارسية وأهم المترجمين في أوائل القرن التاسع عشر كما حج إلى بيت الله مرتين وكان يسعى وراء الاستزادة من العلم في مصر والشام وتركيا وغيرها وقد استغرقت جولاته عشر سنوات.

وأتم ما فو تشو ترجمة عشرين جزءاً من القرآن الكريم بالصينية وتعرضت للحرق ولم يبق منها سوى ٥ أجزاء وطبعت تحت عنوان «تفسيرات مباشرة للقرآن الكريم» ، وهو أول ترجمة بالصينية لكنه ليس كاملاً.

**ترجمة كاملة:**

«كتاب الفرقان» باللغة الصينية هو أول طبعة مترجمة كاملة في وقت مبكر، صدر في بيبينغ (بكين، حالياً) عام ١٩٢٧ وأتم ترجمته لي تيه تشغ (غير مسلم) الضليع في اللغة اليابانية، وأنجز ترجمة معاني القرآن الكريم بالصينية وفقاً لطبعة المصحف اليابانية وكذلك راجعه على الترجمة الإنجليزية.

فاعتبر «كتاب الفرقان» أكمل ترجمة لمعاني القرآن منذ دخول الإسلام إلى الصين ولعب دوراً هاماً في دفع بعض الأئمة والعلماء باللغة العربية إلى مزاولة ترجمة القرآن. جي جيويه مي: نظم بعض العلماء والأئمة في ترجمة القرآن في شنغهاي في أوائل الثلاثينات فأتم صدور طبعة «معاني القرآن باللغة الصينية» عام ١٩٣١.انجز الإمام وانغ جينغ تشاي صدور «القرآن المترجم والمفسر» في بيبينغ (بكين حالياً) ثم انهمك في عمليات ترجمة معاني القرآن

سنين طوالاً حتى أتم صدور الطبعة المترجمة مرة ثانية عام ١٩٤٦ تحت نفس العنوان: «القرآن المترجم والمفسر» في شنغهاي.. اعتبرت طبعته الأخيرة أفضل من الطبعة الصادرة عام ١٩٣٢م سواء في الترجمة أو التفاسير وأصبحت مرجعًا هامًا يرجع إليها المؤمنون في الصين قبل إخراج طبعة محمد مكين.

ليو جين بياو: أكمل طبع«معاني القرآن المترجم باللغة الصينية وبعض الشروح» عام ١٩٤٢ في بيبينغ ثم ظهرت طبعة «معاني القرآن» في بيبينغ عام ١٩٤٧ على يد الإمام يانغ تشونغ مينغ.

## العلاقة الاقتصادية بين الصين والعرب قبل الإسلام:[١]

إن الأحوال العربية التي وردت في كتاب «سجل التاريخ» و«كتاب أسرة هان الأولى» تعتبر أقدم ما ذكر عن العرب في كتب التاريخ الصينية. ومن الأرجح أن تكون هذه المعلومات مأخوذة من الرائد المشهور الصيني تشانغ تشيان عندما بعث رسولاً إلى المناطق الغربية.

بعد الرائد تشانغ تشيان، أرسلت أسرة هان الأولى (٢٠٦ق.م - ٢٥م) رسلها باستمرار إلى المناطق الغربية، ومن ضمنها بلاد العرب. وذكر «كتاب تاريخ هان الأولى سيرة تشانغ تشيان» أن أسرة هان الأولى أرسلت أكثر فأكثر رسلها إلى أشكانيان ويانتساي والروم وتياوتشي ودولة الهند. وهذه بداية الاتصالات الودية بين الصين والعرب حسب ما سجلته كتب التاريخ الصينية. وابتداء من أسرتي هان الملكيتين (٢٠٦ق.م - ٢٢٠م) إلى أسرة مينغ الملكية (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) تطورت الاتصالات الصينية العربية باستمرار، فتوثقت العلاقة الاقتصادية كثيراً بين الصين والعرب.

(١) نقلاً عن مجلة «بناء الصين» بتصرف.

تنقسم خطوط المواصلات بين الصين والعرب في العصر القديم إلى خطين بري وبحري، فالخط البري هو «طريق الحرير» المشهور. أما الخط البحري فهو «طريق البخور» الشهير، (يسمى أيضًا «طريق الحرير البحري») وهما أي «طريق الحرير» و«طريق البخور» من شرايين المواصلات بين الشرق والغرب في العصر القديم، وكذلك هما ممران مهمان متكاملان للاتصالات بين الصين والعرب في قديم الزمان. فقد لعبا دوراً عظيمًا عبر التاريخ.

**(١) العلاقة الاقتصادية بين الصين والعرب قبل أسرة تانغ:**

قبل أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م)، لعب العرب دوراً وسيطًا نشيطًا في التجارة بين الصين والغرب. وانتقلت البضائع الصينية وخاصة الحرير إلى الغرب بكميات ضخمة، بعدما نجح الرائد تشانغ تشيان في اتصاله بالمناطق الغربية. وكان العرب يحبون حرير الصين حبًا جمًا. فقد اكتشف في سنة ٨٣ ميلادية حرير الصين الخام في أحد القبور التدمرية القديمة. وهو أي حرير الصين أول وأجمل هدية قدمها الشعب الصيني للعرب.

انتقل حرير الصين عبر آسيا الوسطى إلى المدائن (جنوب بغداد) أولاً، ثم انتقل قسم منه إلى إيطاليا وغيرها. وانتقل قسمه الآخر عبر تدمر إلى دمشق، حيث أصبح مادة خامًا لصناعة الغزل والنسيج في مدن صور وصيدا وغزة... كانت بين أنطاكية والمدائن بعض قبائل عربية. وكانت أكبرها على ما يعتقد قبيلة جذيمة. وفي أواخر القرن الثاني الميلادي أصبحت هذه القبيلة دويلة مستقلة. وكان أبناء هذه القبيلة ينقلون حرير الصين وبضائعها الأخرى إلى أنطاكية فكانوا تجاراً وسطاء بين أشكانيان وروما. وظلت هذه الحالة حتى احتلال روما لجذيمة في سنة ٢١٦م.

وكان هناك كثير من القبائل العربية أيضًا بين دمشق والمدائن وأشهرها قبائل تدمر، وقد أسس التدمريون دولتهم قبل القرن الأول قبل الميلاد، في إحدى واحات الصحراء السورية، وكانت تعتبر مركزاً لمواصلات الجهات الأربع. وبالإضافة إلى ذلك كانت فيها ينابيع معدنية نقية، لذا أصبحت مكانًا مجتمعًا لتجار الأصقاع المختلفة.

وأصبحت أغنى مدن آسيا الغربية ذات الشهرة العالمية. وكان التدمريون أقوياء في الصحراء السورية وقاموا بدور التجار الوسطاء كذلك بين أشكانيان وروما. وبسبب أنهم نظموا بصورة رائعة نقل حرير الصين، وكفلوا سلامة وأمن القوافل التجارية، تحولت طريق التجارة ما بين روما والهند، من البحرالأحمر - مصر، إلى الخليج العربي - سوريا. وكانت تدمر تنازع روما على الزعامة حتى استولى عليها إمبراطور روما أورليانوس في عام ٢٧٢.

وأما في تجارة ما بين المحيط الهندي والبحر الأحمر فكان العرب والأحباش يحتلون مكان القيادة. وكانت البضائع الصينية تنقل أولاً إلى سيلان، ثم ينقلها التجار العرب والأحباش والفرس إلى الخليج العربي والبحر الأحمر. وكانت يودامون اليمنية (Eudaemon عدن المواني)وموزا (Muza مخا اليوم) من الموانئ الهامة في منطقة البحر الأحمر، وبعد وصول البضائع الصينية إلى اليمن، تنقل شمالاً عن الطريق الساحلى الغربي من الجزيرة العربية إلى مكة ثم إلى فلسطين وسوريا التي كانت تحت سيطرة روما، إما للاستهلاك المحلي أو لنقلها إلى مصر وغيرها مرة ثانية. وكان الحميريون اليمنيون يسيطرون على هذا الطريق التجاري الساحلى على طول غربي الجزيرة العربية في أول الأمر، ثم حل تجار قريش في مكة محلهم.

قبل أسرة تانغ، كان من المحتمل جداً أن يكون هناك اتصالات اقتصادية غير مباشرة بين الصين والعرب بالإضافة إلى العلاقات الاقتصادية غير المباشرة

التي ذكرناها. ورأى ج.ف هودسون أن السفن العربية ربما وصلت إلى الصين ومصر بعد القرن الأول الميلادي. وأشار وارمينغتون إلى أن الصينيين نقلوا القرفة إلى الخليج العربي. وقد ذكر امياماسلين ان البضائع الصينية كانت تباع في أسواق دورية في باتانية وغيرها على شاطئ نهر الفرات حوالي سنة ٣٦٠م. وبعض هذه البضائع ربما نقلتها السفن الصينية إلى هناك. وقد سجل المؤرخ العربي المسعودي أن السفن الصينية قد وصلت إلى مدينة الحيرة على شاطئ نهر الفرات في القرن الخامس وقامت بالتجارة مع العرب وورد في «كتاب سونغ - أخبار الاجانب» (تم تأليفه حوالي عام ٥٠٠م) «أن السفن كانت تتعاقب في الطريق البحري، والتجار والرسل كانوا يتوافدون بين الصين والروم (يعني سوريا ومصر اللتين كانتا تحت سيطرة روما الشرقية) وتانجو (الهند).» وإذا كانت السفن التجارية الصينية تستطيع الوصول إلى الروم فإنها من المحتمل جداً أن تصل إلى مدينة الحيرة على نهر الفرات.

**(٢) العلاقة الاقتصادية بين الصين والعرب من أسرة تانغ إلى أسرة مينغ:**

دخلت العلاقة بين الصين والعرب عهداً جديداً في أسرة تانغ الملكية. فإن متاخمة إمبراطورية أسرة تانغ مع الإمبراطورية العربية متاخمة مباشرة قد نشطت الاتصالات بين الطرفين من جهة، ومن جهة أخرى، قدمت تسهيلات لتلك الاتصالات. عندما قرر الخليفة العباسي المنصور أن يبني عاصمته الجديدة في بغداد قال: «هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البحر.» فعبرت كلمته أن العلاقة بين الصين والعرب في أسرة تانغ الملكية ودية ووثيقة.

في أسرة تانغ وحدها، ابتداء من السنة الثانية ليونغهوي (سنة ٦٥١) حتى السنة العاشرة لجنيوان (سنة ٧٩٨)، خلال ١٤٨ سنة، بعثت داشي (أي تازي،

يعني الإمبراطورية العربية ) رسلها إلى الصين ٣٧ مرة، وهذا الاحصاء قد يكون ناقصًا، أما عدد الرسل الذين بعثتهم الصين إلى العرب فلم تذكره الكتب التاريخية، ونعتقد أن ذلك حدث أيضًا. ويمكننا أن نلاحظ من كثرة عدد الرسل العرب المبعوثين إلى الصين (أربع مرات في سنة واحدة) ومن غزارة الهدايا النفيسة التي وهبها إليهم الأباطرة الصينيون، أن بعض أولئك الرسل كانوا تجاراً يسعون وراء الأرباح الطائلة تحت ستار الاتصالات السياسية.

في أسرة تانغ كانت المواصلات البحرية سهلة متطورة، فوصل كثير من العرب إلى الصين. وقد سجل «كتاب سجل مقاطعة فوجيان» أن تلميذ محمد الثالث وتلميذه الرابع وصلا إلى تشيوانتشو (مدينة الزيتون) للدعوة إلى الإسلام وعندما توفيا دفنا في جبل الروح. وفي عهد الإمبراطور تانغ سوتسونغ (سنة ٧٦٠) عندما طارد تيان شن قونغ ليوي تشان المتمرد، «مات آلاف من تجار داشي والتجار الفرس» في مدينة يانغتشو. وورد في «سلسلة التواريخ» رحلة التاجر سليمان: «ان مدينة قوانغتشو (ذكرت في رحلة ابن بطوطة باسم مدينة صين كلان أو مدينة صين الصين) مدينة تتجمع فيها البضائع العربية.» وذكر المسعودي أيضًا أن السفن من البصرة وسيراف وعمان وغيرها كانت تصل دائمًا إلى مدينة قوانغتشو للتجارة.

وسجل أبو زيد الحسن أنه كان في مدينة قوانغتشو ١٢ ألفًا من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس. ومن هنا نلاحظ أنه كان في الموانئ الدولية الهامة الصينية، في عهد أسرة تانغ، مثل تشيوا نتشو ويانغتشو وقوانغتشو كثير من العرب. وكان أغلبيتهم من التجار، وأكثرهم يقيمون في قوانغتشو.

بعدما عاد التاجر العربي سليمان إلى بلاده ألف كاتب آخر كتابًا عن رحلته في سنة ٨٥١ حسب ما ذكره. وأضاف عليه أبوزيد الحسن ملاحظات وفقًا

لمشاهدات الآخرين في سنة ٩١٦م. وهذا هو الكتاب المشهور «سلسلة التواريخ» (رحلة التاجر سليمان السيرافي) وهو أول المؤلفات العربية التي تحدثت عن أحوال الصين حسب معرفتنا إلى اليوم.

في أسرة تانغ بدأ تعيين مراقبي السفن والأسواق (المحتسبين) تحت رئاسة الوزير المفوض في جنوب الصين، وكانت مهمتهم الإشراف على التجار الأجانب من العرب وغيرهم. «يخصص لهم حي خاص. وأمر التجار الأجانب أن يتاجروا في سوق معينة، وتجمع منهم ضريبة خفيفة تدفع إلى الحكومة» ونفذ بعض الموظفين المحليين سياسة جبي الضريبة الخفيفة التي وضعتها أسرة تانغ تنفيذاً جيداً، وبعضهم الآخر كان «يشتري النفائس بطريقة الابتزاز»، وعندئذٍ حدث ما ذكرته «سلسلة التواريخ» بأن الحكومة الصينية كانت تجبي ضريبة ٣٠٪ على بضائع التجار الأجانب المستوردة.

أثار ابتزاز هؤلاء الموظفين استياء التجار الأجانب. فنزل الأمر الإمبراطوري في السنة الثامنة من تانغ ون تسونغ (سنة ٨٣٤) قال فيه: «إنني قلق على عدم اطمئنان التجار الأجانب وثقل الضرائب ويجب ان أعتني بهم وأعطف عليهم ويجب ان نرسل واليًا مراقبًا إلى قوانغدونغ وفوجيان ويانغتشو للعناية بالتجار الأجانب والاهتمام بهم ونعطيهم الحرية التامة في التجارة، ولا يسمح بجبي الضرائب الفادحة، ما عدا ضرائب حمولة السفن الراسية والبضائع المستوردة الخاصة والهدايا المقدمة إلى القصر.»

كانت حكومة تانغ الملكية تحترم العقيدة الدينية للتجار العرب وتقاليدهم وعاداتهم وسمحت ببناء مساجد في بعض المدن الصينية.

وفي قوانغتشو، «أرسل الإمبراطور الصيني إليها مسلمًا، لكي يشرف على الشؤون القضائية للمسلمين الذين ذهبوا إلى هذه المدينة للتجارة (بإذن الإمبراطور الصيني).

ويؤمهم في أداء الصلاة ويلقي الخطبة والوعظ ويطلب من الله البركة لسلطان الدولة الإسلامية في كل أعيادهم. وكان التجار العراقيون يخضعون له دائمًا.»

في نفس الوقت الذي وصلت فيه السفن التجارية العربية إلى الصين، كانت السفن التجارية الصينية تصل بعيداً إلى عمان وسيراف والبحرين والأبلة والبصرة وبغداد وغيرها، وتقوم بالنشاطات التجارية مع التجار المحليين. وكانت من ضمن البضائع المصدرة من الصين الحرير، الأطلس، الخزف، الورق، المسك، عود الند، فرو السمور الأسود والسروج وغيرها. بل وصلت البضائع الصينية أيضًا إلى عدن. وكانت في بغداد أسواق خاصة لبيع الحرير والخزف الصيني وغيرها من البضائع الصينية.

كان العرب يحبون الخزف الصيني حبًا عظيمًا فسموه «الصيني» وكان الخزف الصيني بضاعة رائجة في مناطق عربية مختلفة. وإن الخزف الصيني القديم من مختلف العصور الذي يعرض في متحف بغداد وقصر العظم بدمشق ومتحف مسقط، لهو برهان للصداقة الصينية العربية في العصر القديم. وقلد العرب صنع الخزف الصيني منذ زمن مبكر جداً. وبعدما انتقل فن صناعة الخزف الصيني إلى العرب في القرن الحادي عشر ازدهرت صناعة الخزف العربية. ثم نقل العرب فن صناعة الخزف الصيني إلى البندقية في إيطاليا في القرن الخامس عشر، ومن ثم بدأت أوروبا إنتاج الخزف.

في أسرة تانغ، كانت المواصلات البرية بين الصين والعرب نشيطة أيضًا. وكانت الطريق من بلاد العرب عبر سمرقند إلى الصين سهلة المرور، إن تماثيل جمال تانغ الملونة بثلاثة ألوان التي بعضها يمثل جمال آسيا الوسطى ذات السنامين وبعضها الآخر يمثل الجمال العربية ذات السنام الواحد، جسدت

بأشكالها وأوضاعها المختلفة، بعضها ترغو رافعة رأسها، وبعضها الآخر منبطحة على الأرض، والأخرى تحمل الحرير أو الجوقة الموسيقية، جسدت بصورة حية المناظر المزدهرة لـ«طريق الحرير» في أسرة تانغ.

إن أهم حدث عظيم المغزى في العلاقة الاقتصادية بين الصين والعرب هو انتقال فن صناعة الورق إلى العرب في عهد أسرة تانغ الملكية. وقبل ذلك كان العرب يستخدمون ورق البردي والرق الثقيل والصعب الاستعمال. وتحسنت هذه الحال بعد انتقال الورق الصيني إلى العرب. كانت أسرة تانغ وداشي الأسود (الدولة العباسية) تتنازعان على طشقند في آسيا الوسطى، وفي معركة تالاس في سنة ٧٥١ أسرالعرب بعض الجنود الصينيين الماهرين في صناعة الورق. فنقل هؤلاء الجنود فن صناعة الورق إلى العرب، فأسس العرب بعد ذلك تباعًا مصانع الورق في سمرقند وبغداد ودمشق وتهامة (على الساحل الغربي من الجزيرة العربية) ومصر والمغرب وغيرها. ومن ثم نقل العرب فن صناعة الورق إلى أوروبا. إن انتقال فن صناعة الورق الصيني إلى العرب قد لعب دوراً عظيمًا في تشكيل الحضارة العربية الإسلامية الباهرة وتطورها وفي نهضة الفن والأدب الأوروبية في العصور الوسطى.

وشهدت التجارة الصينية العربية الانحطاط حقبة من الزمن في أواخر أسرة تانغ وعهد الأسر الخمس الملكية، وذلك بسبب الاضطراب السياسي داخل الصين وبسبب انتهاك وظلم بعض الحكام والموظفين للتجار الأجانب.

في أسرة سونغ الملكية (٩٦٠ - ١٢٧٩م)، ازداد يومًا فيومًا عدد التجار العرب الذين جاءوا إلى الصين، فتطورت العلاقة الصينية العربية تطوراً عظيمًا. ابتداء من السنة الثالثة لعهد تيان تسان في أسرة لياو الملكية (سنة ٩٢٤م) إلى عهد كايشي في اسرة سونغ (سنة ١٢٠٧م)، أرسلت داشي بصورة

رسمية رسلها إلى الصين ٣٩ مرة. وكان كثير منهم مبعوثًا من قبل الحكومات المحلية، مثل سلطنة السلاجقة والموصل وغيرهما وبالمقارنة مع أسرة تانغ، كانت النسبة الكبرى من الرسل في واقع الأمر من أصحاب السفن والتجار، وكان ذلك له علاقة مع انحطاط وضعف الإمبراطورية العربية آنذاك، وتغير وضعهم كرسل في عهد أسرة سونغ، فكان ذلك سببًا وثيقًا لتطور التجارة الصينية العربية أكثر فأكثر في أسرة سونغ.

في أسرة سونغ، كانت السفن الصينية تصل دائمًا مصب نهر الفرات (شط العرب) وعدن والصومال وغيرها للتجارة، وكانت البضائع الصينية التي نقلت إلى البلدان العربية هي الخزف، الحرير، الذهب، الفضة، العملة النحاسية، الحديد، السكاكين، السيوف، جلد القرش، المخمل والمنسوجات النباتية وغيرها. أما السفن العربية التي كانت تصل الصين، فكانت تقلع غالبًا من عدن أو صحار في عمان، والبضائع التي كانت تحملها إلى الصين هي اللبان والعنبر واللؤلؤ وماء الورد والعقيق وقرن الكركدن والعاج والأواني الزجاجية وغيرها.

وكان اللبان والعنبر من الإنتاج العربي الخاص. وحسب احصاء التجارة الخارجية في السنة العاشرة من عهد شينينغ لسونغ شين تسونغ (سنة ١٠٧٧) كانت كمية اللبان المستورد في قوانغتشو وحدها بلغت أكثر من مائة وسبعين ألف كيلو غرام. وكان اللبان من البضائع الخاضعة للبيع الموحد في أسرة سونغ فكان تحت سيطرة الحكومة.

«ماعدا الشاي والملح والزاج، كان اللبان وحده مصدراً للربح العظيم.» وفي أسرة سونغ وكذلك في أسرة تانغ ويوان ومينغ استعملت أوساط الطب الصيني والصيدلية الصينية، الأدوية العربية، وظلت أسماء بعض الأدوية العربية مستعملة مثل المر والحلبة والإهليلج وغيرها. وبعدما نقل الطب العربي

والصيدلة العربية إلى الصين، أغنت بصورة أكثر كنز الطب الصيني والصيدلة الصينية.

وتأسست في «المستشفى الإمبراطوري»«دائرة النعمة الواسعة» التي كانت تقوم بدراسة الأدوية العربية وصناعتها واستعمالها. وقد ذكر لي شي تشين عالم الطب الكبير من اسرة مينغ في مؤلفه «الخلاصة الوافية في الأدوية الشافية» كثيراً من الأدوية العربية.

## الأديان في الصين:

الديانة البوذية أكبر الأديان في الصين منذ قديم الزمان، فقد ذكرت السجلات التاريخية أن دين بوذا انتشر شمال غربي الصين في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد دخل إلى الصين من الهند موطنه الأصلي .

وفي بداية الأمر شاعت تعاليم ماهايانا البوذية في منطقة قومية الخان وهي تتلخص فيما يلي: «الانعتاق الذاتي» و«إنقاذ الجنس البشري».

و(التاوية) هي دين من أديان قومية (الخان) أكبر القوميات في الصين انتشرت في القرن الأول الميلادي، وهي تقوم في أول الأمر على عبادة الأرواح والطبيعة والآلهة.

ثم تحولت إلى مذهبين كبيرين بعد القرن الرابع عشر الميلادي بقليل أحدهما يؤكد على المحافظة على الطبيعة الأصلية أي أن يؤدي المرء الشعائر الدينية بجدية حتى يتحول إلى ناسك يزهد في الدنيا.

وثانيهما يؤكد على العودة إلى الوحدة الحقيقية، وأصحاب هذا المذهب يؤمنون بالأحجبة (التاوية) السحرية، وكان الصينيون القدماء من (الخان) يعبدون الأصنام والآلهة الخاصة بهم لذا اختلط أتباع الديانتين: (التاوية)

والبوذية الصينية القديمة وصعب على الأجانب تمييز البوذيين من التاويين وتقول الإحصاءات إنه عندما قامت الثورة الشيوعية في الصين كان في كافة أنحاء الصين نصف مليون راهب وراهبة من البوذيين، وثمانية آلاف كاهن وكاهنة من التاويين.

ولا تزال المعابد البوذية والتاوية ماثلة في الصين، وقد أثرت في عادات الصينين من (الخان) وثقافتهم.

أما الدين المسيحي. فقد سجلت المدونات الصينية القديمة أن الدين المسيحي نقل إلى الصين ثلاث مرات في التاريخ فنقل أول مرة في القرن الثامن الميلادي وقد سمى بـ «دين النسطورية» آنذاك، فعاش في الصين ثلاثمائة سنة ثم اندثر على مر الزمن.

ثم عاد إلى الصين مرة ثانية عام ١٢٩٤ فاوصله إلى خانبالي (بكين، حاليًا) لأسرة يوان (١٢٧١ - ١٣٦٨) منتيكورفينو المبشر الإيطالي من جماعة الفرنسيسكان ثم اندثر بعد حين من الدهر.

ثم أتى إلى الصين مرة ثالثة في أواخر القرن السادس عشر، فوصل به إلى بكين المبشران متى ريتشي ويوحنا آدم شال فون بل وهما مبشران من اليسوعيين الكاثوليك فأقاما كنيسة كاثوليكية في الصين. ولم تنتشر تعاليمها الدينية في الصين سوى مائة سنة. وقالت إحصائية الكنائس في أوائل التحرير عام١٩٤٩: يبلغ عدد المسيحيين في الصين ثلاثة ملايين و٧٠٠ ألف نسمة على مذهب البروتستانتية.

**الكنفوشيوسية:**

ولد كنفوشيوس عام ٥٥١ قبل الميلاد لأب من عائلة ارستقراطية لم تكن ميسورة الحال، وتوفى وابنه في الثالثة من عمره. واشتهرت أمه بالاستقامة وأنشأته نشأة فيها الحزم والشدة وظهرت لديه الميول إلى التعليم والعلم.. نهل من الشرائع والطقوس القديمة. ولما بلغ الثلاثين من عمره.. شهر بسعة معارفه واصبح له تلاميذ يعلمهم.

وقد شغل في شبابه عدة مناصب. كان يجري المحاسبات ويجمع الأعشار من أهراء أسرة ثرية، وفيما بعد أخذ يشرف على رعي القطعان في المراعي العامة.. ثم عمل موظفًا صغيراً. وقد أمضى ثلاثة أشهر وزيراً للعدل في دويلة لو-مقاطعة شاندونغ الحالية- وهو أعلى منصب شغله، وتركه بسبب الاضطرابات السياسية هناك.

**قال كنفوشيوس:**

إن الخير وهو جوهر التفكير الكنفوشي، قد أصبح المثال للسلوك في المجتمع الصيني.. ينبغي للمرء أن يحب والديه ويحترم الأكبر منه وأن يعطف على اشقائه وأن يكون كريمًا ومتفاهما مع كل إنسان.. وينبغي للمرء أن يتحلى بالقدرة على مقابلة الخطيئة بالفضيلة. كما أكد كنفوشيوس على الولاء والاحترام للسلف. ومن تعاليمه الشهيرة: لا تفعل للآخرين ما لا تحبه لنفسك.

وقد أدى تأكيد كنفوشيوس الشامل على الاستقرار والنظام إلى التأكيد على البنية الاجتماعية في ترتيب مسلسل على أنها المثال. وقد نادى بوجوب ان يطيع الأبناء آباءهم والزوجات أزواجهن والرعية مليكها طاعة مطلقة.

وقد أصبح الكثير من اقواله حكمًا واقوالاً مأثورة. ومما قال اذا تعلمت من غير أن تفكر فلن تفهم شيئًا. وإذا فكرت من غير أن تتعلم فقدت نفسك. وكان دائمًا ما يحض على التعليم: إذا ما مشيت مع اثنين آخرين فلربما اتخذتهما معلمين لي. وكان يقول: عندما نرى أناسًا من أهل الفضيلة وجب ان نفكر في مضاهاتهم. وعندما نرى اناسًا ذوي طبيعة مناقضة وجب ان نتغلغل في أنفسنا ونتفحصها.

هذا وقد توفي كنفوشيوس عام ٤٧٩ قبل الميلاد.

# التقسيم الإداري في الصين

تقع الصين في الجزء الشرقي من قارة آسيا، على الساحل الغربي من المحيط الهادي، ومساحتها حوالي ٩,٦ ملايين كيلو متر مربع، وسكانها ١٠٣٧ مليون نسمة تقريباً وبها ٥٥ قومية علاوة على قومية الخان التي تشكل ٩٢٪ تقريباً من مجموع السكان في الصين.

والصين دولة اشتراكية والمجلس الوطني لنواب الشعب هو الهيئة العليا لسلطة الدولة ومجلس الدولة هو الجهاز التنفيذي للهيئة العليا لسلطة الدولة.

التقسيمات الادارية لجمهورية الصين الشعبية كما يلي:

٢٢ مقاطعة. و٥ مناطق ذاتية الحكم. و٣ بلديات خاضعة راساً للادراة المركزية. ٤- بكين عاصمة جمهورية الصين الشعبية.

ومن جهة الأحوال التضاريسية، نجدها مقسمة إلى ٦ أجزاء: شمال شرق الصين، شمال الصين، شرق الصين، جنوب الصين الأوسط، جنوب غرب الصين، شمال غرب الصين. في الشمال الشرقي: مقاطعة هيلونغجيانغ، مقاطعة جيلين، مقاطعة لياونينغ.

في شمال الصين: بكين، تيانجين، مقاطعة خبي، مقاطعة شانشي، منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم.

في شرق الصين: مقاطعة شاندونغ، مقاطعة آنهوي، مقاطعة جيانغسو، مقاطعة تشجيانغ، مقاطعة فوجيان، مقاطعة جيانغسي، شانغهاي اكبر المدن في الصين، مقاطعة تايوان امام مقاطعة فوچيان.

في جنوب الصين الأوسط: مقاطعة خنان، مقاطعة هوبي، مقاطعة هونان، مقاطعة قوانغدونغ. منطقة قوانغشي الذاتية الحكم لقومية تشوانغ. في مقاطعة قوانغدونغ جزر دونغشا وجزر شيشا وجزر نانشا الاستوائية في بحر الصين الجنوبي.

في جنوب غرب الصين: مقاطعة يوننان، مقاطعة قويتشو، مقاطعة سيتشوان، منطقة التبت الذاتية الحكم.

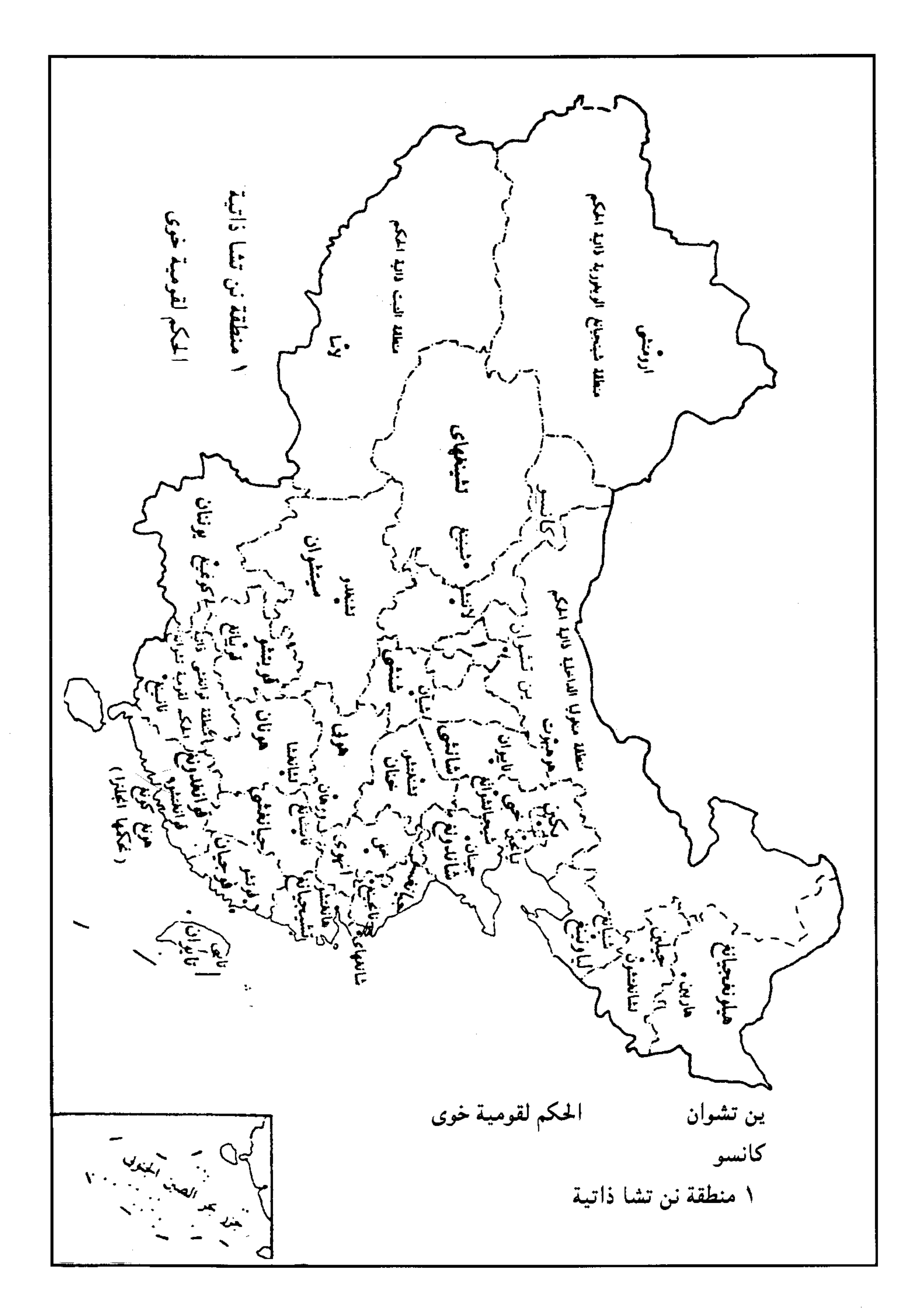
في شمال غرب الصين: مقاطعة شنشي، مقاطعة كانسو، مقاطعة تشينغهاي ومنطقة نن تشا الذاتية الحكم لقومية خوى، منطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم.

في هذه الوحدات الادارية، مقاطعة سيتشوان اكبر المقاطعات تعداداً بالسكان: ١٠٠ مليون نسمة، تشكل ١٠٪ من مجموع السكان في الصين تقريبًا. منطقة نن تشا الذاتية الحكم لقومية خوى (اقل الوحدات سكانًا) ٣,٧٤ ملايين نسمة. ومنطقة شينجيانغ الويغورية الذاتية الحكم أكبر المناطق مساحة في الصين..أي ما يزيد على ١,٦ مليون متر مربع، تشكل سدس مساحة الصين، ولكنها تحوي ١٢ مليون نسمة ويزيد ١٠ أفراد لكل كيلو متر مربع تقريبًا. وعلى العكس من ذلك نجد ٥٠٠ نسمة لكل كيلو متر مربع في مقاطعتي شاندونغ وتايوان. ومناخ شينجيانغ جاف، كمية المطر ٣٠ مليمتراً في أغلب مناطقها. وفي مقاطعة قوانغدونغ الواقعة في المنطقة المدارية، معدل المطر اكثر من ٥٠٠ ميلمتر في السنة.

ان الصين دولة موحدة متعددة القوميات، ولذا تأسست فيها مناطق ذاتية الحكم بأسماء مشتقة من قومياتها. فمثلاً منطقة نن تشا الذاتية الحكم لقومية خوي. ومنطقة شينجيانغ الويغورية أي سينكيانغ الذاتية الحكم. ويعتنق السكان في المنطقتين الدين الإسلامي.

ومنطقة التبت الذاتية الحكم. ومنطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم، وأغلب السكان في المنطقتين يدينون بدين لاما. ومنطقة قوانغشي الذاتية الحكم لقومية تشوانغ. وبالإضافة إلى ذلك، تأسست ولايات ومحافظات ذاتية الحكم للاقليات القومية في بعض المقاطعات. مقاطعة يوننان على سبيل المثال: ليست منطقة ذاتية الحكم، ولكنها زاخرة بالاقليات القومية، فتأسست هنالك ٩ ولايات ذاتية الحكم و١٩ محافظة ذاتية الحكم للاقليات القومية. وتوجد ٢٩ ولاية مماثلة ذاتية الحكم للاقليات القومية، كما توجد ٧٥ محافظة أو لواء ذاتية الحكم للاقليات القومية في الصين.

بالاضافة إلى الوحدات الادارية من مستوى المقاطعة والمنطقة الذاتية الحكم والبلديات في الصين، توجد وحدات ادارية دون المقاطعة.. تأسست هذه الوحدات الادارية في المناطق الادارية الخاصة التابعة للمقاطعات - وتوجد وحدات إدارية من مستوى المدينة والمحافظة تحت إدارة المناطق.. انها وحدات ادارية رئيسية في الصين. وتوجد ٢٢٠ مدينة و٢١٣٧ محافظة (تشمل ألوية).




خريطة المقاطعات والبلديات الخاضعة رأسا للإدارة المركزية ومناطق الحكم الذاتي في الصين

## العلوم الإسلامية في الصين:

استكمالاً للفائدة رأيت أن أثبت هنا مقالاً سلمه لي باليد الأستاذ الشيخ الحاج/ عبدالرحمن ناجون أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي بجامعة اللغات الأجنبية ببكين - الصين؛ بعنوان(العلوم الإسلامية في الصين) وهو من المتخرجين من الأزهر وقد اجتمعنا به في بكين كما سيأتي في اليوميات إن شاء الله تعالى. قال:

دخل الإسلام في الصين منذ أكثر من ١٣٠٠ سنة، بلغ عدد المسلمين حوالي خمسة عشر مليون نسمة ينتسبون إلى عشر قوميات. وقد قدّموا مساهمتهم في بناء البلاد وتطوير أواصر الصداقة مع شعوب الدول العربية الإسلامية ومع كافة المسلمين في أنحاء العالم. شأنهم شأن أبناء القوميات الأخرى.

قال النبي محمد عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا العلم ولو بالصين».

واتباعًا لهذا الحديث الشريف أوفد الخلفاء مندوبيهم الدبلوماسيين إلى الصين. وقد وصل الوفد الأول المبعوث من قبل الخليفة عثمان بن عفان إلى مدينة تشانغآن عاصمة الصين آنذاك في اليوم الثاني من صفر سنة ٣١هـ الموافق لـ ٢٥ آب (أغسطس) سنة ٦٥١م في عهد أسرة تانغ كما قوبل بالاستقبال من قبل إمبراطور الصين إيذانًا بتدشين جسر الصداقة بين الصين والعرب. ومنذ القرن السابع جاء المسلمون العرب إلى الصين للتجارة عن طريق البحر والبر حسب ما جاء في الروايات التاريخية. ويمتد طريق البحر من شبه جزيرة العرب إلى مدن قوانغتشو (كانتون) وتشيوانتشو (الزيتون) وهانغتشو ويانغتشو حتى تشانغآن عاصمة الصين عبر خليج منّار وخليج بنغال ومضيق وبحر الصين الجنوبي بينما يمتد طريق البر من فارس وأفغانستان إلى تشانغآن عبر مقاطعة شينجيانج.

وبفضل استيطان بعض هؤلاء المسلمين القادمين في الصين، واعتناق بعض الصينيين للإسلام فقد أنتشر الإسلام في الصين بالتدريج، خلال أكثر من ألف وثلاثمائة سنة. وقد قدم المسلمون الصينييون مساهماتهم في مختلف المجالات. دعونا نتكلم أولاً عن منجزاتهم العلمية وحماستهم في استقصاء المعارف.

قام المسلمون الصينيون بدراسة العلوم التي يتخصص بها المسلمون العرب وإدخالها إلى الصين وخاصة علم الطب والرياضيات والفلك، أما الأدوية والوصفات والمعلومات الطبية الأخرى التي نقلوها إلى الصين فقد ذكرت في صفحات كثيرة من كتاب «أصناف العقاقير الصينية» الذي طبع في القرن الثاني عشر، وكتاب «الموسوعة الطبية الصينية» الذي طبع في القرن السادس عشر. وكان المسلمون الصينيون يقومون برصد أحوال الجو بمساعدة علم الفلك العربي والفارسي. وفي القرن الثالث عشر أنشئت إدارة إسلامية خاصة بمراقبة الأرصاد الجوية ووضع التقويم الصيني. وفي سنة ١٢٦٧ اخترع الفلكي المسلم جمال الدين «المنواة المتعددة الحلقات» و «المنواة الموجهة» و «الكرة السماوية» و «الكرة الأرضية» ... إلخ.

وكان التقويم الهجري مرجعًا لوضع التقويم الصيني على مدار أربعمائة سنة ابتداء من أواسط القرن الثالث عشر. وفي عام ١٣٨٢ تكللت جهود أحد مشايخ المسلمين بالنجاح في ترجمة الكتب العربية الخاصة بالتقويم والجغرافيا والفلك مما كسب الإطراء من قبل بلاط الإمبراطور، وحيث أن الرياضيات هي أساس علم الفلك فقد انتقلت الكتب الرياضية العربية هي الأخرى إلى الصين في الوقت بالذات. وقد أثبتت ذلك السجلات التاريخية في عهد أسرة يوان. ومن جراء ذلك انبثقت أعداد كبيرة من الأكفاء في علم الفلك والرياضيات من بين المسلمين الصينيين في عهد أسرتي يوان ومينغ.

وقد عرف المسلمون الصينيون بمهارتهم الفائقة في البناء المعماري.

ففي الأيام الأولى من قدومهم إلى الصين بنوا مساجد في تشانغآن وقوانغتشو وتشيوانتشو وهانغتشو تيسيراً لأداء شعائرهم الدينية، من ذلك أن مسجد هانغتشو الذي بناه علاء الدين في القرن الرابع عشر كان قد نال ثناء الرحالة العربي ابن بطوطة وقت زيارته للصين.

وقد رمم هذا المسجد مرات عديدة فهو لا يزال باقيًا حتى وقتنا الحاضر. وقد تكلف اختيار علاء الدين البنّاء المرموق بمهمة تخطيط بناء القصور للإسرة الملكية سنة ١٢٦٦م مما أرسى أساسًا لبناء قصر الإمبراطور الحالي ببكين.

كان تعلم المسلمين الصينيين للفكر الإسلامي يجري عن طريق التلقين الشفوي. وقد بدئ، في أواخر القرن السادس عشر، بالتعليم الديني في مساجد مقاطعة شنشي. ومن هنا صار في كل مسجد عدة طلاب يتعلمون من إمامه القرآن الكريم والحديث والفقه والتوحيد وكذلك اللغة العربية والفارسية.

لقد ظل التعليم الإسلامي الصيني ينهج هذا النظام التعليمي الاستثنائي. ومع ذلك فقد توصل إلى إعداد الآلاف المؤلفة من أئمة المساجد الذين لا يستغنى عنهم للمسلمين الصينيين، مما جعل الدين الإسلامي باقيًا في الصين على مدى أكثر من ألف سنة. إن ذلك لمن الإسهامات التاريخية التي قدمها التعليم الديني داخل المساجد في نشر الدين الإسلامي في الصين، وما عدا هذا فقد تمخض ذلك عن إعداد مجموعات من فحول العلماء الإسلاميين الذين مكنهم تفانيهم في دراسة الشريعة الإسلامية من تأليف الكثرة الغامرة من الكتب الإسلامية القيمة باللغتين العربية والصينية. وأشهرهم الشيخ «وانغ داي يوي» (حوالي ١٥٦٠ - ١٦٦٠م) صاحب كتاب «توضيح الدين الحنيف» ، والشيخ «ماتشو» (١٦٤٠ - ١٧١١م) صاحب كتاب «إرشاد الإسلام» ،

والشيخ «ليوتشه» (١٦٦٠ - ١٧٢٠م) صاحب كتب «أحكام الإسلام» و «حقائق الإسلام» و «سيرة خاتم الأنبياء»، والشيخ «مافوتشو» صاحب كتاب «صفوة أصول الإسلام الأربعة»... إلخ ولم تكن هذه المؤلفات الدينية تتناقلها أيدي الجموع الغفيرة من المسلمين جيلاً بعد جيل فحسب بل فتحت لغير المسلمين نافذة على تعاليم الإسلام هي الآخرى.

وصفوة القول أن التعليم الديني داخل المساجد الصينية قد لعب دوراً لا يستهان به في نشر وتنمية الإسلام في الصين.

وبعد أن وضعت حرب الأفيون عام ١٨٤٠ أوزارها تضاءل شأن الصين حتى أصبحت بلداً شبه إقطاعي وشبه مستعمر. ومن أجل إنقاذ البلاد من الانهيار، هب أبناء الشعب الصيني في النهوض بحركة الإصلاح العارمة.

وفي ظل ذلك انتاب أصحاب الهمة من المسلمين الصينيين شعور عميق بأن التعليم الديني الإسلامي التقليدي في الصين بقى عاجزاً عن مواكبة مقتضى العصر بحيث تملكتهم الرغبة الشديدة في إصلاح التعليم الديني الصيني. ففي عام ١٩٠٧ لجأ الطلاب المبعوثون من المسلمين الصينيين إلى اليابان، أول ما لجأوا، إلى تأسيس منظمة ما يسمى بـ «جمعية التعليم الإسلامي للطلاب المسلمين الصينيين الموجودين في طوكيو» كما أصدروا أول عدد من مجلة «توعية المسلمين» - وهي أكبر مجلة من نوعها في الصين - وقد أبدوا في هذا العدد آراءهم المسايرة لمقتضى العصر حيال تجديد وتطوير التعليم الإسلامي الصيني خاصة وأن ثورة ١٩١١ التي قادها الدكتور «صن يات صن» من اجل الاطاحة بآخر اقطاعية في الصين، وان حركة «٤ مايو» ١٩١٩ الوطنية ذات الشهرة العالمية لمعارضة الإمبريالية والإقطاع، قد زادتا من تهييج حماسة المسلمين الصينيين الوطنية وإشعال غيرتهم لرفع شأن البلاد. وبتأثير من هذا الوضع ودفعه أدخلوا بعض التجديدات على التعليم الإسلامي الصيني.

وفي وقت أبكر من ذلك، كان الامام الشهير «ما ليان يوان» (١٨٤١ - ١٨٩٥م) من مواليد مقاطعة يوننان، تلميذ الشيخ «مافوتشو» قد نادى قبل غيره بالتعليم باللغتين الصينية والعربية معًا. وقد ألف وترجم كثيراً من الكتب الإسلامية باللغتين المذكورتين أعلاه، وقام بتحرير الآيات القرآنية المقرونة بالترجمات الصينية بجانب انجازه مشروعًا ضخمًا: طباعة أول مصحف من القرآن الكريم نقش على الخشب، بفضل دعم السيد «دوون شيو» زعيم انتفاضة المسلمين الصينيين وقتئذ، وقد بلغ عدد من تتلمذ عليه أكثر من الف شخص بمن فيهم كثير من العلماء النابغين في أنحاء بلاد الصين.

## العلاقة بين الصين والعرب في القرون الوسطى:

لقد أتسعت التجارة بين الصين وبلاد العرب منذ القرن السادس الميلادي وزاد اتساعها منذ القرن السابع حتى القرن الرابع عشر الميلادي، وقد سلكت التجارة الصينية العربية طريقين رئيسيين في القرون الوسطى:

أحدهما كان طريقًا بريًا من بغداد إلى تشانغان عبر إيران وسط آسيا حيث طريق الحرير المعروف، وذلك كما كان في عهد أسرة خان الملكية.

أما الطريق الآخر فكان يبدأ كذلك من بغداد ويمر الخليج العربي (الفارسي) والمحيط الهندي ثم يجتاز شبه جزيرة الملايو وينتهي في كانتون وكثيراً ما كانت تُرَى في مدينة بغداد عاصمة العباسيين السفن والبضائع الصينية وعلى الأخص ، الحرير والخزف الصيني والورق والمسك حيث تباع في سوق خاصة للبضائع الصينية وفي تشانغان كان التجار العرب والفرس يَعْرِضون بضائعهم في «السوق العربية».

واقوى الأدلة التي تدل على نفوذ الصين البحري بالخليج العربي (الفارسي) في القرن التاسع من الميلاد وجود فلوس الصين بسيراف، ولقد ذكر ابو زيد

الحسن أن هذه الفلوس مصنوعة من نحاس واخلاط من غيره ومعجونة به وفي وسط الفلس ثقب واسع يدخل الخيط فيه وقيمة كل الف فلس مثقال من ذهب وينظم الخيط فيها الف فلس فاذا ابتاع أحد ضياعًا أو بغلاً فما فوقه دفع من هذه الفلوس على قدر الثمن وهي موجودة في سيراف وعليها نقش لكتابتهم.

وكانت السفن العربية في عهد أسرة تانغ الملكية ترسو بشكل رسمي في كانتون وخلال عهد أسرة سونغ الجنوبية الملكية (١١٢٧-١٢٧٩م) كانت معظم التجارة البحرية تذهب إلى هانتشو في مقاطعة تشكيانغ، أما خلال عهد أسرة يوان الملكية (١٢٨٠ - ١٣٦٨م) فكانت تذهب إلى تشوانشو في مقاطعة فوكيان وكان هذا الميناء مزدهراً حتى إن الرحالة العربي المشهور ابن بطوطة الذي زاره في القرن الرابع دعاه «المركز التجاري للعالم» ومن ابرز ما كان يجلبه التجار العرب للصين الياقوت والجواهر واللآلي والاحجار الكريمة والعطور والعقاقير.

لقد استقر كثير من التجار العرب في الموانئ على طول ساحل الصين الشرقي. وكان بعضهم يأتي في فترات مختلفة من مراكزهم التجارية في مختلف الجزر ومحلات تجارية في الصين نفسها وكانوا قد كسبوا ثروة طائلة في الصين.

## العلاقة الدبلوماسية بينهما في القرون الوسطى:

كانت العلاقة الدبلوماسية بينهما في القرون الوسطى (السفارات) قد بدأت في زمن الخلفاء الراشدين ففي عام ٦٥١م قام أول أتصال دبلوماسي بين الصين والامبراطورية العربية وكان عبارة عن بعثة ارسلها الخليفة عُثمان بن عفان للامبراطور «كاتسنغ» من اسرة تانغ الملكية. ويتضمن تاريخ الأسرة الحاكمة الصينية في ذلك العهد فصلاً يعرف بـ «سجل تَاشِيه» (كتاب تاريخ العرب) يصف جغرافية ومنتجات العالم العربي.

ومن تاريخ «تانغ» نعرف ان سبع عشرة سفارة إلى عاصمة الصين في زمن الأمويين.

وبقيام الدولة العباسية في سنة ٧٤٩م بدأت العلاقة الدبلوماسية بين خلفاء بغداد واباطرة الصين، وأهم السفارات التي وقعت في هذا العهد ما كان مبعوثًا من قبل أبي العباس مؤسس الدولة العباسية وابي جعفر المنصور مؤسس مدينة بغداد وهارون الرشيد بطل قصص «الف ليلة وليلة» وكان العباسيون في تاريخ الصين معروفين باسم «خبي تاشي» اي العرب ذوي الملابس السود تميزوا عن الامويين الذين عرفوا باسم «بيي تاشي» اي العرب ذوي الملابس البيض وقد سجل تاريخ الصين زهاء ٣٧ بعثة عربية خلال اسرة تانغ الملكية (٦١٨-٩٠٧م) وقد ذكر أبو زيد الحسن في كتابه ان رفيقه ابن وهب قد قدم إلى عاصمة الصين آنذاك تشانغان (حاليًا سيآن) وانه قد حظى بمقابلة الامبراطور شي توسنغ (في القرن التاسع) حيث لقى منه الإكرام واغدق عليه الكثير من الهدايا كما منحه امتيازاً خاصًا بالعودة إلى كانتون ممتطيًا حصان البريد.

وكانت السفارات العربية إلى الصين في اسرة «تسونغ» اكبر مما كان في اسرة تانغ. فقد ورد في المؤلفات التاريخية الصينية زهاء ٤٩ بعثة عربية خلال عهد اسرة تسونغ (٩٦٧-١١٦٨م) فكانت ارسلت بعثة واحدة لكل اربع سنوات تقريبًا.

ومعظم هذه السفارات كانت في قصد تحسين التجارة بين الصين والعرب فكانت أغلبها جاءت من قبل تحرير التجار العرب انفسهم أو من اصحاب السفن التجارية العربية أو من حكام أو امراء الولايات التابعة للدولة العربية. ويظهر ان اكثرها قد اختارت طريق البحر.

## تأثير علوم العرب في الصين:

ومنذ القرن السابع جاء المسلمون العرب إلى الصين للتجارة عن طريق البحر والبر حسب ماجاء في الروايات التاريخية، وبفضل استيطان بعض هؤلاء المسلمين القادمين في الصين واعتناق الصينيين للإسلام فقد انتشر الإسلام خلال اكثر من الف واربعمائة سنة وقد قدم المسلمون الصينيون مساهماتهم في مختلف المجالات. دعونا نتحدث أولاً عن منجزاتهم العلمية وحماستهم في استقصاء المعارف.

قام المسلمون الصينيون بدراسة العلوم التي يتخصص بها المسلمون العرب وإدخالها إلى الصين وخاصة علم الطب والرياضيات والفلك. أما الأدوية والوصفات والمعلومات الطبية الأخرى التي نقلوها إلى الصين فقد ذكرت في صفحات كثيرة من كتاب «اصناف العقاقير الصينية» الذي طبع في القرن السادس عشر. كان المسلمون الصينيون يقومون برصد احوال الجوّ بمساعدة علم الفلك العربي الفارسي وفي القرن الثالث عشر أنشئت ادارة خاصة بمراقبة الارصاد الجوية ووضع التقويم الصيني، وكان التقويم الهجري مرجعًا لوضع التقويم الصيني على مدار اربعمائة سنة ابتداء من اواسط القرن الثالث عشر. وفي عام ١٣٨٢ حاز احد المسلمين نجاحًا باهراً في ترجمة الكتب العربية الخاصة بالتقويم والجغرافية والفلك مما كسب المكافأة من قبل بلاط الامبراطور وحيث أن الرياضيات هي اساس علم الفلك فقد انتظمت الرياضية العربية هي الأخرى إلى الصين في الوقت نفسه. وقد اثبتت ذلك السّجلات التاريخية في عهد اسرة يوان المغولية. ومن جراء ذلك انبثقت اعدادكبيرة من الاكفاء في علم الفلك والرياضيات من بين المسلمين الصينيين في عهد اسرتي يوان ومينغ.

وقد تعلم الصينيون من الفلكيين العرب على الكثير من النجوم الاسماء التي تدعى لها حتى الآن. وفسّروا الافكار العلمية الأولى للنظام الشمسي وقد

اهدى جمال الدين في عام ١٦٦٧م إلى كوبلاي خان في بكين سبع ادوات فلكية تدعى لها بالعربية حتى الآن. وهي:

١- ذات حلق.
٢- ذات سموت.
٣- لخمة معوّج.
٤- لخمة مستوّى.
٥- كرة سماء.
٦- كرة أرض.
٧- استولات.

كما اهدى إليه جمال الدين نوعًا جديداً من الزيج عرف بـ «الزيج الدائم» واستخدم الزيج العربي جنبًا إلى جنب مع الزيج الصيني خلال أسرة مينغ الملكية (١٣٦٨-١٦٤٤م).

## تأثير الثقافة الصينية في العالم العربي:

### صناعة الورق:

لقد اظهر العرب في الأزمنة القديمة اعجابهم بالثقافة الصينية وتقديرهم لها، ففي القرن الثامن وصل فّن صناعة الورق إلى بلاد الخلافة وانشئ في مدينة بغداد المصنع الأول للورق عام ٧٩٤م كما دخلت الطباعة هناك في نفس الفترة، ثم انتقلت صناعة الورق إلى دمشق ثم إلى القاهرة والاسكندرية، ثم إلى صقلية ثم إلى اسبانيا وأوروبا، وبانتشار صناعة الورق في أوروبا تطورت العلوم والثقافات في أوربا، والفضل في ذلك يرجع إلى العمال الصينيين، وإلى العرب، وهذا ما يعترف به العالم ويتفق عليه علماء الشرق والغرب على السواء.

**صناعة الخزف:**

وقد أظهر العرب اعجابًا كبيراً بالخزف الصيني الذي يسمونه «صينيا» نسبة إلى الصين.

اقبل العمال في الشرق العربي على تقليد التحف الصينية اصابوا في بعض الأحيان نجاحًا يتفاوت مداه ولا ريب في ان بدء هذا التقليد يرجع إلى فجر الإسلام.

بدأ العرب في صنع الخزف على الطريق الصيني في القرن التاسع، فقد ظهرت هناك اكتشافات جديدة في «سامرا» عاصمة الخلافة العباسية في التاسع من الميلاد تؤكد وجود علاقات صناعية بين الصين وبين بلاد العرب لان من حفرات سامرا بعض اوان عربية صنعت على شكل اوان صينية وعدد كبير من خزف الصين التي وردت إلى سامرا إما بواسطة التجار، وإما بواسطة السفراء الذين كانوا موفدين إلى الصين.

وأخذ المصريون يقلدون في صناعة الفخار والخزف- صناعة الصين لعهد سونغ وعهد يوان، خصوصًا الأواني التي صنعت في ولاية جيكيانغ، فان هذه الأواني كانت تنتقل كمتاجر من الشرق الاقصى إلى الأدنى في ايدي التجار العرب وقد اكتشفت أواني الخزف الصيني في مصر، فقد تبين أن الخزف الصيني وصل إلى وادي النيل لأول مرة في القرن العاشر - عهد الطولونيين (٨٦٨ - ٩٠٤م) ثم بدأ المصريون يقلدون خزف سونغ الصيني في عهد الفاطمية (٩٦٩ - ١١٧٠م) ولكن لم تتسع دائرته إلا في عصر المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م).

وفي القرن الثالث عشر في أسرة يوان الملكية ، قدم كثير من العرب إلى الصين واستقرّوا فيها. وقد تلقّى عدد غير قليل منهم التعليم الصيني

واجتازوا الامتحان الرسمي للخدمة العامة، واصبحوا موظفين، ومنهم بوشاوتشغ قد عين ونظّم ديوانًا من الشعر بالاسلوب الكلاسيكي. وأما أخوه بوشاوكنغ فكان مساعداً لرئيس وزراء كوبلاي خان (١٢١٥-١٢٩٤).

## الرحال العرب إلى الصين

ومن المسلمين الذين زاروا الصين رحالة عربي اسمه سليمان، وقد كتب كتابًا وصف فيه سياحته في الهند والصين - كتبه سنة ٨٥١م. ومعه ذيل كتبه نحو سنة ٩١٦م مؤلف اسمه ابوزيد الحسن. وفي هذه الرحلة بيانات عن علاقة المسلمين بالصين في القرنين التاسع والعاشر من الميلاد منها مدينة تشوانشيو، وقد كانت مجتمع التجار - وكان سليمان التاجر أول من ذكر من العرب لباس الحرير وصناعة الحرير. ثم حذا حذوه علماء آخرون فلذا نجد في الاسفار العربية كثرة الحديث عن تجارة الحرير والديباج وصناعتها. فلا غرو ان هؤلاء التجار قد حملوا إلى بلادهم بعض القطع النادرة من الديباج والحرير فحاكوا صناعته رسمًا ونسجا بعد ان تعلموا تربية دود القز واستخراج خيوط الحرير من بطونها.

ومما ذكره ابو زيد ان السفن الصينية القادمة من سيراف كانت اذا وصلت جدّة اقامت بها ونقل ما فيها من الأمتعة التي تحمل إلى مصر في مراكب خاصة كانت تسمّى مراكب القلزم لأن مراكب السيرافيين كانت لا تستطيع الملاحة في شمالي البحر الأحمر. كما أن الرحالة العربي ابن بطوطة زار عدة مدن ساحلية بالصين في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي. قد زار مدينة تشوانشوا واعتبرها المركز التجاري للعالم. وتحدث عن حسن لقاء المسلمين فيها وذكر ان في كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناها ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظّمون محترمون وقد ذكر الفخار الصيني «اما الفخار الصيني فلا يصنع منها الا بمدينة الزيتون يحمل إلى الهند وسائر الاقاليم حتى يصل إلى بلادنا بالمغرب، وهو ابدع أنواع الفخار وأهل

الصين أعظم الامم إحكامًا بالصناعات واشدهم اتقانًا فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفه الناس في تصانيفهم فأطنبوا فيه. واما التصوير فلا يجاريهم احد في إحكامه من الروم ولا من سواهم... ولقد دخلت إلى مدينة السلطان فمررت سوق النقاشين ووصلت إلى قصر السلطان مع أصحابي ونحن على زيّ العراقيين، فلما عدت من القصر عشيًا مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في كاغد (ورق) قد الصقوها بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر إلى صورة صاحبه فلا تخطئ شيئًا من صورته وذكروني ان السلطان امرهم بذلك وانهم اتوا إلى القصر ونحن به فجعلوا ينظرون الينا ويصورون صورنا، ونحن لم نشعر بذلك، وكانت عادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم وتنتهي حالهم في ذلك أن الغريب اذا فعل ما يوجب فراراً منهم بعثوا صورته إلى البلاد وبحثوا عنه فحينما وجد شبه تلك الصورة قبض عليه».

## الرحالة الصيني تشينغ هو:

وجدير بالذكر أن البحار (تشنغ هو) المشهور في العالم هو من مسلمي مقاطعة يوننان من قومية خوي، وقد سافر جدّه وابواه إلى مكّة لاداء فريضة الحج وفي سنة ١٤٠٥ أمرته حكومة اسرة منغ بالابحار على رأس اسطول ضخم يتألف من ٦٢ سفينة ويبلغ طول كل سفينة حوالي ١٥٠متراً، وعرضها حوالي ٦٠ متراً، ومن ٢٧٨٠٠ بحار. وفي فترة ٢٨ سنة من ١٤٠٥ - ١٤٣٣ سبق لتشينغ هو ان قام بسبع رحلات زار خلالها ٣٥ من الأقطار الأفروآسيوية. انه أول من وصل إلى جنوب خط الاستواء على سواحل افريقيا الشرقية. وقد سبق تشينغ هو البحار كولومبس بقرن ونيف، علمًا بأن اسطوله يفوق الاسطول الغربي حوالي ٢٠ مرة من حيث عدد سفنه ويعتبر ذلك فذا في تاريخ الابحار.

وقد وصل تشينغ إلى كثير من اقطار ومناطق المسلمين مثل ماليزيا واندونيسيا وشبه قارة الهند والبنغال وباكستان وإيران ومالديف وظفار وعدن

الخ. وقد وصل إلى مكّة في رحلته السابعة لاداء فريضة الحج، وكان لرحلات تشينغ هو اثرها في تعزيز روابط الصداقة بين الشعب الصيني والشعوب الإسلامية في آسيا وافريقيا، وفي دفع تبادلات الثقافة والاقتصاد وتطوير المواصلات بين الصين والدول الأخرى. أما «ماخوان» و «في سين» و «قونغ تشن» الذين كانوا يرافقون تشينغ هو في رحلاته فقد كتبوا كل على حدّة كتاب «مشاهدات في العالم» وكتاب «مشاهدات متفرقة» وكتاب «مذكرة في الدول الأجنبية» وتعتبر هذه المؤلفات من أهم الوثائق لبحث العلاقات الودية بين الصين ودول آسيا وافريقية في ذلك العهد.

**انتهى ما كتبه الشيخ عبد الرحمن ناجون.**



# اليوميات الصينية



## يوم الأربعاء ١٠ رجب ١٤٠٤هـ ١١ أبريل ١٩٨٤

### من الرياض إلى كراتشي:

غادرت طائرة الخطوط السعودية مطار الرياض الدولي في الساعة الثانية والنصف قبل فجر هذا اليوم متجهة إلى كراتشي في باكستان وأعلنت المضيفة أن السفر إلى كراتشي سيستغرق ساعتين ونصفا.

وكان المرور بمدينة كراتشي ضروريًا من أجل الحصول على سمات الدخول من القنصلية الصينية الشعبية حيث أبلغتنا الجمعية الإسلامية أن الحكومة الصينية أمرت سفارتها في باكستان بمنحنا سمات الدخول إلى الصين الشعبية.

وقد وصلنا إلى كراتشي في السابعة صباحًا وكان الفجر قد طلع علينا في الطائرة وقد افترثغر الشرق عن الشمس بعد وقت قصير من ابتداء طلوع الفجر لأن طائرتنا كانت متجهة جهة الشرق والنور متجه جهة الغرب فكان أن التقيا بسرعة.

ووجدنا في مطار كراتشي الأخ الشيخ أفضل شيما وهو قاض متقاعد ويعمل الأن مديراً لمكتب رابطة العالم الإسلامي في باكستان كما يعمل مديراً لمكتب التنسيق الإسلامي لآسيا والمحيط الهادي الذي أنشأته الرابطة ومقره باكستان والشيخ نور أحمد مدير إدارة الدعوة والإرشاد في مؤتمر العالم الإسلامي الذي مقره كراتشي، وجلسنا فيما يسمى بصالون الشرف بينما كان يسعى في تخليص أمتعتنا التي كانت فيها صناديق من الورق المقوى تحتوي على هدايا للأخوة المسلمين وغيرهم من الوجهاء الذين يفترض ان نلتقي بهم هناك وتشتمل تلك الهدايا على ساعات وأشرطة عليها القرآن الكريم بأصوات مقرئين مشهورين وأجهزة تسجيل لتجعل في بعض المساجد حتى يسمع القرآن في المسجد ومع ذلك تمر المدينة المنورة.

أما الكتب والمصاحف فقد تم شحنها إلى الصين لتصل قبلنا بأيام معدودة وهي كثيرة بلغت أجرة شحنها مائة وستة وعشرين ألف ريال سعودي.

وهذا إلى جانب مبالغ نقدية من الدولارات نحملها من صندوق المجلس الأعلى العالمي للمساجد مع النظر في أمر مساعدات مالية جديدة للمشروعات الإسلامية بناء على ماتم أمره بشأن المساعدات السابقة.

## الخميس ١١/٧/١٤٠٤هـ / ١٢ أبريل ١٩٨٤م.

لقد انتهى ما أردناه من القنصلية الصينية في كراتشي من الحصول على سمات الدخول إلى الصين وكذلك من تأكيد الحجز لدى شركة الطيران الفرنسية (إير فرانس) دون أية صعوبة إلا صعوبة واحدة بالنسبة إلي وهي ضياع اليوم الخميس دون عمل يذكر ما عدا مقابلة بعض العلماء والمفكرين الباكستانيين الذين كنت أعرفهم من قبل وزاروني في الفندق عندما علموا بوصولي ومنهم الدكتور انعام الله خان الأمين العام لمؤتمر العالم الإسلامي. والشيخ جمال ميا عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي والشيخ ظفر الإنصاري.

ولم أغادر الفندق لأن مدينة كراتشي معروفة عندي وليس فيها ما يستحق أن يجدد به العهد ولم أر فيها شيئًا يحسن أن ينوه به الا التحسن في مرافقها العامة من الشوارع والحدائق ومظاهر الرخاء الاقتصادي أو وفرة النقود عند أهلها التي تتمثل بكثرة سيارات الركوب الجديدة، ووفرة السلع في متاجرها مما لا تجد مثيله ولا قريبًا منه في أكثر المدن الهندية التي كانت شقيقة لكراتشي قبل تقسيم الهند وإنشاء دولة باكستان.

## يوم الجمعة ١٤٠٤/٧/١٢هـ / ١٩٨٤/٤/١٣م

### من كراتشي إلى بكين:

غادرنا مطار كراتشي في الساعة الثانية والنصف قبل الفجر مع طائرة الخطوط الجوية الفرنسية (ايرفرانس) وهي من طراز بوينج ٧٤٧ النفاث العملاق المسمى جامبو الذي الف الناس ركوبه الآن في الرحلات الطويلة وكان قبل ذلك قليل العدد غير شائع.

وكانت الدرجة الأولى أشبه ما تكون بغرفة ضيافة أو (مقهاة) في بيت عربي أصيل، إذْ لم يكن يسمع فيها إلا اللغة العربية من أصوات مختلفة فقد كنا فيها نحن الوفد السعودي إلى الصين وعددنا سبعة ووفد عماني صعد الطائرة معنا من كراتشي وعدد أفرادهم ثمانية ولولا أنه يوجد اثنان من الأجانب أظنهما من الفرنسيين لصارت الدرجة الأولى كلها قطعة عربية طائرة حتى المضيف أصابته عدوى التعريب فلما حان وقت صلاة الفجر أخذنا نسأله عن جهة المغرب لنعلم منها جهة الكعبة فكان لسانه انطلق بالعربية يقول (قبله، قبله، قبله،) سوف أسأل الطيار وأخبركم ثم عاد وهو يشير إلى مؤخرة الطائرة قائلاً هنا (القبلة).

ولم تكن اللغة العربية هي المظهر الوحيد في هذه الطائرة التي تسافر من بلاد السند (كراتشي) إلى بلاد الهند (دلهي) أو على الأصح في لغتنا العربية (دهلي) كما كان أسلافنا العرب يسمونها.

بل كان الزي أيضًا عربيًا خالصًا فنحن نرتدي الملابس العربية الكاملة لأننا في زيارة رسمية والأخوة العمانيون هم وفد تجاري رسمي أيضًا لذلك يلبسون الملابس العمانية الأصيلة وفي الدرجة الأولى أيضًا أخ جزائري مسافر إلى بكين وقد ركب هذه الطائرة من باريس. وفي الساعة الرابعة تمامًا حطت الطائرة في مطار دلهي ويوافق هذا الرابعة والنصف بتوقيت دلهي.

وكانت صلاة الفجر في الطائرة أشبه بالمظاهرة إذ تجنب المضيفون والموظفون الدخول عند الصلاة وكنا عدداً لابأس به حتى الأخ الجزائري قال: إنه كان ينوي تأخير الصلاة إلى بكين ولكنه تشجع عندما رآنا وقام يصلي ويتعبد تقبل الله منا ومنه.

ثم قامت الطائرة إلى بكين في الخامسة فجراً بتوقيت كراتشي بعد أن لبثت في مطار دلهي ساعة قاصدة جهة الشرق الذي أشرق بنورالصبح الوضاء أو كأنها كانت تبحث فيه عن مصدر هذا النور المنبثق.

وما أسرع أن ارتفعت في الجو وعلت بل تعالت على متن السحاب فأسرعت الشمس تشرق وهي تبتسم في هذا اليوم البهيج على الأقل بالنسبة إليّ لأنه كان من أمنياتي العظيمة أن أزور الصين التي كانت تقرن في كتبنا العربية القديمة بالهند فكان اسلافنا كثيراً ما يقولون بلاد الهند والصين مثلاً بلاد الحكمة القديمة.

وها نحن الآن نسافر من بلاد الهند بل وبلاد السند إلى بلاد الصين وفي طائرة مريحة وسط حشد من الإخوة العرب.

وتخيلت أن الشمس تبتسم لأمنياتي التي كانت صبيانية في أول أمرها، لأنه لم يكن أحد مثلي يصل خياله في صباه إلى أن يذهب إلى الصين مدعوا من سلطة رسمية فيها بل في الحقيقة - من حكومتها وأن يبقى مع وفد يرأسه ضيفًا مكرمًا على أهلها. وأن يتجول في أنحائها فيكون محل الإكرام والاحترام في أي مكان حله من أرجائها.

ونعمت بهذا الخيال الذي ربما كان مبعثه هذا الارتياح العظيم فوق السحب وفوق أرض الهند والخيالات التي تراود الذهن عما سوف نشاهده في الصين والشمس قد تبخرت صفرة الخجل التي كانت تصبغ محياها فأصبح ناصعًا كأنما

أرادت أن تغسل الخيال عن ذهني كما غسلت هذه الصفرة عن وجهها لذلك بادرت بنات الخيال تتطاير وبدأت الحقيقة وهي تقع في ذهني عن حالتنا نحن المسلمين الحاضرة وكيف كانت لنا (دلهي) هذه التي طرنا منها الآن فأصبحت بأيدي أعداء المسلمين المتعصبين من الهندوكيين الذين أخذوا في كثير من الأحيان يذيقون إخواننا في الهند ألوان العذاب وإن لم يكن العذاب فإنها المهانة بعد العزة، وذلك عذاب وأي عذاب.

وبأننا نتجه الآن إلى الصين ليس اتجاه الفاتحين، إلا أن يكون ذلك فيما نرجو ونؤمل بالحجة والتبيين والإامر لله رب العالمين.

## إغفاءة الطائرة:

أسرع المضيفون الفرنسيون بتقديم طعام خفيف ثم أسرعوا بإخلاء الموائد وإطفاء الأنوار وراح القوم في إغفاءات لذيذة لأنهم كلهم ممن كانوا قد شغلوا بالسهر استعداداً للسفر طيلة البارحة.

وبعد أربع ساعات من الصمت لم تكن تسمع فيه إلا الأزيز الرتيب لمحركات الطائرة التي تشبه صوت الرحا الحجرية الذي يجلب النوم برتابته واستمراره اكثر مما يجذب الانتباه.

أعلن المكبر بصوت لطيف أيضًا يصبح بالخير ومعه الغداء الذي أسموه فطوراً إذ كانت الشمس قد تعالت قبل أربع ساعات.

وجاءوا به جيداً خاليًا من الإثم لأننا سألناهم عن لحم الخنزير! فقالوا إننا نعرف ركابنا ولذلك لم نطبخ في مطبخ الدرجة الأولى أي شيء فيه خنزير.

وفي الساعة الحادية عشرة بتوقيت كراتشي وتساوي الثانية عشرة ظهراً بتوقيت بكين كانت الطائرة تتدنى إلى الأرض في جو غير صاف.

وبدت أرض الصين هنا من الطائرة في النظرة الأولى التي تظل منقوشة في الغالب في خاطر الغريب القادم أرضًا غير بهيجة كان أهم ما فيها منظر نهر يتلوى قد خلت ضفافه من الخضرة.

ولما كنا في أرض الصين ذات المئات من الملايين فإنه ليس من المعقول أن يكون سبب عدم الخضرة هو عدم الزراعة كما يكون في بلاد قوم آخرين، وإنما تخيلت ما تحققت منه بعد ذلك وهو أن أرض بكين وما حولها من شمال الصين أرض باردة لذا تكون هامدة في هذا الفصل الذي هو فصل ربيع ولكنه ربيع البلاد الذي لا يكون بينه وبين الشتاء فرق إلا طول النهار وقصر الليل الذي لايكون عليه الأمر في الشتاء.

وبدت طرق في أطراف المدينة تسير عليها سيارات قليلة لا ينتظر أن تكون كذلك في شوارع مدينة يسكنها أكثر من عشرة ملايين إنسان وهي عاصمة دولة يسكنها أكثر من الف مليون.

والطابع العام على المنظر هو عدم البهجة فليست هناك خضرة طبيعية نضرة ولا تزيين يبعث على السرور. حتى المزارع أكثرها لاترى فيه إلا آثار الزراعة دون أن ترى خضرة ظاهرة إلا أن الغالب على المزارع وحدة المنظر وقد تبين لنا بعد ذلك أنها لم تكن استثناء في بكين بل الغالب على الأشياء فيها التشابه والوحدة في المظهر سواء في تساوي الناس في مظاهر الحاجة وفي مستوى الغذاء أو حتى في تقاسيم الوجوه الذي هو طابع الملامح الصينية .

حتى الحشائش التي بقرب المطار والأشجار المنتصبة على الطرق كلها هامد كالح المنظر وذلك كله بسبب البرد الذي لم ينفض عنها غبار الشتاء أو بسبب جفاف الجو في هذا الفصل من السنة.

## في مطار بكين:

هبطت الطائرة في مطار واسع المدارج تدل أبنيته من البعد على عدم السخاء في الإنفاق لاسيما عندما يفكر المرء في أنه يهبط في مطار أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان.

والقموا الطائرة باب دهليز متحرك وإن كانت الدهاليز في المطار غير كثيرة فهي في جانب واحد منه أي ليست دائرة به كما هو الحال في مطار شارل ديغول مثلاً في باريس أو مطار الملك خالد الدولي في الرياض.

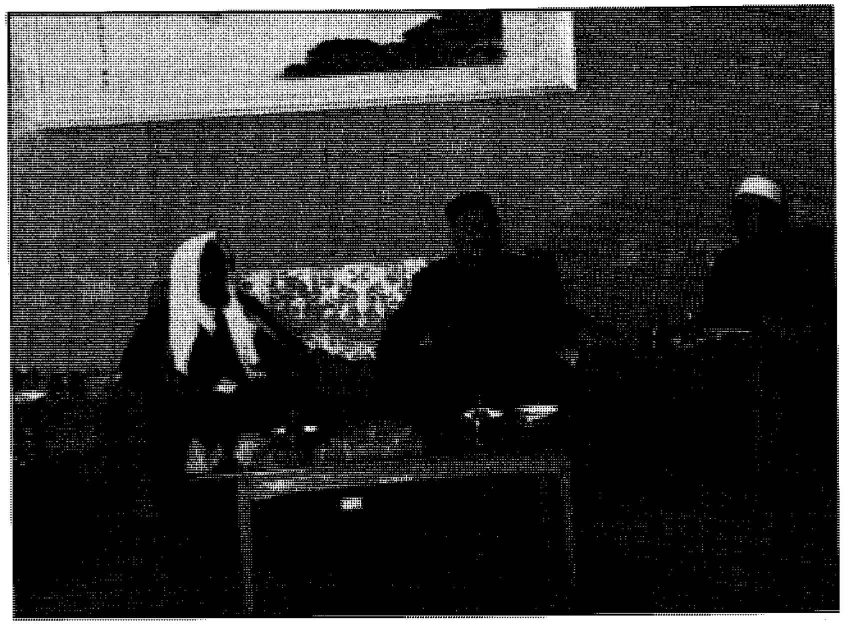
وكان الوقت الساعة الحادية عشرة إلا ربعًا بتوقيت كراتشي الذي يساوي الثانية إلا الربع بتوقيت بكين فتوقيت بكين متقدم على توقيت المملكة العربية السعودية بخمس ساعات.

وعندما وقفت الطائرة أسرع بعض الركاب إلى النهوض والتهيؤ للخروج ولكن المضيفة الفرنسية قالت ينبغي أن تنتظروا في مقاعدكم لأنه لا يسمح لأحد أن ينزل قبل أن تأتي الشرطة إلى الطائرة وجاء شرطيان فدخلا إلى الدرجة السياحية وبعد ذلك بفترة جاء آخران ولا ندري ماذا يصنعون.

وكنت في هذه الأثناء أتأمل ما تقع عليه عيني من نافذة الطائرة التي كانت تلقاء ساحة الوقوف وما بقربها فأرى مظلة على مايشبه الغرفة ربما كانت للحراس وقد تكسر سقفها وبقي متقطعًا لم يصلح ولم يجد من يزيله.

وذكرت لمناسبة البطأ قبل النزول من الطائرة نيوزيلندا واستراليا حيث يبقى الركاب في الطائرة في المعتاد فترة قبل أن يؤذن لهم بالنزول الا أن القوم هناك كانوا يقضون ذلك الوقت في رش داخل الطائرة بمبيدات الحشرات لأن بلادهم منعزلة عن بقية اليابسة بمياه عميقة عريضة من مياه المحيطات فيخشون انتقال الحشرات إليها أما هؤلاء الصينيون فلم أرهم فعلوا شيئًا من ذلك.

ثم أذن لنا بالنزول ووجدنا في الاستقبال عند باب الطائرة بعض الإخوة من أعضاء الجمعية الإسلامية الصينية البارزين منهم (إلياس شن شياشي)نائب رئيس الجمعية الإسلامية المركزية ومن موظفي الجمعية الاستاذ لقمان ما شان لي، نائب مدير العلاقات الخارجية بالجمعية الإسلامية الصينية والأخ مالك أمين والسيد محمد صدقي ثم اجتمع الوفد في قاعة كبار الزوار المسماة بصالون الشرف في المطار بكبار موظفي الجمعية الإسلامية المركزية وهم:



في مطار بكين من اليمين الشيخ الياس شن شياشي نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية. الشيخ صالح أن شي وي نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية المركزية

(١) الشيخ الياس شن شياشي النائب الأول لرئيس الجمعية.

(٢) الشيخ صالح آن شي وي نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية وإمام جامع بكين.

(٣) الشيخ داود شن كون إمام جامع نيوجيه في بكين.

(٤) الشيخ عيسى محمود كو جنغتاي مدير العلاقات الخارجية بالجمعية.

(٥) السيد سليمان خاي دونغ سكرتير الجمعية الإسلامية.
(٦) الشيخ يحيى لي يو.
(٧) الشيخ عبد الرحيم ماسو تينغ أحد المؤلفين الصينيين بالعربية.

## في مدينة بكين:

وجدناهم قد صفوا أربع سيارات في مقدمتها سيارة رسمية سوداء طويلة فخمة لأنها ذات ثلاث مراتب قالوا إنها مخصصة لركوبك والمرافق الخاص لك والثلاث الباقية لبقية أعضاء الوفد والمرافقين وركب فيها معي المرافق الملازم ومترجم الوفد الاستاذ (لقمان ما شان لي) الذي تبين بعد ذلك أنه مهم لنا لمعرفته الجيدة بالعربية كما ركب معنا الأخ الشيخ صالح آن شي وي وسار الموكب من المطار وأنا مندهش من هذا الشيء الذي كنت ظننته بعيد التحقيق وأراه يتحقق الآن وهو زيارة الصين وإن كنت أعلم من تجاربي السابقة أن الزيارات الرسمية لا تعطي صورة واضحة دقيقة عن أحوال البلاد لأن الزائر لا يستطيع أن يرى إلا ما يريد مضيفوه له أن يراه الا إذا كان رجلاً لا يراعي جانب المجاملة وهو يتمتع أيضًا بقوة ملاحظة خارقة عن العادة.

ورأينا الطريق تحف به الأشجار الهامدة التي تبدو كالأعواد لأنها لم تصحو بعد من برد الشتاء وظلامه رغم أننا الآن في فصل الربيع ولم يقتصر منظر الجفاف على الشجر بل إن المزروعات أو الأماكن التي فيها زراعة أكثرها جاف وبعضها قد جلل بأردية من اللدائن تحملها أعواد تحتها من أجل وقايتها من البرد وحتى بقرات قليلة رأيناها هنا بدت عجفا كأنما كانت تعاني من نقص في علفها.

أما الجو فإنه كجو الشتاء في الرياض لا يشكو المرء فيه من البرد اذا لبس لباسًا مناسبًا، وإن لم يكن بالغ الثقل.

وأما حالة الطريق فإنه ضيق قليل النعومة وبخاصة بالنسبة إلى الطرق في بلادنا التي تضاهي أرقى الطرق في العالم ولله الحمد.

وبلغ من ضيق الطريق انه وهو للذاهب والآيب على حد سواء اذا وقفت سيارة فيه وتقابلت سيارتان أخريان لم يتسع للسيارات الثلاث الا بصعوبة.

وعندما رأيت هذا الجزء القريب من المطار يبدو عليه مظهر الريف سألتهم عن المسافة ما بين المطار والمدينة؟ فقالوا إنها أربعون كيلو متراً.

ومن مظاهر ريفية هذا الجزء من المدينة أننا قابلنا عربة تجرها البغال محملة بالسماد الحيواني وبغلاها يميدان ويتمايلان كأنما يتحديان بعربتهما وحملها بل وسائقها أو قائدها - سمه ما شئت لأنه راكب في مقدمة العربة - العصر الحديث الذي جاء بالجرارات الزراعية وسيارات الشحن الصغيرة التي تستعمل في أغراض الفلاحة الصغيرة ولا يصل الأمر فيها إلى أن يحمل فيها السماد الحيواني بل لذلك سيارات مخصوصة وعمال مدربون كما هو عليه الأمر في بلادنا والبلاد المتقدمة.

وقد سببت هذه العربة البغلية إن صح التعبير مشكلة في المرور إذّ قابلتنا في الاتجاه المضاد سيارة شحن كبيرة تبين فيما بعد أنها أكثر أنواع السيارات شيوعًا في الصين الشعبية فلم نستطع أن نمر إلا بعد أن تجاوزتنا لأنها عندما حاذت تلك العربة لم يعد الطريق يتسع لمرور سيارتنا معها.

ولكن من حسن الحظ أو سوءه أن عدد السيارات في هذا الشارع قليل وكذلك المشاة وإنما هناك جماعة من راكبي الدراجات الهوائية وراكباتها والمراد بها الدراجات المعتادة التي ليست فيها محركات.

ومررنا في الحقول على أشجار يابسة كالحة المنظر فقال الشيخ لقمان: إنها أشجار التفاح ولكنها عارية من الأوراق لأن مدينة بكين تقع في منطقة شمالية لا تورق الأشجار فيها بعد الشتاء إلا في وقت متأخر.

وقال الأخ (لقمان ما شان لي) بلسان القوم: إنه بالنظر إلى قرب زيارة الرئيس ريغان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إلى الصين فإن جميع الفنادق القريبة من وسط المدينة محجوزة ولذلك حجزنا لكم في فندق بعيد عن وسط المدينة.

فقلت لهم: الأمر ما رأيتم أما نحن فإننا نفضل الفندق الواقع وسط المدينة حتى نرى من وسطها في الدخول والخروج ما لانراه إذا كنا في فندق بعيد.

واستمر الموكب وسط منطقة يمكن أن تكون ريفية لوجود بعض أحواض الزراعة المحدودة إلا أنها ليست بالحقول المتسعة وكل ما تقع عليه العين خال من البهجة إلا ملابس الجنود فإنها خضر بهيجة المنظر وكنانراهم وهم في شغل عنا إما يسيرون مع مدربيهم أو راكبين الدراجات الهوائية.

وخيل إلي أن ضواحي مدينة بكين التي وصلناها تشبه بعض الشبه ضواحي مدينة دمشق البعيدة من المدينة أو المتصلة بالريف في الشتاء من ناحية لون التربة وهمود الأشجار لولا أن العناية بالزراعة في ضواحي دمشق أحسن من هذه وربما كان هذا لسبب اختلاف الجو بين المدينتين.

ومررنا بمكان فيه عمال مجتمعون على حفر عميق قال أحد المرافقين إنهم يعملون في قطار الإنفاق أو المترو تحت الأرض كما يسميه عوام الكتاب.

ولاحظت أن هناك طائفة من النساء بين العمال في هذا العمل الشاق بأيديهن المساحي وقد تلثمن حتى لايدخل الغبار في أنوفهن وأفواههن.

وامتد السير فمررنا بسوق على أحد الأرصفة قالوا إنه من اسواق الخضار الحرة وانه يستطيع فيه الفلاحون أن يبيعوا إنتاجهم من دون تسعيرة بخلاف المزارع الجماعية وهي الكبيرة فإن أسعارها محددة وأثمان ما يباع فيها تذهب إلى الحكومة.

وقالوا: إنه قد سمح بوجود هذه الأسواق بعد سقوط عصابة الأربعة وتولى السلطة الحالية الأمر بعدهم.

ورحت أتأمل هذه الأسواق والسيارات تسير سيراً وئيداً فأجدها قليلة حقيرة وتذكرت أن الملكية الذاتية محددة وبخاصة في أرض الفلاحة فماذا يستطيع الفلاح الواحد أن ينتجه؟ ولكن على أية حال هذه بادرة طيبة، ودلالة على فشل المزارع الجماعية الحكومية وفيها فائدة للمستهلك الذي يسره في بعض الأحيان أن يجد ما يشتريه ولو كان غاليًا وللفلاح الذي يرتفق بما يحصله من ثمن ما ينتجه ولو كان قليلاً.

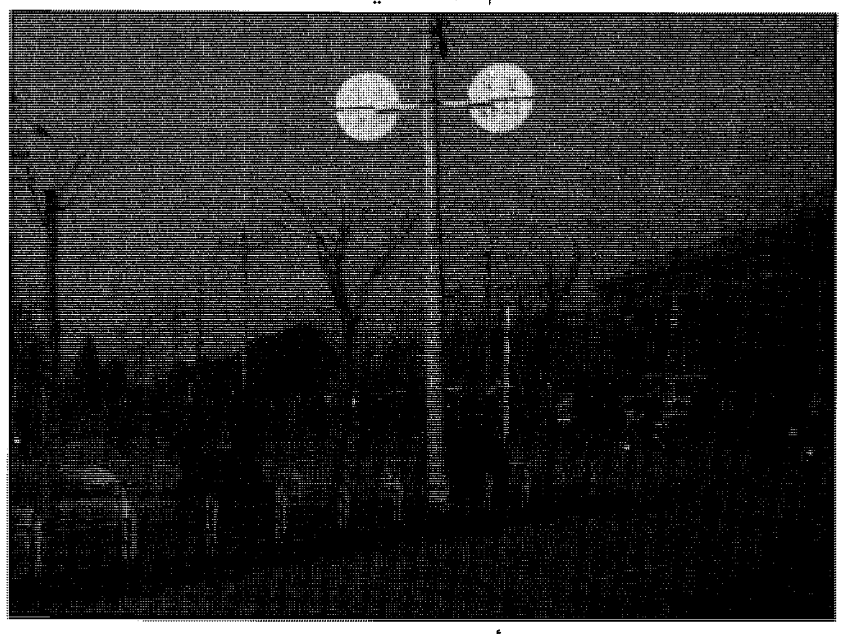
ثم وصلنا إلى ضاحية أقرب من قلب المدينة فوجدنا فيها طرقًا لابأس بها وعمارات حكومية كبيرة شاهقة قالوا إنها مؤلفة من شقق سكنية وإن الحكومة تؤجرها على بعض الناس بأجور مناسبة وهي البديلة عن الأبنية السكنية الكبيرة التي يقيمها الأفراد والشركات في بلادنا والبلاد غير الشيوعية الأخرى لغرض الربح اذْ لا مجال لطلب الربح في مثل هذه الأشياء هنا إضافة إلى أنه لا يوجد لدى الأفراد والشركات المحدودة أموال يمكن أن تبنى بها هذه الأبنية الكبيرة أما السيارات فإنها سيارات من سيارات النقل زيتونية اللون أو سيارات من سيارات الجيب ظننتها كلها للجيش في بادئ الأمر فأخبروني أنها سيارات حكومية ولكنها ليست تابعة للجيش.

وهذا إلى جانب حافلات النقل العام التي هي موجودة لإيكاد يخطئها النظر ولكنها ليست بالقدر الذي يتخيله المرء لتلبية حاجات مدينة ضخمة مثل بكين يزيد عدد سكانها على عشرة ملايين نسمة.

ولا توجد أي سيارات صغيرة للركوب خاصة إلا ما كان من سيارات الهيئات السياسية أو السفارات الأجنبية أو سيارات حكومية مخصصة لكبار القوم أو لضيوف الدولة وهي أيضًا قليلة لا يكاد المرء يرى منها شيئًا كثيرا في

الشوارع وإنما يرى المرء أعداداً كبيرة من الدراجات قد امتطاها القوم من مختلف الأعمار فيهم الكبير السن أو القدر والصغير والمرأة والرجل على حد سواء.

وقد وصلنا إلى شارع واسع رغم قلة السيارات وفي شارع آخر أضيق رأينا مطعمًا كتب عليه بالعربية (المطعم الإسلامي).



أحد شوارع بكين

ولاحظت عندما تقف الإشارة أن وجوه القوم لا تبدو عليها التغذية الكاملة ولا على هندامهم مظهر الكفاية. فضلاً عن اليسار، ولكنني لاحظت أن القوم يغلب عليهم جميعًا الهدوء وعدم العجلة في السير يستوي في ذلك منهم راكبو الدراجات مع سائقي السيارات.

ومررنا ببيوت قديمة قد هدمت وبعضها لا يزال قائمًا ولكنه خال وعمارات سكنية كبيرة متعددة الطوابق تقام على أنقاضها. وفي هذه البيوت القديمة لاحظت أن البناء بالطين موجود فيها مع الآجر.

ورأيت أمامنا عربة من عربات الركشا القليلة هنا وهي الدراجات النارية التي أقيمت فوقها عربة ذات رجل أمامية ورجلين خلفيتين لها صحن يستعمل للركوب في البلاد المتخلفة وقد ركبت في صحنها امرأة قد غطت وجهها فاستوضحت من مرافقي سبب تغطية المرأة وجهها أهي مسلمة تتقرب بذلك؟ أم ما هو أمرها ؟ فأجابوا وهم يبتسمون وربما كانوا في داخل قلوبهم يستهزئون بهذا السؤال الذي يدل على سذاجة قائله: إنه ليس بحجاب وأيضًا ليست مسلمة ولكنها تغطي وجهها عن غبار الطريق.

وعرفت بعد ذلك أن الأمر جد في موضوع غبار الطريق فأكثر الشوارع في الضواحي ليست لها أرضية مبلطة، وتنظيف الشوارع ليس على ما يرام، والجو جاف في هذا الفصل لذلك يكون الغبار موجوداً وأحيانًا يكون كثيراً في هذا الطرف وبخاصة اذا ما تضايق الطريق بسيارة فلجأت إلى السير على جانبه فإنها تثير سحبًا من الغبار الذي يضايق المارة.

وذلك بسبب عدم الأرصفة وبالتالي عدم تنظيفها من الغبار إذا صارت ترابية واستمر السير الوئيد للسيارات الذي يجلب النوم أكثر مما يجلب الأنتباه في وقت كنت فيه أحوج ما أكون إلى الإنتباه وأشد رغبة فيه وذلك لكوني أصل إلى مدينة بكين بل إلى دولة الصين لأول مرة كما أكون كذلك في كل مدينة أصلها لأول مرة.

واجتزنا ثلاثة أنهار أو فروع من أنهار ولا يزال منظر المدينة أو مامررنا به منها غير بهيج بل إن الأمر لم يقتصر على المنظر وحده، وإنما شعرت برائحة غير مريحة في أنفي وبخاصة عند مرورنا بأحواض من الزراعة تشبه ما يوجد في الأرياف عادة و خيل إلي أن ذلك من أثر وجود السماد الحيواني.

## في فندق العطر:

رغم عدم وجود الرائحة المريحة فضلاً عن المعطرة في الطريق ما بين المطار إلى الفندق الذي نزلنا به فإنهم ذكروا له اسمًا ذا معنى في العربية مريح هو (شيانغ شانغ) وقالوا معناه (جبل العطر) وفسروا ذلك بأنه واقع في لحف جبل ينمو فيه في فصل الخريف نبات طيب الرائحة يسمى بهذا الاسم فسمي الفندق على اسمه تعريفًا وتيمنًا.

وقد استغرقت المسافة من المطار إلى فندق جبل العطر ساعتين ونصفا وهو أيضًا بعيد من قلب المدينة ولكن السفر إليه من المطار ليس قاصداً بل هو يمر بضواحي المدينة ثم يخرج من تلك الضواحي.

وأخبرونا أنه فندق حكومي أنشأته الحكومة بعد سقوط عصابة الأربعة في عام ١٩٧٨م مباشرة، وكانوا يقولون لنا ذلك بفخر واعتزاز مع أن الفندق معتاد المظهر والمخبر يصح أن يعادل فنادق الدرجة الأولى غير الفاخرة أو فنادق الدرجة الثانية الفاخرة في بلادنا وبلاد العالم الحر.

وأنزلوني في غرفة جيدة ذات قاعة في مقدمتها للجلوس (صالون).

من موجودات الغرفة اللافتة للنظر روبان ثقيلان و حلتان للحمام سميكتان ونعال من القماش اللين المدعم بالقش أوالخوص من أسفله لاستعمالها في داخل الغرفة، وهما خفيفان لطيفان.

ووضعوا على مائدة في الفندق زمزمية مليئة بالماء الحار إلى جانبها أكواب من الصيني أي الخزف المصنوع في الصين، ذات أغطية من الخزف الأبيض الجميل الثقيل مثلها، وقد ذكرتني بما كان موجوداً في بيتنا قبل أربعين سنة وانقطع وجوده الآن من علب صينية خزفية فاخرة ثقيلة الحمل جميلة المنظر الظاهر انها مستوردة من الصين لكنها كانت ترد إلى بلادنا على مراحل من الهند مثلاً أو البحرين، أو غيرهما قبل أن تصل إلينا.

وفي حمام الغرفة مشط كبير وعلبة فيها دهن «كريم» مثبت للشعر وكيف يستعمل الانسان مشطًا لا يضمن أن غيره استعمله من قبله أو حتى إذا كان لا يبال بذلك فإن المفهوم أن المسافر يحضر ما يحتاج إليه بكثرة كالمشط مثلاً.

وما عدا ذلك من أمر الفندق أو على الأدق الغرفة فإنه معتاد لا جديد فيه وكنت أتوقع أن أجد فيه ما يكون أصيلاً في صينيته أو طابعه.

من ذلك أنهم وضعوا فيه ثلاجة صغيرة فيها زجاجات من الأشربة الخفيفة كلها محلية معتادة مثل الكوكاكولا والميرندا ونوع من شراب الليمون الغازي وزجاجة فيها (بيرة) محلية.

وكذلك أحضروا من باب التكريم طبقًا فيه تفاح صيني وهو موجود بكثرة في شمال الصين بصفة خاصة ولكنه أقل جودة من تفاح لبنان أو فرنسا أو التفاح الأمريكي، فهو يشبه التفاح الموجود في ولاية كشمير في شمال الهند ويتميز بعدم تماسك اجزائه الداخلية وبلينها لينًا غير معتاد. الا أن لونه أحمر جميل.

وقال لي الأخ (لقمان ما شان لي) إن أمامكم راحة لمدة ساعة واحدة يحين بعدها موعد العشاء في السادسة وكنا في الخامسة.

## أول عشاء صيني:

الطعام الصيني مشهور في العالم فكل المدن العالمية فيها مطاعم صينية لها روادها وعشاق طعمها ونحن المسلمين كذلك ولكن بشرط أن تكون نظيفة مما يكون في المطابخ الصينية من حرام اللحم ومنه لحم الخنزير الذي يشتهر الصينيون بأكله بل ربما يكونون من أكثر شعوب العالم أكلاً للحم الخنزير عرفنا ذلك عنهم في البلاد التي يقطنها منهم أغلبية مثل تايوان وسنغافورة وهونج كونج أو أقلية فعالة مثل تايلند وماليزيا.

ولذلك لابد للمسلم الذي يريد أن يتذوق الطعام الصيني الحلال أن يأكل في مطعم صينيين مسلمين كما اعتدت على ذلك في تلك البلاد وفي البلدان الإسلامية.

وكذلك كان العشاء الصيني في هذه الأمسية ولا أقول في هذه الليلة فالشمس ما تزال حية وسننتهي من تناول العشاء قبل أن تغيب.

ولكن هذه عادة هذه البلاد أن تكون الحرية مقيدة حتى في وجبات الأكل أو إذا شئت التحسين قلت إنه النظام الصارم فطعام الإفطار في السادسة والغداء في الثانية عشرة والعشاء في السادسة وبعد ذلك لا يجد الآكل أكلاً في المطاعم الرسمية أو التابعة لهيئات رسمية وإذا وجد ذلك الأكل في المطاعم الصغيرة فإنه ربما لا يجد العفو عن تأخره عن العمل إذا كان العمل يعقب الأكل.

ورغم كون هذا الفندق صينيًا أصيلاً إن صح أن للفنادق أنسابًا أو أحسابًا وليس الأمر كذلك فإنه فيه مطعمين أحدهما أوروبي أسفل في الطابق الأرضي وثانيهما : صيني أعلى في الطابق الثاني الذي نسكن فيه والفندق ثلاثة طوابق. وذلك لأن بعض نزلاء الفندق لا يستسيغون أن يجدوا أنفسهم مضطرين لتناول الطعام الصيني وحده.

اختاروا مائدة واسعة لنا نحن أعضاء الوفد وعددنا سبعة وحضر معنا الشيخ/ صالح آن شي وي والأستاذ/ لقمان ما شان لي وعبدالله مالك.

وهو على حد قولهم من قومية الإيغور الذين يراد بهم في اصطلاح الصينيين الأتراك الذي يسميهم الكتاب من بني قومنا (التركستانيين) فينسبونهم إلى بلادهم المنسوبة إليهم مع أن بلادهم في هذا اللفظ (تركستان) منسوبة إليهم كأفغانستان وهندستان وقازاقستان... إلخ.

كما تسميهم العامة في بلادنا البخارية مع أنهم بعيدون عن بخارى ولكنهم من جنس القوم الذين يسكنون بخارى في العنصر وأصل اللغة كما يجمع بين الفريقين الدين الإسلامي الحنيف والتاريخ المشترك.

بدأت المائدة بتقديم المقبلات أو المشهيات من دون أن نعرف الأطباق الرئيسية من غيرها ومن المقبلات فول سوداني ليس له من السودانية إلا النسبة في الاسم والا فهو صيني كثير الدسم بشكل ظاهر بالنسبة إلى الفول السوداني الذي نستورده من السودان. ثم طبق من الخضرة المطبوخة أو إن شئت قلت من الأعشاب التي لا نعرفها نحن و أمثالنا وتصعب حتى ترجمة اسمها لأنها أعشاب محلية ثم لحم الأرانب قد قددوه أي جعلوها قديداً متغير الطعم ثم قددوه بمعنى جعلوه شرائح دقيقة كالأسلاك الغليظة ولم آكله لأنني لم أثق بذبحهم له لكونه قديم الذبح رغم كونهم كتبوا على المائدة التي عندنا جملة صينية وهي (شن سن) ومعناها: إسلامي أو إسلام وقالوا إن معنى الكلمة في اللغة الصينية النقاء الخالص وإنها انصرفت بعد ذلك إلى معنى إسلام بمعنى أنه دين خالص من الوثنية فذكرت قوله تعالى: (الا لله الدين الخالص) وقد كتبوا عبارة (تشن سن) هذه تنبيهًا للخدم بعدم إحضار لحم الخنزير ونحن فيها. ومن المقبلات أيضًا طبق القرنبيط وبعد الفراغ من هذه المقبلات التي هي مقدرة تقديراً بحيث لا تزيد على الحاجة وبعضها لم يبق منه شيء جاءت الأطباق الأخرى تترى واحداً بعد الآخر منها الأرز الصيني الساذج الذي لم يخالطه إلا الماء الذي طبخ به حتى الملح لا يدخله فضلاً عن البهارات أوالأدم. ولذلك لم يستسغه بعض الرفقة الذين لم تسبق لهم تجربته. أما أنا فإنني أرغب فيه لكون المرء لا يستطيع الإكثار منه كما نفعل في الأرز العربي الذي نصنعه في بيوتنا ونتأنق في صنعه بحيث يكون فيه من البهارات والدسوم ما يساوي في هضمه هضم الأرز نفسه أو أكثر من ذلك.

ومنها الخبز الصيني التقليدي وهو عجين عجيب أبيض اللون على هيئة كرات غير متقنة التكوير وتكاد تجزم إذا رأيته بأنه عجين لم تمسه النار، وصحن من لحم البط. وآخر من السمك وقليل من الأربيان وهذا هو أسمه العربي القديم الذي ذكره به الجاحظ وقومنا ينطقون به (الروبيان) ولا تكاد العامة تعرفه في أكثر البلدان الا باسمه المصري (جمبري) وهو صغار السمك أو هو جراد السمك إن صح التعبير.

وهذا الأربيان أحضروه مع قليل من العدس مطبوخًا بطريقة خاصة ثم خضرات أخرى مطبوخة من أهمها الخس الذي وضع معه الفطر وكل ذلك بطريقة خاصة غير مألوفة في الطبخ في بلادنا. وكان القوم المرافقون يأكلون بالأعواد الملس يضعونها بين الأصابع بطريقة خاصة ثم تفعل لهم في التقاط أصاغر القطع ما تفعله الشوكة لنا التي لا تلتقط إلا بالوخز أو الشك.

## برنامج الزيارة:

بعد إنقضاء العشاء عرض علينا المسئولون في الجمعية الخيرية الإسلامية البرنامج الذي اعدوه لزيارة وفدنا وسيستغرق خمسة وعشرين يومًا في الصين ويتضمن زيارة ثلاث مدن قالوا إنها تفتح لزيارة وفد أجنبي لأول مرة وكانت قبل ذلك مغلقة في وجوه الأجانب ومنها المدينة التاريخية (كاشغر) في إقليم سينكيانج ومدينة (لانجو) عاصمة إقليم كانسو ومدينة (خوتشو) في إقليم للمسلمين واقع في مقاطعة كانسو ومدن أخرى إلى جانب زيارة عاصمة إقليم سنكيانج (أرومسي) وبعض المدن الرئيسية في الصين مثل شنغهاي و(كانتون).

وقد اعتذروا عن زيارة بعض المدن التي كان الوفد قد طلب زيارتها من قبل بحجة أن تلك المدن لم تعد لاستقبال الزوار الأجانب من قبل.

وقد رحبنا بهذا البرنامج إلا أنه زادت مدته عما كنا قدرنا لها من قبل وكنا قدرنا أننا في مدة خمسة وعشرين يومًا نستطيع أن ننتهي من زيارة جميع البلدان التي نريد زيارتها في هذه المهمة لاسيما أننا سوف نزور بعد زيارة الصين الشعبية عدة بلدان هي: هونج كونج وسنغافورة وماليزيا. ولكن لا نحب أن نرفض زيارة مدن إسلامية أو مدن فيها نشاط للمسلمين لمجرد الرغبة في اختصار الوقت لذلك وافقنا شاكرين على برنامج الزيارة.

وعندما انصرف الإخوة المسلمون الصينيون استأنفنا جلسة مذاكرة وتشاور بين أعضاء الوفد في هذا البرنامج وكيفية توزيع الهدايا والأشياء التي نحملها للمسلمين مثل الشرائط المسجل عليها القرآن الكريم وجهاز التسجيل الخاص بها وكذلك المبالغ المالية الفورية التي نحملها لتوزيعها على المساجد المحتاجة للترميم والإصلاح.

وقبل النوم كنت أمام التلفاز الصيني أتفرج برؤيته وهو يبث على ثلاث قنوات اثنتان صينيتان والثالثة تذيع برنامجًا أوروبيًا وربما كانت مذاعة على الفيديو من الفندق نفسه.

وللفنون الصينية من غناء وتمثيل بل ورياضة بهلوانية طابع خاص ونكهة مميزة ليس هذا موضوع بحثها.

## يوم السبت ١٣/٧/١٤٠٤هـ ١٤/٤/١٩٨٤م.

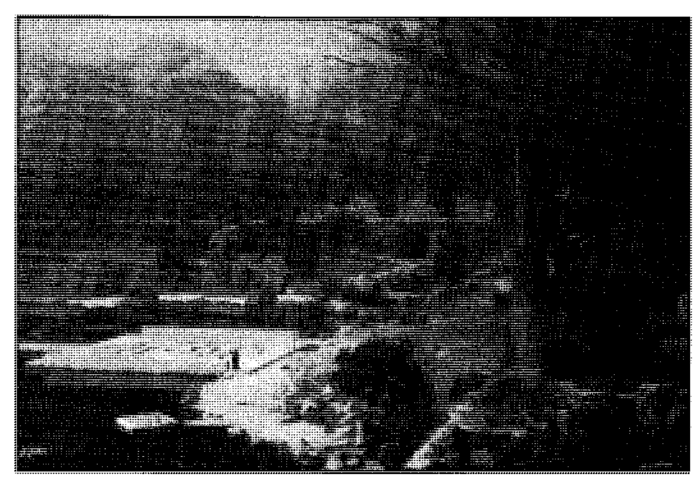
## صباح بكين

عندما أزحت ستارة النافذة وهي في الجهة الشرقية من الغرفة كان يكفي لكي تكون الإطلالة منها شائقة لي مجرد أنها تطل على أرض صينية بل على ضاحية من ضواحي عاصمة الصين ذات المئات من الملايين ويبلغ عدد سكان بكين ١٠ ملايين نسمة منهم سبعة ملايين ونصف يسكنون في داخل المدينة

ومليونان ونصف في الأرياف المتصلة بها وذات التاريخ العريق الذي فيه ما يزين وما يشين.

وكان في ذهني مما يزين منه ما ذكره الرحالة العظيم ابن بطوطة من مقام المسلمين بل مقامات المسلمين التي كانت لهم في مدن الصين ومع ذلك فإن تلك الذكريات التاريخية العربية لم تكن هي وحدها التي تشوق المرء إلى رؤية كل ما يستطيع رؤيته من أرض الصين أو ما يعرفه عن بلاد الصين.

رأيت الفندق واقعًا في لحف جبل (شيانغ شانغ) التي معناها: جبل العطر وإن لم أشم عطراً بل ولا ريحًا طيبة وإنما شاهدت ما في حديقة الفندق من أشجار وأعشاب يابسة هامدة كأنها تنتظر النشور على أيدي رسل الربيع مع أننا في فصل الربيع ربيع أهل هذه البلاد كما أخبرونا به من قبل إلا أنهم أضافوا أن الشتاء هذا العام قد طال أكثر مما كانوا يعرفون حتى جزموا بأن تغيراً مهمًا قد حدث في الجو في بلادهم بحيث صار فصل الشتاء أطول في الأجزاء الباردة من شمالها وصار الجو أقل حراً في الأجزاء الحارة من جنوبها ومع ذلك فإن الأشجار الصينية في أعالي هذه الجبال لا تخلو من النضارة إذ تبدو فيها بعض الخضرة.



حديقة فندق جبل العطر

ولقد تعبوا في تنسيق حديقته وإن لم يبالغوا في ذلك وأهم ما حرصوا على أن تبدو عليه هذا المنظر الطبيعي فهناك نبع طبيعي قادم من أعلى الجبل جعلوه يصب في بركة قد نصبوا فيها وما حولها أشجاراً منتصبة لتبدو كأنها المنظر الطبيعي الذي لا صنعة فيه وكان ذلك يبدو هادئًا كسائر المنطقة. لأن السيارات قليلة بل هي نادرة في هذه المنطقة وحتى في الشارع لم أرها مزمجرة صاخبة لأن أعدادها قليلة وإنما عامة مراكب الشعب الدراجات الهوائية المعتادة التي لا تحدث صوتًا وبعضهم حاله كحال الذي ذكره المتنبي:

من الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولقد لاحظت شيئًا هنا لا أدري أهو مقصود أم جاء مصادفة وهو غلبة اللون الرمادي على الأشياء فستائر الفندق ذات لون رمادي و (روب) الحمام وروب الغرفة كلاهما رمادي اللون، وعندما وقعت عيني على الأشجار والتربة في الخارج رأيت ذلك كله رمادي اللون وحتى صخور الجبل الذي أطل عليه الآن هي رمادية أو تقرب من ذلك.

وحتى الجو اليوم قد أصبح رماديًا فقد أصبحنا على جو قاتم من ضباب أو سحاب خفيف ستر شمسه، ولم يصل إلى حد الإظلام.

وتناولنا طعام الإفطار في المطعم الذي يسمونه أوروبيا في الفندق ويستحق ذلك لأن طعام الإفطار كله أوروبي الطابع ليس فيه من الصين شيء بخلاف طعام العشاء.

وكان الاستقبال من عاملات المطعم ذوات القسمات الباردة إن صح التعبير فهن لا يبتسمن في وجه النزيل كما اعتدنا ذلك من عاملات الفنادق في أوروبا خاصة وفي أنحاء العالم بصفة عامة عندما ينزل النزيل من غرفته ويلتقي بأهل الفندق لأول مرة في ذلك اليوم.

وليس ذلك منهن فحسب وإنما يخيل إليك أنهن يؤدين عملهن بشكل آلي فلا تأفف ولا ترحيب وحتى الكلام إذا استفسرت منهن عن شيء في الطعام أو أبديت لك رغبة فيه.

وكل ما يجدن عليك به من كلام - وقد تكرر هذا منهن بعد ذلك - هو السؤال التقليدي: تي؟ أور كوفي؟ أي: شاي أم قهوة؟

هذا مع أن أشكالهن لا بأس بها في الصينيات ولكنهن لسن من جميلاتهن كما هو عليه الحال في المطاعم التي يديرها الصينيون أبناء عمومتهن في هونج كونج أو تايوان أي فرموزا أو سنغافورة. وحتى لباسهن لايدل على أنهن يبالين بأنوثتهن ولا على أن الناس هنا ينظرون إليهن من ذلك المنظار فهو لباس موحد مع النساء في خارج العمل وإن اختلفت ألوانه وهو سروال أسود طويل سابغ كسراويل الرجال ليس ضيقًا ولا أنيقًا وقميص أبيض ذو كمين طويلين.

وليس على الوجوه مساحيق ولا أثر من آثار الزينة المجلوبة، مثلهن في ذلك مثل سائر نساء الصين. فالمساحيق لا تجوز والصين الشعبية في شغل عنها بتحصيل القوت لملايينها الألف.

وحتى الرجال قد شغلتهم الحياة الشاقة الرتيبة عن التطلع إلى مساحيق النساء لو تجرأن ووضعنها وأي رد فعل ينتظر من رجل يكاد لا يجد ما يكفيه من راتب لمسكنه وسكن أسرته، وحاجاته الفردية فهو لا يستطيع أن يوفر شيئًا ينفقه على امرأة أجنبية عنه تتزين له، وتتقرب بذلك لديه.

وعندما ألقت العاملة بما أتت به من طعام الإفطار على المائدة كان من ذلك علب من عصير البرتقال مكتوب عليه بالعربية وتبين أنه مما أعد للتصدير إلى البلاد العربية وكتب عليه ذلك وقد أتوا بها هنا ليشربها هؤلاء الأجانب الذين

لا تحكمهم قوانين التقشف الموجودة في هذه البلاد لأنهم سوف يصدرون من بلاد الصين بعد حين كما تصدر هذه العلب التي يشتهيها أهل الصين ولكنهم يؤثرون بها قومًا آخرين يدفعون بدلاً منها بنقد ثمين.

وكان الإفطار أوروبيًا تقليديًا كما قلت من البيض والمربى والزبدة والشاي والحليب والخبز الإفرنجي.

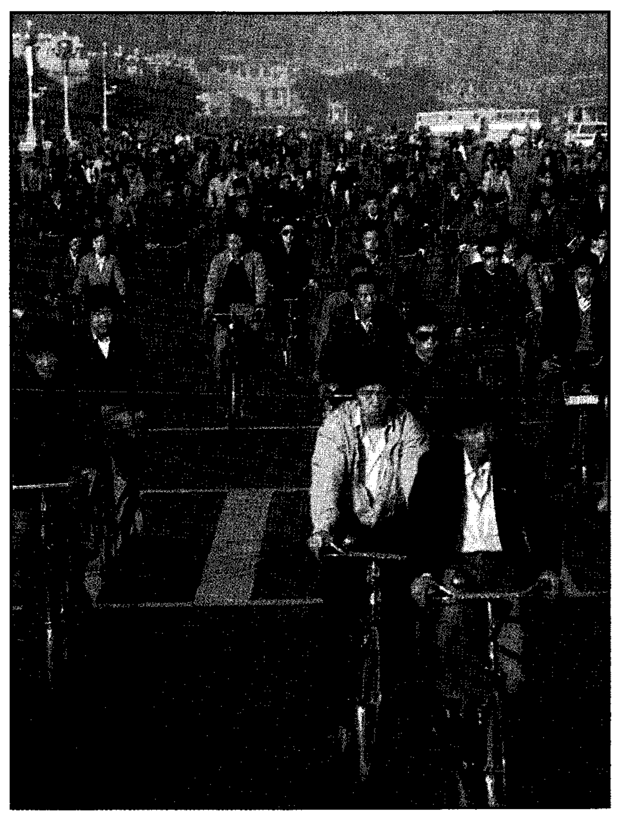
## إلى الجمعية الإسلامية:

أصبح ثلاثة من أعضاء الوفد مرضى هذا الصباح أحدهم أنا ولكنني تحاملت على نفسي وتناولت بعض الأدوية ومرضهم على هيئة إسهال قال بعضهم: إنه من طعام الطائرة الفرنسية أمس وقال آخرون: ربما كان من العشاء الصيني الليلة البارحة ولكن قال غيرهم: إن بقية الأعضاء لم يصابوا فربما كان ذلك للبرد الشديد بالنسبة إلى حر المملكة ومدينة كراتشي بعدها.

ولذلك تخلف عن الذهاب معنا إلى الجمعية الإسلامية بل عن الجولة كلها هذا اليوم اثنان من أعضاء الوفد.

سار الموكب في السابعة والنصف تتقدمه السيارة السوداء الرسمية وفيها الأخ لقمان لإجادته العربية فاخترقنا الضاحية التي فيها فندقنا ورأينا في طريقنا تلميذات المدارس وتلاميذها بلباس متحد التفصيل مختلف الألوان خلاف ما كنا سمعنا به من قبل من اتحاد الملابس في الصين في كل شيء ولاحظت أن التلاميذ تبدو على أجسامهم علامة الشبع وإن لم تكن تبدو عليهم علامات الصحة الجيدة فليس فيهم نحيل ولكن الإشراق في وجوههم قليل، مما قد يلاحظ منه أنهم لا يشكون من نقص التغذية ولكن من سوء التغذية بمعنى النقص في بعض الأغذية اللازمة للجسم.

وأكثر ما يلفت النظر هنا كثرة الدراجات التي يركبها الناس من كبار وصغار وذكور وإناث على حد سواء كثرة لافتة للنظر لأنها هي الوسيلة الوحيدة لركوب الشخص بسبب انعدام سيارات الركوب الصغيرة لدى عامة الشعب.



الدراجات في شوارع بكين

كما يلاحظ المرء كثرة محطات الحافلات (الأوتوبيسات) التي هي كثيرة ومع ذلك تكون مزدحمة ازدحامًا شديداً في وقت الذروة في الحركة كانصراف الموظفين أو وقت التحاقهم بأعمالهم.

والشوارع هنا في أطراف المدينة ضيقة وأشجارها هامدة لم تستيقظ أوراقها بعد نوم الشتاء الطويل. والتجميل في هذه الشوارع معدوم أو يكاد يكون معدومًا. ولذلك لا يرى المرء أي بهجة فيها وبخاصة إذا تأمل أفواج الناس من

راكبي الدراجات وكأنهم عليها الآلات فوق الآلات فالمرء منهم لا تراه ينظر إلى غير طريقه وتكاد تحس بأنه فقد المبالاة بما حوله، ومن حوله. ما عدا أن تمضي به دراجته التي يسوقها مثل غيره بهدوء تام لا يسابق الآخرين ولا تلاحظ شخصًا يحاول أن يسبق غيره.

## قصر الصيف:

مررنا بسور طويل لافت للنظر فقال الأخ (لقمان ما شان لي): إنه لحديقة كبيرة كانت تابعة لقصر ملكي اسمه (قصر الصيف) لأن الملك كان يقضي فيه فصل الصيف أو على التعبير الحديث الإمبراطور لأن ملك بكين كان يعتبر إمبراطوراً على ملوك آخرين أو حكام من كبار حكام الولايات الصينية الكبيرة.

والسبب في تسميته بهذا الاسم وتخصيصه لإقامة الإمبراطور في فصل الصيف أن جو بكين رغم برده في الشتاء فإنه يكون في العادة حاراً في الصيف وإن لم يكن شديد الحرارة.

ثم مررنا بترعة كبيرة في عرض نهر بردَى أعدت للدفاع عن المدينة القديمة مأخوذة من نهر اسمه (يونغ تين) بمعنى الاستقرار الدائم. وكان اسم المكان في السابق (وو دين) أي الاضطراب فغيره الإمبراطور (تشن لونغ) قبل ثلاثمائة سنة إلى اسم (يونغ تين) بمعنى الاستقرار الدائم.

ثم مررنا بالنهر نفسه (يونغ) مع شوارع ضيقة في هذا الجزء من ضواحي المدينة بحيث تقف السيارة أو تتمهل إذ قابلتها سيارة أخرى.

وأكثر البيوت القديمة فيها سيئة المظهر تبدو عليها قلة العناية وعدم القدرة على الترميم ما عدا (العمارات) الكبيرة التي تقيمها الحكومة وتؤجرها على العمال والموظفين ونحوهم.

وتكاد تجزم إذا رأيت شوارعهم هذه في ضواحي المدينة. وأطرافها أن القوم ليست لديهم رغبة في إصلاح المدينة أو هم عاجزون عن ذلك وإلا لما تركوها هكذا مهملة خالية من العناية.

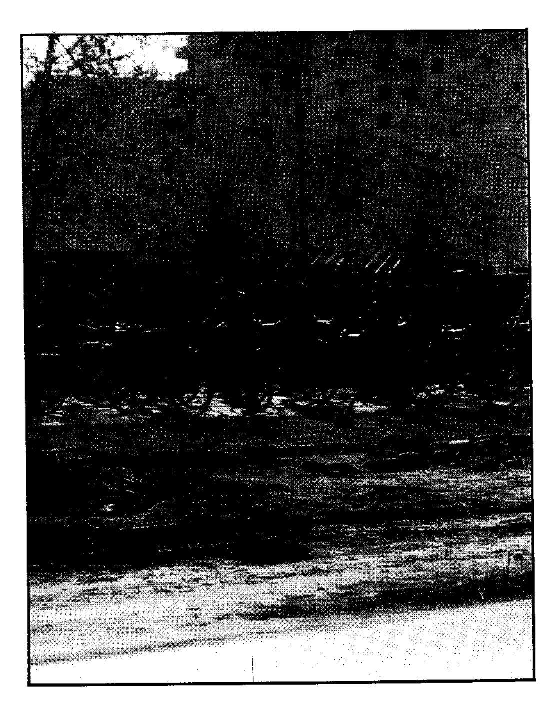
## المزرعة الجماعية:

لا يمكن أن ننقل هنا صورة للمزارع الجماعية لأننا لم نرها بعد ولا أريد أن أكتب شيئًا لم أشاهده غير أنني مررت ببقعة صغيرة مزروعة في هذه الضواحي لو ملكها فلاح من بني قومنا بمفرده لاعتبرها قليلة ضيقة بالنسبة إليه ورأينا فيها جماعة من الرجال والنساء أكثرهم من المسنين أقدر عددهم في حدود العشرة. وأخبرونا أنها مزرعة جماعية للخضار بمعنى أن جماعة من القوم يشتركون في زراعتها ولم أر معهم أية وسائل حديثة من وسائل الزراعة. وإنما هي الأدوات القديمة كالرفش والمساحي الطويلة الأيدي أو النصاب كما نسميها في لغتنا العامية وهي كلمة فصيحة أصيلة.

وفيها جزء غطوه باللدائن حماية له من البرد لأن البرد يقتله إذا لم يحم منه.

وللخضار أهمية كبيرة في الصين أكثر من غيره من أنحاء العالم لأن أهل الصين يأكلون الخضروات والأعشاب والبقول أكثر من غيرهم ولا تمكنهم حالتهم الاقتصادية من استيراد ذلك من خارج البلاد الصينية.

وفي القسم القريب من قلب المدينة وصلنا إلى شوارع واسعة تسير فيها السيارات والدراجات بهدؤ الا أن أعدادها غير كثيرة وأكثر السيارات التي تسير في هذه الشوارع من قلب المدينة هي سيارات النقل الكبيرة ذات اللون الزيتوني التي تحسبها سيارات عسكرية وهي ليست كذلك ثم الحافلات التي هي موجودة بكثرة وان لم تكن بالقدر الذي ينتظر أن تكون عليه في مدينة يزيد عدد سكانها على عشرة ملايين نسمة ولا يملكون سيارات خاصة.



شارع عليه عمارة فخمة وسائقو الدراجات فيه

وفي هذا القسم الواسع الشوارع وربما صح القول إنه قسم حديث من المدينة مع أن المراد بحداثته ما قبل الحكم الشيوعي توجد إشارات مرور معتادة على حين أن الموجود في غيره في الغالب رجال من المرور يسيرون السيارات بإرشادات من أيديهم في مفارق الطرق غير الواسعة، ورجال الشرطة كرجال الجيش يرتدون ملابس جيدة المظهر حسنة اللون.

## في حي إسلامي:

دخل الموكب شارعًا ليس واسعًا اسمه (نيوجيه) أي: شارع البقر والسبب في ذلك أن المسلمين في القديم كانوا يحبون الأبقار للبن واللحم بخلاف الصينيين الذين يأكلون الخنازير ويربونها في بيوتهم.

وفي هذا الشارع شاهدت مطعمًا كتب عليه بالعربية (مطعم إسلامي) ومسجداً لم نقف عنده لأن لنا عودة إليه وإنما قصدنا الآن زيارة مقر الجمعية الإسلامية المركزية في بكين الذي يقع في هذا الحي الإسلامي الذي يسكنه الآن مع المسلمين غيرهم وكان حيًا يكاد يكون خالصًا للمسلمين في الماضي.

ولفت نظرنا هنا كثرة وجود الطواقي على رءوس السكان واعتمار (الطاقية) على الرأس شعار المسلمين في بلدان كثيرة.

## مقر الجمعية الإسلامية:

بعد أن أمضينا ساعة من المشي منذ أن انطلقنا من فندقنا في (جبل العطر) وصلنا مقر الجمعية الإسلامية فوجدنا في الاستقبال فيه الأخ محمد على جانغ جي رئيس الجمعية وعدداً كبيراً من زعماء المسلمين وكبرائهم العاملين في الجمعية.

وفي قاعة متوسطة للاجتماعات أبدى رئيس الجمعية الإسلامية محمد علي جانغ جي اعتذاره عن عدم تمكنه من استقبال وفدنا في المطار بسبب مرضه وقد كان المرض واضحًا عليه، وقال مرافقونا: إنه يشكو من ضمور في شرايين الدماغ وأنه يتناول أدوية مع أنه ليس كبير السن إذ هو في السابعة والستين.

وهذه سن عندهم ليست كبيرة لأننا وجدنا بين المستقبلين عدداً من الذين بلغوا التسعين من العمر وتلك عادة من عادات أهل الصين التي استمرت حتى في هذا العهد الشيوعي وهي التمسك بأهل الأسنان أي المسنين والاستفادة من خبرتهم وعدم إحالتهم للتقاعد. الا إذا كانوا من عامة الناس الذين لا يستفاد من خبراتهم فإنهم يحالون إلى التقاعد إلا أنهم كثيراً ما يكلفون القيام بأعمال تتناسب مع طاقاتهم، ولا يظلون عاطلين.

## اللقاء الرسمي الأول:

عندما وصل الوفد إلى مقر الجمعية الإسلامية الصينية وكان في استقباله عند المدخل الشيخ الياس شن شياشي والشيخ صالح آن شي وي نائبي رئيس الجمعية الإسلامية الصينية وغيرهما من الموظفين فيها. ثم دخل الجميع قاعة الاجتماعات في الدور الأرضي حيث اجتمع فيها مع المذكورين الأخوة المسلمون: الشيخ محمد علي جانغ چي رئيس الجمعية الإسلامية الصينية.

الشيخ عبدالرحيم ماسوتينغ مدير معهد الدراسات الإسلامية الفخري.

الشيخ يحيى ليو عضو المجلس الوطني.

الشيخ ابراهيم ماجو شن نائب رئيس قسم البحوث الإسلامية في الجمعية.

الشيخ داود شي كون إمام مسجد نيوجيه.

الأستاذ سليمان خاني دونغ سكرتير الجمعية.

الاستاذ عيسى محمود كو جنغ تاي مدير قسم العلاقات الخارجية بالجمعية.

وبعد الترحيب بالوفد شرح الشيخ إلياس أحوال المسلمين في الصين الشعبية إبان الثورة الثقافية و عصابة الأربعة. فقال:

هذه الثورة الثقافية كانت على الثقافة والمعرفة على حد سواء. سواء كانت

الثقافة إسلامية أو غير إسلامية وقد أكلت الأخضر واليابس وسلط الطلبة على الحكام والمعلمين دون اعتراض أحد عليهم إذْ يلقى المعارض جزاءه فوراً، وهو الإعدام بالشنق أو رميًا بالرصاص أمام الجماهير. وأصبح تلاميذ المدارس هم الحكام بدون معارض. بأى مستوى كان. وكان الطالب المجرم هو الناجح وغيره ساقط ومجرم في نظرهم فإن الطلاب الذين عاشروا الفترة المذكورة معظمهم أمي أو شبه أمي. بالرغم من شهادات النجاح التي عندهم وهذا حسب اعترافهم بأنفسهم. سواء في تركستان أو في الصين.

واستمرت الثورة عشر سنين. من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٧م حتى موت تونغ. وإنه مات في هذه السنة وهذه الفترة تعد من أسوأ الفترات التي مرت على الإنسانية في تاريخ الإنسان الصيني - لم ير مثلها قبلها ولن يرى بعدها - إن شاء الله. وفي اثناء الثورة المذكورة كان الطالب يتجول في الشوارع وفي يده صفيحة أو صحن ومقراض وكبريت.

وإذا رأى إنسانًا ملتحيًا أو أمرأة ذات شعر طويل وحجاب. قص اللحية والشعر واحرق الحجاب علنًا في الشوارع أمام الجماهير واهانهم وربطوا اعناقهم بالحبال وجرجروهم كالنعاج. وأصبح الحكام ألعوبة في أيدي السفهاء من الطلبة. وقد تعلق الصفيحة أو الصحن على عنقه ثم يطبلها قائلاً مكرها (أنا الذي فعلت كذا واخذت مال كذا) من أنواع الأقوال الملصقة بالزور والبهتان. ثم يلقى في غيابات السجن. ولم يبق احد الا قد ذاق العذاب على ايدي الماوية الماركسية لعنهم الله.

وان معظم الحكام الحاليين من الذين ذاقوا العذاب على أيدي هؤلاء لذلك بدأوا في تغيير السياسية الماوية الماركسية بعد الثورة الثقافية اي بعد موت (ماوتسي تونغ) عام ١٩٧٧م بدأ التغيير رويداً رويداً.

وفتحت المساجد كلها ما عدا القليل بسبب ضياع أرضية المسجد من الهدم

أو قد بنى على ارضها شيء آخر مثل المصالح الحكومية.

وبدأ المسلمون يحفظون أولادهم القرآن الكريم في المساجد ويعلمونهم العلوم الدينية. ورجع كبار السن إلى زيهم القديم الإسلامي. وانكسر الستار الحديدي المضروب عليهم وفتحت الأبواب إلى الداخل والخارج وبدأ الاتصال بين المسلمين.

وقد ألقى رئيس الجمعية الإسلامية كلمة ترحيب قصيرة رددت عليها بكلمة مبسوطة بينت فيها الغرض من قدومنا إلى الصين الشعبية وأنه النظر في التعاون مع المسلمين فيها على ما فيه البر والتقوى عملاً بقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى). من دون أن يكون في ذلك سعي لمصلحة مادية من سياسية أو اقتصادية.

ثم قلت، إننا مستعدون للنظر فيما تطرحه الجمعية الإسلامية من مشروعات إسلامية تطلب مساعدة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة على تحقيقها.

وأخبرتهم فيما أخبرتهم به أن رابطة العالم الإسلامي التي أوفدتنا إلى هذه البلاد هي منظمة إسلامية عالمية شعبية وليست دائرة حكومية سعودية ولا غير سعودية، وإنما تساعدها المملكة العربية السعودية كما تساعد غيرها من الهيئات الإسلامية في العالم.

ثم تكلم الياس شن شياشي نائب رئيس الجمعية فقال إن حالة المسلمين في الصين الشعبية منذ قيام جمهورية الصين الشعبية معتادة حتى قامت الثورة الثقافية التى دبرتها عصابة الأربعة ولكن منذ أن زال عهد العصابة المذكورة أخذت الأمور تعود إلى مجاريها فأخذت المساجد تعاد وبعضها يصلح وبعضها يفتح للصلاة من جديد وما زال الأمر في تحسن والحمد لله حتى الآن.

وعصابة الأربعة التي ذكرها الحاج الياس هم الذين كانت الثورة الثقافية في

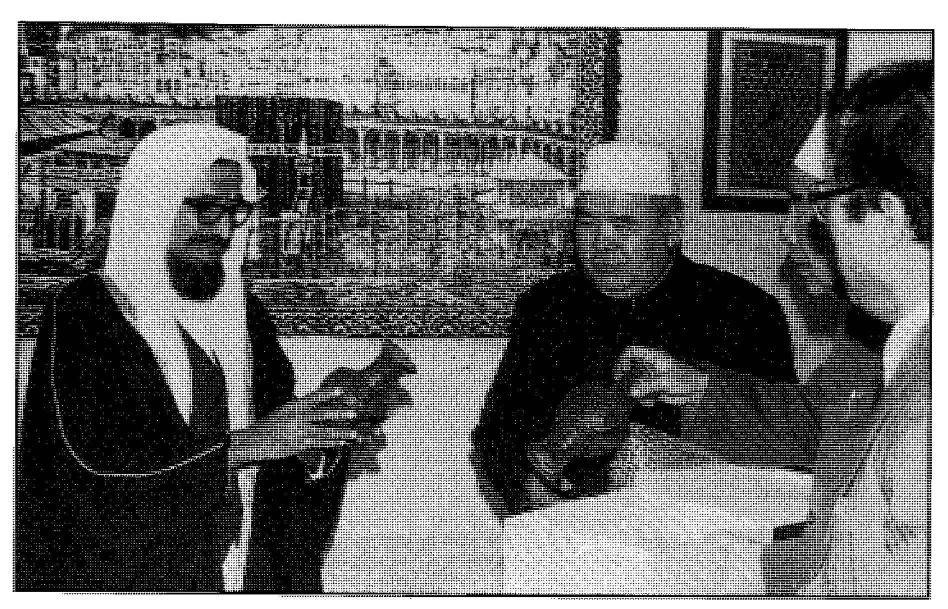
عهدهم الذي دام عشر سنين من عام ١٩٦٦م - إلى عام ١٩٧٦م.

١ - جنياي تشين: زوجة الرئيس ماو عضو المكتب السياسي للجنة الحزب الشيوعي المركزية.

٢ - وانغ هون ون: نائب رئيس لجنة الحزب الشيوعي المركزية.

٣ - تشانغ شون جياو: عضو المكتب السياسي للجنة الحزب الشيوعي المركزية ونائب رئيس مجلس الدولة.

٤ - ناو ون يوان: عضو المكتب السياسي للجنة الحزب الشيوعي المركزية ونائب رئيس مجلس الدولة.



الوزير محمد علي جانغ جي رئيس الجمعية الإسلامية يقدم الهدية للمؤلف

وفي نهاية هذه الجلسة التي قدموا فيها الشاي الصيني الشبيه بالأخضر الخالي من السكر، ومعه بعض البسكويت والتفاح والحلوى قدم رئيس الجمعية الإسلامية هدايا لوفدنا تتألف من تحف فخارية جميلة مكتوب عليها آيات قرآنية وأدعية آخرى بالعربية وخصني بمزيد من ذلك فقدمت له هدية رمزية فيها من تمر المدينة المنورة، وعباءة عربية وساعة يدوية كما قدمت لعدد من كبار

أعضاء الجمعية الإسلامية الصينية الحاضرين هدايا أخرى.

ثم ودعنا رئيس الجمعية والمسنين من أعضائها إلى حين لأن لنا عودة إلى هذه القاعة التي تقع في الطابق الأرضي بعد الجولة في بناء مقر الجمعية الذي يشتمل أيضًا على المعهد الإسلامي وعلى مصلى ومكتبة ومعرض للكتب.

فكان الدخول أول الأمر إلى قاعة المعرض وتشتمل على مخطوطات بالعربية من أبرزها مصاحف محفوظة قديمة كلها ليس فيها ترجمة ولا شرح باللغة الصينية، وأكثرها خطوط معتادة ليست بالغة القدم، وفيها كتب إسلامية باللغة الصينية، ولكنها ليست كثيرة على اعتبار ان المعرض مخصص للكتب ذات القيمة التاريخية. وربما تكون الكتب الصينية القديمة أو يكون الموجود لديهم منها ليس كذلك.



المؤلف يسلم الهدايا للحاج الياس شن شياشي
نائب رئيس الجمعية الإسلامية في مقر الجمعية

ثم مسجد الجمعية وهو ذو محراب واسع عليه حلية بطراز أخضر كل الكتابات فيه باللغة العربية.

وقد أنشئ هذا المسجد عند إنشاء مبنى الجمعية الإسلامية الصينية هذا كله في عام ١٩٥٨م. والمبنى كله يخص الجمعية الإسلامية في الوقت الحاضر كما قالوا لنا.

## المعهد الإسلامي:

للاطلاع على هذا المعهد أهمية خاصة فيكاد يكون المعهد الإسلامي الوحيد الموجود في الصين كلها على هذه الهيئة الرسمية. مع أن المسلمين في الصين موجودون في أكثر الأقاليم وبعضها تقطنه أكثريات إسلامية مثل إقليم سينكيانج وبعضها تسكنه أقلية إسلامية ولكنها أقلية ذات نسبة عالية مثل إقليم (نن تشا) الذي يبلغ المسلمون فيه حوالي ٣٥٪ إضافة إلى مجموعات إسلامية أخرى في أقاليم متعددة ولا توجد معاهد إسلامية في تلك البلاد مما سبب الخوف بل الرهبة عند المسلمين المخلصين من انقطاع المعرفة الإسلامية لدى المسلمين عند إنقراض الجيل القديم من أئمة المساجد ومشايخ الدين الذين تخرجوا في مساجد الصين وخلت المساجد منهم ومن أمثالهم أو كادت تخلو في الوقت الحاضر.

واسمه (المعهد الإسلامي) وقد يسمونه (معهد العلوم الإسلامية).

دخلنا أول الأمر الفصل الأول وفيه ١٧ طالبًا فوجدناهم قد كتبوا على السبورة الحروف الهجائية العربية وما يقابلها من الأصوات بالصينية ولا أقول الحروف الصينية لأن اللغة الصينية ليس فيها حروف هجائية مشابهة للحروف في اللغة العربية ونحوها من اللغات التي تستعمل الحروف الهجائية وإنما الكتابة الصينية مؤلفة من أشكال متعددة كل معنى له شكل خاص في الكتابة لابد من أن يتعلمه من يريد إتقان الكتابة باللغة الصينية.

وليس هذا موضع الحديث عن اللغة الصينية فقد يأتي الكلام عليها في موضع آخر.

وسألت الطلاب عما إذا كانوا يجدون صعوبة في تعلم اللغة العربية لكونهم مبتدئين فأجابوا إنهم لا يجدون صعوبة في ذلك ولقد شفعوا ذلك بأن تحدثوا بجمل قصيرة بالعربية بحيث أحسسنا بأن مستواهم جيد.

ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني ومعه مدرسهم اسمه (كمال الدين يانغ) فداعبتهم قائلاً: أرجو أن تكملوا تعليمكم بعد الانتهاء من هذا المعهد في المدينة المنورة فضجوا كلهم بالتأمين واظهروا شوقهم وتشوقهم إلى ذلك.

ثم مررنا بمكتبة المعهد وكلها كتب عربية جيدة قالوا: إن عماد هذه المكتبة هدية قدمها الملك فؤاد ملك مصر إلى الجمعية الإسلامية إبان حكمه، ذلك أن البلد العربي الإسلامي الرئيسي الذي كان يستقبل الطلاب من الأقليات الإسلامية البعيدة ويعلمهم كان القطر المصري.

ثم انتقلنا إلى قاعة للمطالعة تركبها قبة قالوا: إنها إحدى قباب خمس موجودة في المبنى وفي هذه القاعة كتب عربية وصينية وقد أبرزوا الكتب العربية على اعتبار أن طلاب المعهد الإسلامي يستفيدون منها كما أخبرونا.

## مكتب التبادل الثقافي:

قالوا سنذهب الآن إلى مكتب التبادل الثقافي فلم نفهم ذلك أول الأمر حتى قالوا: إن المراد منه تبادل الكتب الإسلامية، وقد أخذت معي نسخًا قليلة من مؤلفاتي من أجل مبادلتها بما يكون لديهم من كتب مدنية أخذاً من مفهوم كلمة التبادل، ولكنهم صححوا هذه الفكرة بأن قالوا: إن هذا المكتب يبيع الآن الكتب الإسلامية التي تطبعها الجمعية الإسلامية الصينية، ولكنهم كانوا قد أسموه مكتب التبادل الثقافي على اعتبار ما كان لأن بيع الكتب الدينية التي كان

يبيعها ممنوع إبان حكم عصابة الأربعة الذي شجع الفوضى بما أسماه الثورة الثقافية فلما هزمت عصابة الأربعة وسجن أعضاؤها وحصل التراخي بعد التشديد الشيوعي الذي منه تحريم بيع الكتب الدينية صارت هذه الكتب تباع بيعًا على الجمهور ولكن بقى الاسم على ما هو عليه.

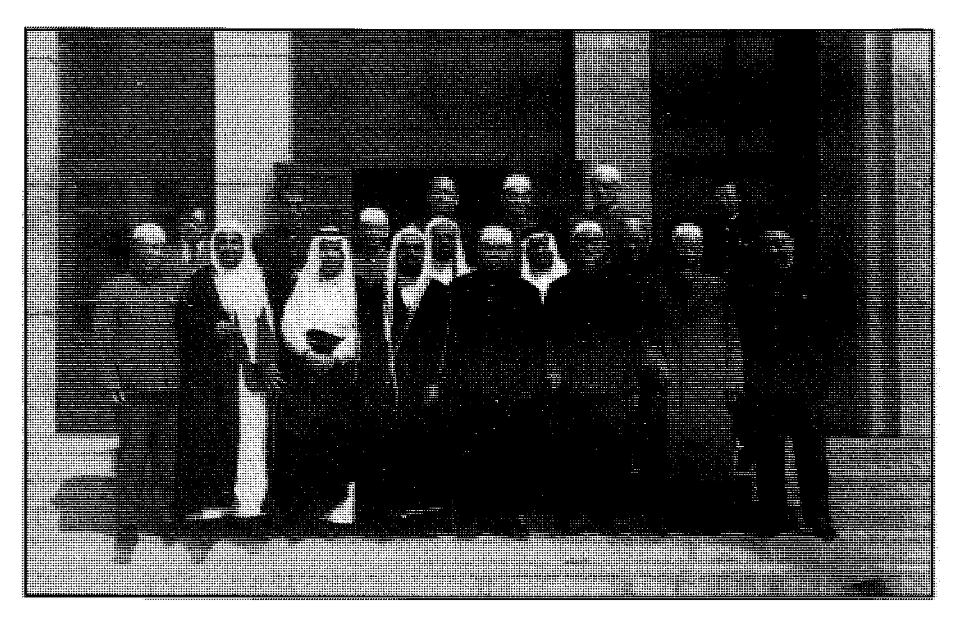
وهذه الكتب التي تباع كلها كتب صينية ومعاجم عربية صينية. وقد أهدونا مجموعة منها. وكانت الزيارة كلها تسجل بالصور وبالكتابة الصحفية حيث كانت هناك مصورة صينية قالوا: إنها تتعامل مع الجمعية الإسلامية وهناك امرأة أخرى تسجل ما يدور من الحديث قالوا: إنها من صحيفة بكين.

ومع ذلك كان المسجل يذيع تلاوة من القرآن الكريم ربما لمناسبة زيارة الوفد وكان بعض الطلبة يطلون ويتابعون تحركات الوفد بقلانسهم أي طواقيهم البيض فكان المشهد أشبه ما يكون بالمظاهرة الإسلامية هنا في الحي الإسلامي من بكين القديمة.

وإن كان الأمر يبدو مرتبًا من قبل لأن زيارة مقر الجمعية الإسلامية كان من أهم فقرات البرنامج المقررة قبل ذلك.

وفي أثناء زيارة الوفد تقدمت الصحفية الصينية التي نالها من هدايا الوفد علبة صغيرة من تمر المدينة المنورة بطلب الإدلاء بتصريح لصحيفتها بناء على طلب منها وتأييد من المسئولين في الجمعية الإسلامية فتضمن التصريح الإشادة بالعلاقات الصينية العربية قبل الإسلام وبعده وأوردت الأثر القائل« اطلبوا العلم ولو في الصين» وقلت: هذا يستدل منه على ما في نفوس العرب من منزلة عالية رفيعة للصين في ذلك الوقت رغم بعدها عنهم لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لما ضرب المثل بطلب العلم في الصين مع البعد الشديد عن بلادهم في ذلك الزمان.

وقلت لهم: إن المواطنين الصينيين كانوا على مدى العصور يعيشون إلى جانب مواطنيهم من أبناء المسلمين بمودة وانسجام وصداقة ونحن نعتبر ذلك مدعاة لصداقة الصينيين للعرب لأن أصدقاء إخواننا المسلمين هم أصدقاؤنا. وقلت لها: إن الهدف من زيارة وفد الرابطة هذا إلى الصين هو هدف إسلامي ثقافي قصد منه العمل على تمتين العلاقات الثقافية الإسلامية بين رابطة العالم الإسلامي والجمعية الإسلامية الصينية عملاً بما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) وتعاون الرابطة مع الهيئات والمؤسسات الإسلامية في العالم ليس موجهًا ضد الهيئات والمؤسسات الثقافية لغير المسلمين ممن لا يسعون إلى الإضرار بالمسلمين.



صورة تذكارية عند باب الجمعية الإسلامية مع وفد الرابطة

## مطعم القوميات:

قال إخواننا في الجمعية الإسلامية إن غداءكم اليوم سيكون في (مطعم القوميات) ولم نكن لنفهم ذلك بسرعة فالقوميات عندنا شيء آخر غير القوميات في الصين.

والمراد بالقومية في هذا المطعم أنه توجد فيه أطعمة القوميات المختلفة في الصين من الصينيين الكفار الذين لهم الأكثرية العددية ويعبر عنهم بقومية «خان» إلى المسلمين الذين لا يأكلون ذبيحة الكفار في الصين لأن كفار الصين ممن لا تحل ذبائحهم للمسلمين.

ودخلنا إليه في قصر معتاد ولكن تظهر عليه الفخامة وقال أحد الإخوة: إن هذا كان يسمى قصر الثقافة.

وفي الطابق الثاني الذي يصعد إليه من درج هناك وجدنا قاعة كبيرة قد كتب على بابها باللغة العربية (المطعم الإسلامي) وفي قاعة داخلية أخرى أصغر منفصلة عن الكبرى وجدنا مائدة كبيرة مستديرة قد نصبوها، قادتنا إليها فتاة صينية أصيلة أهم ما يشهد لها بذلك ضيق العينين، وانتفاخ الحاجبين وارتفاع الوجنتين ولكنها كسائر الفتيات العاملات هنا قلما ترى في وجهها انفراج الشفتين عن ابتسامة أو ما يقرب من الابتسامة بل كل همها أن تؤدي عملها وذلك ما نطلبه نحن وأمثالنا منها ولكننا نحكي هنا ما رأيناه أولاحظناه.

فبادرت بأن وضعت على المائدة المقبلات التي منها الحامض والحار وإن يكن ذلك دون مبالغة فيه، وفيها ما تنكره ولا تعرفه.

وفيها ما تعرف أصله ولكنك تنكر فصله في هذه البلاد مثل طبق جاءوا به قالوا: إنه لحم الضأن وقد قطعوه قطعًا صغيرة رقيقة حتى أصبح كالأوراق الخفيفة ومثل شربة البيض وما قولك في شربة أي حساء حار تسبح فيه قطع من رقائق البيض أيضًا، كما جاءوا بالسمك وبالدجاج في مقادير قليلة لأنها ليست وحدها وإنما أصناف الطعام كثيرة ولكنهم صنعوها صنعة فيها التكلف والغرابة بحيث تجزم أنهم أنفقوا في إعدادها من الجهد والوقت أضعاف ما

ننفقه على ذلك ومن أغرب ما فيه أن قدموا مع المقبلات شيئًا قاسيًا قالوا: إنه من قصب (البامبو) والبامبو كما نعرفه هو نبات بل أخشاب كالخيزران الا أنه أغلظ سوقًا وأكثر استقامة ويستعمل في بلاد كثيرة مثل بنغلادش وبورما وتايلند في بناء البيوت يشقون أغصانه الكبيرة شقًا ويلصقون بعضها ببعض برباط من أعواد أخرى أصغر منها وهكذا الا أنه لا يعمر الا في حدود عشرين سنة هناك كما أخبرنا أهل البلاد.

أما في هذه البلاد الصينية فقد استعملوا نوعًا من البامبوفي هذه المقبلات وأخبرونا أنهم يعملون منه أيضًا خضرات يطبخونها في طعامهم حسب ما اعتادوا عليه في نظامهم الغذائي من الإكثار من الخضرات والإقلال من الدهنيات والسكريات. وقد انصرفنا مسرعين إذ القوم كانوا ينتظرون فراغنا لأننا تأخرنا قليلاً.

## جامع نيو جيه:

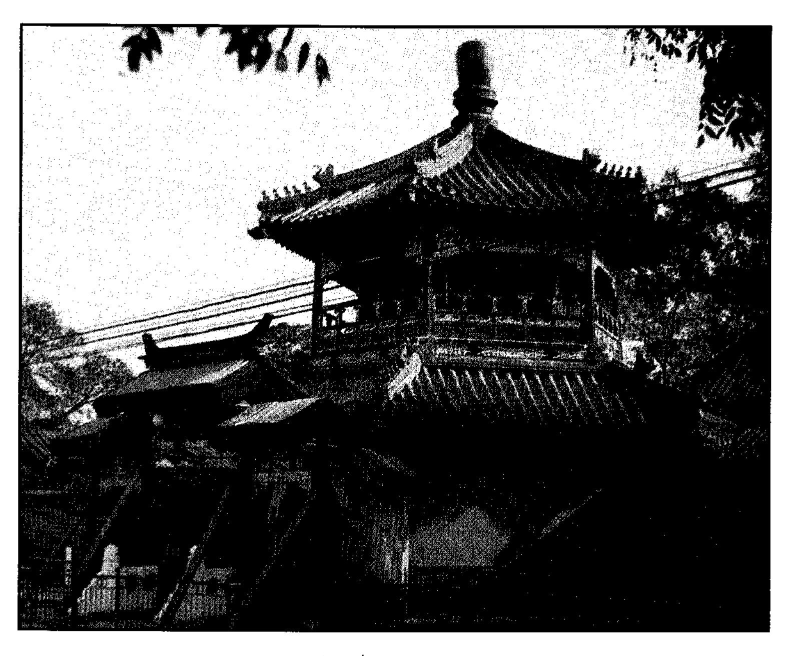
أي (جامع شارع البقر) كما هو معنى اسمه بالعربية سار إليه الموكب عصراً ومررنا بمعبد بوذي على تلة قالوا: إنه معبد السن أي سن بوذا وأنه قد مضى عليه ثلاثة آلاف سنة.

ولقد تذكرت بهذه المناسبة أنني رأيتهم في المعابد البوذية يحرصون على إنشائها في أماكن عالية جداً مثل معبد قديم في ضواحي مدينة «كتمندو» عاصمة نيبال الذي قالوا: إن درجاته تبلغ ألف درجة ومثله معبد بوذي في الجبل الذي يطل على مدينة شنغماي في شمال تايلند وأما ما يتعلق بالسن فإن معبد السن موجود أيضًا في مدينة (كندي) في الهضبة الوسطى من جزيرة سيلان ولا يزال البوذيون يتقربون إليه ويعظمونه.

ووصلنا إلى شارع البقر الذي وصفته من قبل عند المرور عليه في الطريق إلى مقر الجمعية الإسلامية ووجدنا جماعة من المسلمين واقفين عند مدخل الطريق إلى المسجد لأن المسجد تحف به ملاحق تابعة له مثل برج كان يستعمل لرؤية الهلال في رمضان وفي شوال في القديم عندما كانت الأبنية القديمة منه متطامنة ويستعملونه الآن لذبح الدجاج ونحره أي لتذكيته تذكية إسلامية وبيعه على المسلمين.

كما تجمهر مع المسلمين طائفة من سكان الحي من غير المسلمين عندما ضعف شأن المسلمين وأصبح الحي غير خالص لهم.

وكان على رأس الواقفين المستقبلين الشيخ داود كون إمام جامع نيو جيه وكان يرتدي الملابس الصينية التقليدية التي يلبسها طلبة العلم ومن أهم ما فيها العمامة وقد أرسل لها ذؤابة خفيفة وجبة غليظة جداً قد لبسها فوق ثيابه كما كان معه من المستقبلين جماعة من طلبة العلم و محبي الدين.

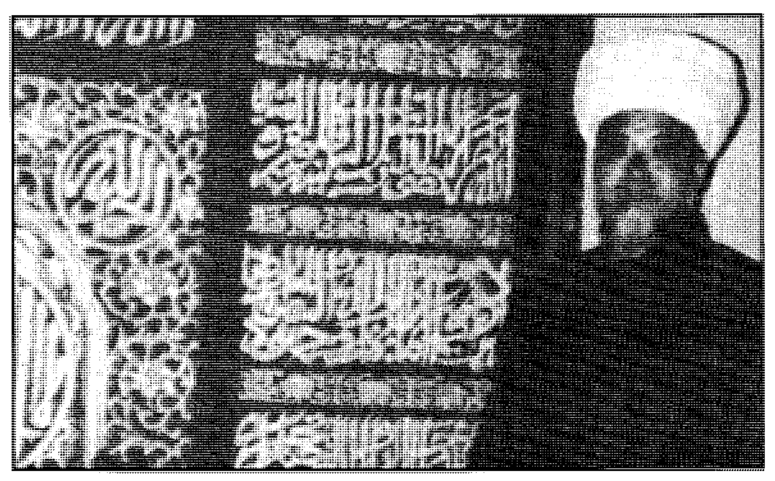


جامع نيوجيه منظر خارجي

وقد طلبوا منا الجلوس في قاعة للجلوس من الأبنية الملحقة بالمسجد وجاءوا بالشاي الصيني الأخضر الخفيف الخالي من السكر الذي لولا نكهة الشاي فيه لما ظننت أنه شاي لأنه ليس مراً مرارة الشاي الأحمر المعتاد قبل أن يوضع فيه السكر ومعه نقل وفاكهة ومن بينها فاكهة مجففة قالوا إنها التمر الصيني وذكروا اسمها بما لا أعرفه وقلت لهم: إنه ما دام يوجد التمر العربي والتمر الهندي فإنه لمن المعقول أن يكون هناك التمر الصيني. وهذه الفاكهة حلوة ولها نواة ولكنها بعيدة عن تمرنا الذي منحه الله لأهل صحرائنا فاكهة وغذاء.

وبعد ذلك تجولنا في المسجد الذي ذكروا أن الحكومة الصينية الحاضرة ساعدتهم على ترميمه على اعتبار أنه من الآثار القديمة وكانت عصابة الأربعة والذين أغووهم وضللوهم من الشبان قد حاولوا الاعتداء عليه وأغلقوه.

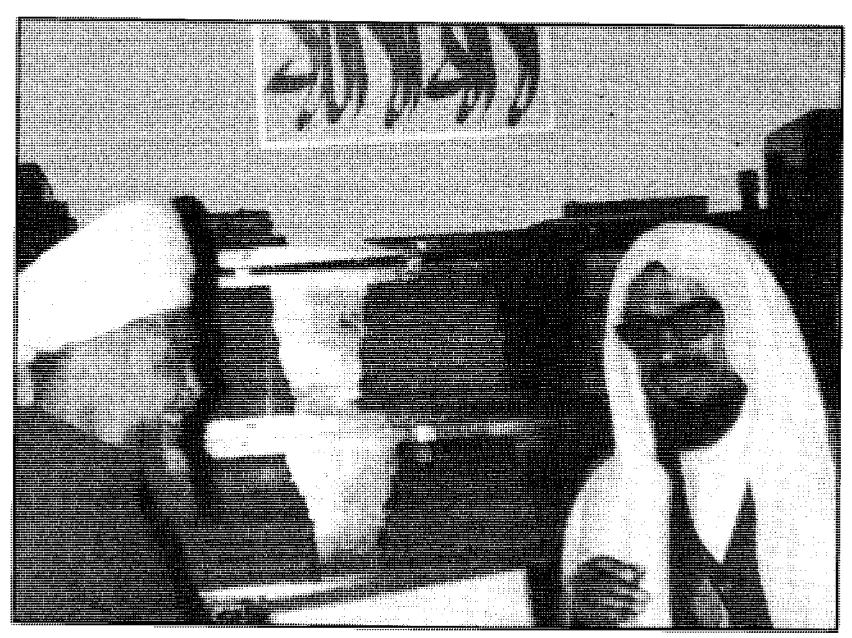
وهو جدير بالإصلاح لأنه قديم التاريخ عجيب الصنعة فهو من الخشب ولكن داخله مزوق بنقوش عربية ومحاط بأفاريز كتب عليها آيات قرآنية كريمة بعضها بخط نسخي جميل وطائفة منها بخط كوفي وقالوا إنها تضمنت سبعاً وعشرين سورة منها سورة الرحمن كاملة.



الشيخ داود كون شي إمام جامع نيوجيه واقف بجانب
الآيات القرانية الكريمة المكتوبة على حائط الجامع

أما أصباغة الفاقعة المختلفة الألوان ومن أهمها اللون الذهبي والأحمر فإنني لا أظن أنها تقل عن أصباغ القصور الملكية في الصين وأكثرها محتفظ برونقه وبعضها قد جدد طلاؤه وقد ألقى الشيخ داود كلمة ترحيب بالعربية تضمنت شيئًا من الحديث عن هذا المسجد العريق.

وقد أخبرونا أنه بنى في عام ٩٩٦م وأنه قد خرب في عهد عصابة الأربعة خلال الثورة الثقافية ثم أعيد ترميمه في عام ١٩٧٩م وأن حكومة الصين قدمت مبالغ من المال لترميمه على اعتبار أنه من الأبنية الأثرية الصينية المهمة. وهو بالفعل مبني على الطراز الصيني التقليدي وقد استعملوا ٢,٥ كيلو من الذهب لطلاء الآيات القرآنية الذهبية فيه، وأنه يوجد في شرقي حديقته أي في الجهة المعاكسة للقبلة لأن قبلة أهل الصين إلى مغرب الشمس قبران لعالمين كانا مشهورين أحدهما في القرن السابع الهجري.



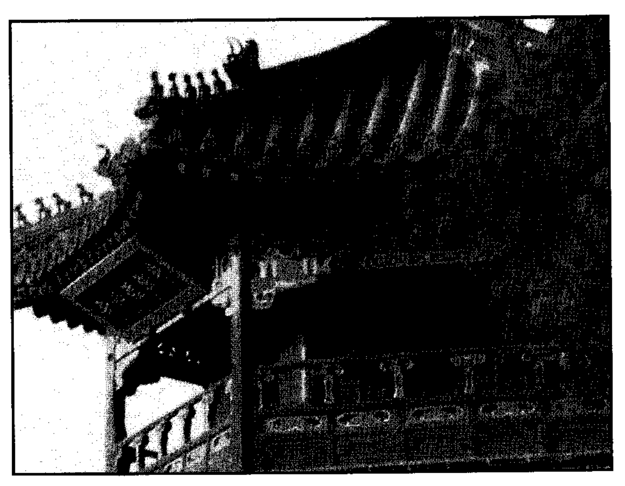
الحاج داود كون شي إمام جامع نيوجيه يتحدث مع المؤلف في الجامع

وقد تفقدنا القبرين فوجدت تاريخهما مكتوبًا بكتابة واضحة بخط قرأناه بسهولة وأحدهما للشيخ محمد بن أحمد برهان الدين القزويني الذي توفي في عام ٦٧٩هـ كما هو مكتوب على قبره والآخر كتب عليه تاريخ وفاته في يوم الأحد ... من عام ٦٨٢هـ وهو لعماد الدين من بخارى كما كتب عليه.

وهذا يدل على قدم الإسلام في الصين وعلى أن هذا الحي الذي فيه المسجد كان حيًا إسلاميًا عريقًا وربما كان أحد أحياء المسلمين في الصين التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته .

ويحفل فناء المسجد بأشياء أثرية صينية قديمة من ذلك قبة مبنية على الطراز الصيني الخالص الذي بني عليه المسجد وتحتها بعض المجسمات الفنية الصينية.

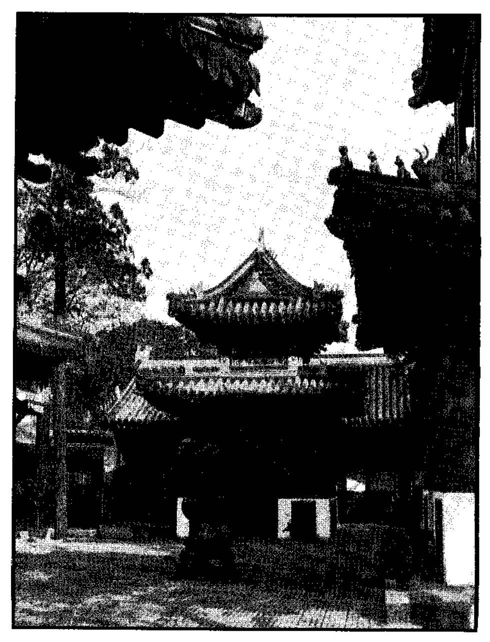
وأما منارة المسجد فإنها مبنية على هيئة برج صيني غير عال منفصلة عن المسجد وبجانبها برج صيني آخر ذكروا أنه بني من أجل أن يتطلع إليه من يترآى الهلال عند الحاجة إلى معرفة ذلك في شهر رمضان وخروجه ، ونحو ذلك من المناسبات.



برج مراقبة الهلال في جامع نوجيه في بكين

عرف مسجد شارع البقر «نيو جيه» بأنه أقدم وأفخم المساجد الإسلامية في بكين، وكانت بوابته مغلقة خلال الفترة بين عامي ١٩٦٦-١٩٧٦ وليس ذلك الا بسبب الفوضى والضوضاء التي أشاعها لين بياو وعصابة الأربعة. فلما هل عام ١٩٧٩ استعيد واستغرق الإصلاح والترميم أكثر من سنة واحدة.

أما شارع البقر نفسه فكان أقدم منطقة سكن فيها عدد من المسلمين البيكينيين. بنى المسجد في شارع البقر عام ٩٦٦ الميلادي الموافق لعام تشي داو الثاني من الأعوام التي جلس فيها الإمبراطور تاي تسونغ لأسرة سونغ الشمالية على عرش الحكم ثم اضيفت إليه بنايات في عهود اسر يوان، مينغ، تشينغ، وبعد ذلك مدت إليه يد الترميم والتصليح أكثر من مرة.



مئذنة جامع نيوجيه

وقد شيد المسجد على غرار القصور الامبراطورية الصينية وهو يضم ثلاث بوابات وصحنين مربعين، وعلق فوق مدخله لوح خشبي منقوش عليه كتابات صينية: «طريق مؤد إلى الجنة»، وفيه برج لرؤية الهلال علوه حوالي تسعة أمتار، عندما يدخل المرء يجد صحنا ضيق الحجم، تنمو فيه أشجار الصنوبر والسرو والأزهار الزاهية ثم يخترق بوابة مماثلة للأولى ويجد صحنًا شاسعًا يضم المسجد الذي يسع الف مصل والجواسق والقاعات وتتوسطه مئذنة وترتفع في شماليه وجنوبيه قاعات واسعة لتعليم الدين ونشر تعاليم الإسلام وصف من القاعات بمقابلة المسجد عدده سبع غرف واسعة تخصص لإقامة الحفلات والمآدب.

وقال أحد المرافقين الصينيين لنا إن المسجد تم بناؤه في عهد أسرة سونغ الشمالية، لذا يعتبر أقدم من بكين العاصمة الكبرى لاسرة يوان بمائتين وسبعين سنة.

ومن حسن الحظ أن الرسوم والنحوت لم تمتد إليها يد التخريب. والمساحة الكلية للمسجد ٥٧٠٠ متر مربع والمساحة للمصلى ٦٠٠ متر مربع تقريبًا.

## الدروب الموصلة إلى الجنة:

في جنوب شرقي المسجد صحن ضيق اسماه المسلمون المقيمون في الشارع الجنة وهي عبارة عن قبرين دفن فيهما مسلمان عربيان، اتيا إلى الصين في قديم الزمان بغية نشر تعاليم الإسلام ثم توفيًا في بكين فدفنا بجوار المسجد.

وقال أحد الرواة: إن مسلمًا اسمه قوام الدين هو أول من اتى من العرب إلى بكين قبل عام ٩٦٠ الميلادي، تم بناء المسجد في شارع البقر على يد ابنه الثاني نصر الدين، فكان لقوام الدين ثلاثة اولاد هم: صدر الدين، نصر الدين، الأصغر سعد الدين، فلما بلغ نصر الدين وسعد الدين اشدهما رفضا مناصب

عالية تخدم الإمبراطور، عاقدين العزم على نشر الإسلام فطلبا من الإمبراطور أن يخصص من الأرض لكل واحد منهما مساحة كي يبني فيها مسجداً وأن يتولى أحفادهما الوظائف المسئولة عن إدارة شئون المسجد، فقبل الإمبراطور وسمح لسعد الدين أن يقيم المسجد في الضاحية الشرقية من بكين ونصر الدين أن يقيم مسجد شارع البقر، حاليًا، في الضاحية الجنوبية.

وبني المسجد على ضفة نهر الصفصاف في منطقة جميلة كان يجري فيها قرب المسجد بل من تحته نهر وتنبت اشجار الصفصاف المورقة على ضفتيه وبقى المسجد على حالته الجيدة هذه.

## المرسوم الامبراطوري:

تواترت على ألسنة الناس رواية عن مسجد شارع البقر منذ قديم الزمان تقول: اصدر الامبراطور كانغ شي الامبراطور الرابع لأسرة تشينغ، عام ١٦٩٤م وهي الأسرة الملكية الأخيرة التي حكمت الصين، مرسومًا بعثه إلى المسجد يقول فيه: «عندما أقيمت المناسك التقليدية التي يواظب عليها ابناء خان وخوي وجدت انها تنبع من التعاليم الدينية... يتولى الوزراء والموظفون من ابناء خان مناصب رسمية مختلفة ويأخذون شهريًا الرواتب ليعبدوني في مواعيد محددة، ولكن أبناء خوي (المسلمون) يصلون لله خمس مرات كل يوم، بغية الخشوع لله دون ان يأخذوا شيئًا فارى ان ابناء خوي الافضل. اوجه الآن اوامري إلى المقاطعات فاعلموا ان من كان منكم موظفًا أو مواطنًا على حد سواء يصف أبناء خوي باثارة الفوضى والتمرد على الإمبراطور، متذرعًا بالخصومة بين هذا وبين ذلك فاقتله ايها المسئول عن دائرة تطبيق القانون قبل إرسال التقارير إلي، فليواظب ابناء خوي على الإسلام ولا يعملوا خلافًا للأوامر والنواهي ولا ينسوا فضلي عليهم منطلقًا من محبة التعاليم الدينية، أتشرف على خط المرسوم لعله مقبول لدى جميع الأهالي».

وقال أحد الرواة عن سبب اصدار الامبراطور كانغ شي مرسومه: كلما اسدل ستار الظلام كل ليلة من شهر رمضان من ذلك العام، ومضت المصابيح والمشاعل داخل المسجد وخارجه في شارع البقر وتدفق المسلمون إلى المسجد لصلاة التراويح، اثار الشك في نفس الجهلاء فعرض أحدهم تقريراً على الإمبراطور كانغ شي يلفق فيه اتهامات تقول: «يحتشد أبناء خوي كل ليلة ثم ينفضون عند شروق الشمس، وذلك بغية إثارة الضوضاء».

وفي الحال، دخل الإمبراطور كانغ شي شارع البقر مرتديًا الزي الإسلامي عدة ليال لمعرفة الحقائق، حتى عرف عبر الاستطلاع الشخصي أن الإسلام دين لأبناء خوي يعلمهم أن يسلكوا الطريق إلى الله ويواظبوا على التواضع والتقوى وطاعة الأوامر وتجنب النواهي، فاصدر مرسومًا كتب في المسجد وبعث إلى جميع أنحاء البلاد تعبيراً عن تأييد المسلمين الذين يعتنقون دين الإسلام حينذاك، فتشجع به المسلمون في بكين وفي أنحاء البلاد. وقد رصدت حكومة تشينغ مبالغ باهظة لترميم وتوسيع المساجد الأربعة المنتشرة في بكين بما فيها مسجد شارع البقر ومسجد دونغسي، حاليًا.

## حفلة الجمعية الإسلامية الصينية:

وقد يسمونها الجمعية الإسلامية المركزية لأنها ذات فروع في الأقاليم الصينية المختلفة التي يسمونها المقاطعات وفي داخل المقاطعات فروع للجمعية التي تكون فرعية لجمعية بكين وتكون موجودة في عاصمة الإقليم أو المقاطعة.

والحفلة على طعام العشاء دعوا إليها طائفة من وجهاء المسلمين وزعمائهم كما حضرها بعض الزعماء من غير المسلمين وإن كان العدد قليلاً وحضرها أيضًا ممثل للصحافة الصينية غير الإسلامية ومصور خاص.

كان من بين الحضور بل ربما أكبرهم منزلة بين أعيان المسلمين (برهان شهيدي) وهو نائب رئيس المؤتمر الوطني الاستشاري للشعب الصيني والرئيس الفخري للجمعية الإسلامية وهو شخصية مشهورة معروفة يعرف قدراً من العربية، وكان حاكمًا سابقًا لمقاطعة تركستان الشرقية المسماة سينكيانج وأصله من تلك البلاد ويقال: إنه من التتر وتعلم في موسكو بعض تعليمه.

وقد رأيناه شيخًا وجيهًا ليس في وجهه شيء من الملامح الصينية، بل هو يبدو كالعربي الأبيض وذلك رغم كبر سنه الذي يبلغ تسعين سنة هكذا قالوا لنا وهكذا قال هو. وحواسه سليمة الا أنه يضع سماعة في إحدى أذنيه وإذا أراد النهوض احتاج إلى امرأة معه تساعده على ذلك، مثله في هذا الأمر رئيس الجمعية (محمد علي يونغ) الذي تساعده على النهوض امرأة رأيناها معه في هذه الحفلة ولم تكن موجودة في مقر الجمعية الإسلامية صباح هذا اليوم وذلك لمرضه لا لكبر سنه.

ويعرف (برهان شهيدي) شيئًا من العربية بل قيل إنه يعرف العربية غير أن كبر السن أنساه بعض ما كان يعرفه منها.

كما كان من بين الحضور كبار السن (إبراهيم معصوم تين) نائب رئيس الجمعية والرئيس الفخري للمعهد الإسلامي وعمره يزيد على تسعين سنة وهو في صحة جيدة تغنيه عن الحاجة إلى أية مساعدة.

ومن الحضور الذين يعتبرون شبابًا بالنسبة إلى غيرهم الشيخ (عبدالرحمن ناجون) وهو يتكلم العربية بطلاقة .

وذلك لكونه درس في مصر وكان عضواً في البعثة الأولى التي سافرت من الصين للدراسة في مصر عام ١٩٣١م وعاش في مصر تسع سنوات حصل على شهادة (العالمية) ثم التخصص في التاريخ الإسلامي ويعمل الآن رئيسًا لقسم اللغة العربية والتاريخ الإسلامي وأستاذاً للتاريخ الإسلامي في معهد اللغات

الأجنبية في بكين وهو عضو في المجلس الوطني الاستشاري الذي هو بمثابة مجلس الشيوخ وتفسير اسمه (ناجون ) الناصر المخلص فنا تعني (ناصر) وجون مخلص.

وسنه الآن اثنتان وسبعون سنة ولكنه يبدو أصغر من ذلك بربع قرن. ومن العجب أنه إذا تكلم بالعربية ظننته مصريًا ليس من أجل اللهجة وحدها فهو يتكلم أكثر ما يتكلم بالفصحى ولكن من وجهه وطريقة تعبيره أيضًا.

وهو يعتبر شابًا بالنسبة إلى هؤلاء الشيوخ الكبار في السن الذين يعجب المرء من امتداد أعمارهم، ويعجب أكثر من ذلك من إبقاء القوم عليهم في العمل أو حتى إسناد بعض المناصب الفخرية أو الاستشارية إليهم.

ويشتهر المسلمون عند أهل الصين بأنهم يعمرون أكثر من غيرهم ولا سيما سكان الجبال في الشمال الذين توجد منهم طائفة تجاوزت المائة عام. وربما كان ذلك لاجتنابهم الخمور وأكل لحم الخنزير الذي هو دسم بطبعه حسبما يعرف عنه أهله لأن أهالي الصين الكفار مشهورون بكثرة أكل لحم الخنزير حتى بلغ استهلاكهم للخنزير في العام الماضي ثلاثمائة واربعة وعشرين مليون رأس.

بعد أن وضعت المقبلات على المائدة الرئيسية التي جلس إليها تسعة أشخاص كلهم مسلمون إلا تاسعهم فهو مسئول في الحكومة الصينية. كما وضعت الأشربة التي هي مع الطعام كلها حلال.

أكل القوم من هذه المقبلات يلتقطون ذلك بالعصي الدقيقة حتى المسنون منهم والعجيب في الأمر أنه اذا كان ما أخذوه بالعصي لا يدفع في الفم كله مرة واحدة لكبره مثلاً فإنهم يقطعونه بأسنانهم يجزؤنه مرتين وهم ممسكون به بأطراف العصي الدقيقة أو الأعواد التي هي ملس بسلاسة ظاهرة ولا تسقط من أصابعهم.

وكان من أعيان الحاضرين في هذه الحفلة الشيخ برهان شهيدي نائب رئيس مجلس الشعب الوطني الصيني والرئيس الفخري للجمعية الإسلامية الصينية.
الشيخ محمد علي جانغ جي رئيس الجمعية الإسلامية الصينية.
الشيخ عبدالرحيم ماسون المدير الفخري لمعهد الدراسات الإسلامية.
الأستاذ عبدالرحمن ناجون مدير معهد اللغات الأجنبية في بكين.
الأستاذ عابد عاشور مدير إدارة المغتربين في مقاطعة سينكيانغ.
الأستاذ خوجة عبدالله مدير القسم الإيغوري في دار نشر القوميات في بكين
الأستاذ توكل صديق أستاذ التاريخ الصيني في المعهد المركزي للقوميات في بكين.

كما حضر مندوبو الصحافة والأجهزة الإعلامية لتغطية الحفلة وبعد أن اكتمل عقد القوم حول الموائد ألقى الشيخ الياس شن شيا شي كلمة مكتوبة بالصينية ترجمها الشيخ لقمان إلى العربية رحب فيها بوفد الرابطة الذي يزور الصين الشعبية للاطلاع على أحوال المسلمين وإجراء المباحثات مع الجمعية الإسلامية الصينية كما أشاد بالعلاقات الوثيقة بين الرابطة والجمعية والمساعدات التي تقدمها الرابطة لهيئات الحج الصينية سنويًا.



الحاج إلياس شن شيا شي يرحب بالوفد في حفلة الجمعية الإسلامية والمترجم واقف يساره بجانبه المؤلف فالاستاذ برهان شهيدي

ورددت عليه بكلمة مرتجلة شكرته فيها على الترحيب بوفد الرابطة التي تمثل الشعوب الإسلامية لأنها منظمة شعبية عالمية تساعدها المملكة العربية السعودية كما تساعد سائر المؤسسات والمنظمات الإسلامية في العالم وتقدم لها الدعم السياسي والمقر. ولذلك قبلنا الدعوة الكريمة الموجهة من الجمعية الإسلامية الصينية لزيارة الصين الشعبية والبحث في الأمور التي تهم المسلمين وتقديم ما تستطيع الرابطة تقديمه للإخوة المسلمين في الصين مما يتعلق بالأمور الدينية وقلت له: إنني لا أسمي ما قدمته الرابطة للجمعية الإسلامية في الصين وللمسلمين من أموال مساعدات وإنما أسميه تعاونًا لأنه داخل باذن الله في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وإذا سميتموه مساعدة من الرابطة فإننا نسميه أيضًا مساعدة منكم للرابطة على أداء واجبها فقبولكم لذلك يعتبر مساعدة.

ولهذا أرى أن نسمي ذلك تعاونًا بين الرابطة والجمعية الإسلامية الصينية.

وقلت له: إنه سرنا ما ذكرتموه من سماح الحكومة الصينية بإعادة افتتاح المساجد والتوسع في التعليم الإسلامي وتخصيص رواتب لأئمة بعض المساجد وطبع الكتب الإسلامية وذلك مما يشجعنا على طلب التطلع إلى المزيد من ذلك في المستقبل.

كما أنه مما يسرنا أننا سنبلغ به رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ومن خلالها سوف نبلغ إخوانكم المسلمين في العالم الذين يتشوقون إلى معرفة أخبار إخوتهم المسلمين في هذه البلاد.

وأخبرتهم بمهمتنا وأن منها النظر في ترميم المساجد المحتاجة والبحث في تيسير أمور الحج ورسم سياسة للتعاون على كيفية طبع المصاحف والكتب الإسلامية.



المؤلف يتحدث في حفلة الجمعية الإسلامية في بكين(على يمينه المترجم)

ثم قلت لهم بحضور مسئول الحكومة والصحافة: إن العمل على رفع شأن المسلمين في هذه البلاد من الناحية الثقافية ليس موجهًا بطبييعة الحال ضد ثقافة أخرى حديثة بل إن المسلمين يجب عليهم أن يتعاونوا مع إخوانهم في الوطن على ما فيه نفع الجميع لأن هذا هو مقتضى الأوامر الإسلامية في تعمير البلاد والسعي في تحصيل معايش الناس.

وعند ختام هاتين الكلمتين دعونا إلى تناول الطعام حيث بدأت خادمات صينيات بتقديم أطباق الطعام الغريبة التي كانت للتطلع إلى معرفتها أهمية كبيرة أكثر من أهمية الأكل نفسه لأنك لا تستطيع أن تعرف أي نوع منها إلا بعد السؤال عنه بسبب طريقة طهيه وإعداده. ولم أعرف على كثرة تجوالي في العالم وتذوقي للأطعمة الصينية أي نوع من أنواع الطعام الذي قدموه قبل أن يخبروني عنه إلا الأرز الصيني الأبيض الساذج أي الخالي من كل شيء حتى الملح.

ويكفي أن تعلم أن من الأطباق التي قدمت طبقًا قالوا: إنه عصب البقرة وعهدنا بعصب البقرة مثل عصب البعير أن يستبعد من الطعام قبل الطهي أو بعده أو يترك دون أكل الا في أوقات الجدب. ولكنهم هنا قد طبخوه وجاءوا به رقائق كالورق قد أعد في مرق غير كثير حتى بكسبه الليونة والنعومة مع أنه تحت الأسنان هو العصب الذي نعرفه الا أن كونه رقائق كالورق يساعد على مضغه وبلعه وربما ساعد على هضمه.

وهناك طبق جاءوا به مع المقبلات وهو مؤلف من بياض البيض الذي أصبح ذالون شفاف كأنه الزجاج وأخبرونا أنهم ينقعونه في بعض المحاليل الكيماوية لمدة شهر أو شهرين فيكتسب هذا اللون ويكتسب طعمًا خاصًا مع العلم بأنه ليس مالحًا ولا حامضًا ولا حريفًا وإنما هو طعمه كطعم الغضاريف اللينة.

إلى جانب أنواع من السمك الطري الذي يقرب لحمه من لحم الحيوان. وكباب صيني يأتون به قطعًا صغيرة منظومة في قضبان دقيقة من الحديد أو المعدن ذات مقابض جميلة من الخشب فينتزع الآكل القطعة من القضيب بأسنانه ويأكلها أماأنا فقد خرطتها بالشوكة فوضعتها في الصحن كما كنا نفعل إلا أنهم ليس لديهم شوك ولا ملاعق كبيرة وإنما خصونا بالشوك لأننا لا نستطيع استعمال الأعواد مثلهم كما أنهم لا يعطونهم سكاكين اكتفاء بالأعواد أيضًا.

وأما الملاعق فإنها ملاعق صينية قصيرة من الخزف وهي جيدة .

وجاءوا أيضًا بالبط المشوي وبالدجاج المطبوخ بطريقة خاصة وبلحم الغنم في مقادير غير كبيرة.

وأما الخضرات والبقول فحدث عن غرابتها وتنوع طهيها ولا حرج.

والحقيقة أن طعامهم ليس له علاقة بطعامنا البتة من حيث الإعداد ولا من حيث النوع ولقد شبهت تنوعه وتعقيده وانفرادهم به بالكتابة الصينية التي هي

معقدة مستقلة عن بقية أنواع الكتابة في العالم إلا ما تأثر بها كالكتابة اليابانية القديمة.

وكان خاتمة المائدة هي الحساء أي الشربة وذلك عكس ما اعتدنا عليه واعتاد عليه الأوربيون من تقديم الحساء في أول الطعام. فهم هنا يقدمونه في آخره، وقد علمت بعد ذلك أن الجمعية الإسلامية قد دفعت قيمة الوجبة للشخص الواحد في هذه المائدة خمسة وعشرين ينًا أي حوالي ٤٨ ريالاً على حين أنها للأجانب خمسون ينًا كما قيل لي.

## يوم الأحد ١٤/٧/١٤٠٤هـ ١٥/٤/١٩٨٤م .

## إلى سور الصين العظيم:

سور الصين العظيم يعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع. وهو بالنسبة إلى الصين وإلى العاصمة بكين بالذات مثل الأهرام بالنسبة إلى القاهرة والمصريين فمن يزور القاهرة ولا يزور الأهرام تعتبر زيارته ناقصة.

ولذلك وضعت الجمعية الإسلامية في برنامج الزيارة فقرة زيارة سور الصين وجعلت وقتها يوم الأحد حيث تكون الجهات الأخرى في عطلة وأما السور فإنه لا يحتاج إلى عمل.

كان معنا الأخ الأستاذ لقمان ما شان لي ويسميه الصينييون لو ما ومعناها الشيخ ما لأن لغتهم تستعمل المقاطع فلا يستسيغون أولا يستطيعون أن يلفظوا بكلمة لقمان كلها وإنما يحولونها إلى مقاطع وهنا تكون مقطعين أحدهما لو وما ومعنى الأول بالصينية الشيخ اي الهرم، وكان الأستاذ لقمان هو مرافقنا من أول الرحلة ومن المقرر أن يصحبنا فيها كلها لمعرفته بالعربية وسابق معاملته للعرب حيث عمل في القاهرة مدة خمس سنوات وزار عدداً من البلدان العربية.

ومعنا في زيارة سور الصين المصورة (وو) وهي امرأة صينية غير مسلمة متزوجة ولها بنتان وإذا كانتا مثلها فإنهما تعتبران من مستورات الحال وقال بعضهم ربما جاءت معنا من دون أن نطلب ذلك لغرض آخر غير التصوير ألا وهو التصوير بالكلمات أو تصوير ما يكون عليه انطباعنا أو من قد يقابلنا سار الموكب في التاسعة إلا الربع من هذا الصباح ورأيتهم حملوا من مطعم الفندق غداءنا في علب من الورق المقوى.

ويبلغ بعد (سور الصين) عن مدينة بكين ثمانين كيلو متراً.

سار موكبنا من فندق (شينغ شانغ) أو جبل العطر فانحدر من مكان الفندق في سفح الجبل ماراً بمحطة للحافلات رأينا أفواجًا من الراجلين يكادون يسدون الطريق قادمين من محطة الحافلات في ساحة قريبة يسيرون على أقدامهم حيث لاتصل الحافلات وليس معنى هذا أنها لا تستطيع الوصول، وإنما معناه انها تقف في تلك الساحة.

وذكرت أفواج الطلاب الذين قابلونا أمس يسيرون على أقدامهم إضافة إلى سائر الناس الذين يركبون الدراجات وقابلونا اليوم إما للذهاب إلى منازل لأقربائهم أو ليقضوا عطلة اليوم الأحد في لحف هذا الجبل الخالي من العمارة.

وذلك لأن البيوت في المدن كلها بالأجرة بمعنى أنه لا يوجد شخص يمتلك بيتًا في وسط المدينة وإنما ذلك في الأرياف والقرى وفي أطراف المدن الا من كان لديه بيت صغير لا يكاد يكفيه ورثه عن والده أو كان لديه قبل الثورة الشيوعية وهو لا يتسع لأحد معه.

وأما الدارات (الفيلات) المعروفة في بلادنا والبلاد الأخرى التي أنعم الله عليها فإنها لا توجد هنا أصلاً الا أن تكون قديمة تحولت إلى إدارة حكومية أو شعبية شيوعية أو سكن فيها طائفة من الناس بمعنى أنها لا توجد مساكن خاصة للأفراد أو مع عائلاتهم على هيئة دارات.

وهذا شبيه بالسيارات الخاصة التي لا يملكها الصينيون وإن كانوا يقولون لك إنه يوجد أفراد من كبار الموظفين لديهم سيارات فتلك سيارات حكومية أعطيت لهم لمكانتهم وعددهم أيضًا قليل بل نادر وانما السيارات الصغيرة هنا مملوكة للهيئات السياسية والعالمية وللهيئات الحكومية والحزبية.

## في ريف بكين:

فندقنا كما قلت يقع في خارج مدينة (بكين) وإن كان موقعه في ضاحية من ضواحيها ولذلك لم نلبث طويلاً حتى وجدنا أنفسنا في الريف خارج المدينة.

وهو ريف كئيب المنظر في هذا الفصل من السنة بسبب الجفاف في الأرض من قلة المطر وبسبب موت أوراق الأشجارمن البرد، و الفصل البهيج هنا هو فصل الخريف بعد سقوط الأمطار في الصيف، والحقول التي هي هنا غير واسعة فيما رأيناه من الطريق أكثرها مزروعة بالقمح الشتوي الذي يبذر في الشتاء فيقع عليه الثلج ولا ينبت من شدة البرد وإنما ينتظر قدوم فصل الربيع لينبت بعد ذلك وقد بدأ نباته الآن ولكنه لا يزال في أول النبات قصيراً غير شامل للأرض.

ورأينا بركة فيها مجموعة من البط يربونه تربية وهو مما يفضل الصينيون أكله في الصين و في المهاجر وما لاحظته في مطاعم الصين في تايلند وسنغافورة أنهم يعلقون على أبواب مطاعمهم بطة مسلوقة من دون ذبح، يفعلون ذلك من باب الدعاية للمطعم وهو منظر منفر للمسلم إذ يرى طيراً كبيراً معداً للأكل وهو غير مذبوح كما رأيت أناسًا من فقراء أهل كولومبيا في أمريكا الجنوبية يطبخون الخنزير كاملاً ثم يضعونه على منصة في المطعم ويقطعون للناس ما يفضلونه من مواضع لحمه في منظر يصد حتى مجرد التفكير فيه نفس المسلم عن الطعام وأخبرونا أن البطة الواحدة بأربعة دولارات وذلك يساوي أكثر من مرتب يومين للعامل في المتوسط.

وأرصفة هذه الطرق ليست مبلطة رغم كونها طرقًا مطروقة وبخاصة من الأجانب من السياح وغيرهم الذين يذهبون معها للتفرج برؤية سور الصين العظيم ولذلك إذا اضطرت سيارة لتجاوز السيارة التي بعدها وسارت فوق هذه الأرصفة أو قابلتها سيارة أخرى فخرجت بعض عجلاتها عن الأزفلت فإنها تطير غباراً متصاعداً لا يليق أن يكون في عاصمة دولة عظمى من ناحية السكان والمساحة والعضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي وتكاد تكون هي أقل عواصم الدول الخمس شأنًا وأدناها مستوى من حيث النظافة والعناية بالمظاهر.

وكثيراً ما تضطر السيارات إلى ملامسة جانب الطريق غير الأزفلتي بسبب كثرة العربات التي تجرها الدواب وراكبي الدراجات.

ومعظم السيارات التي تسير هنا هي من سيارات الشحن الكبيرة أو من الحافلات. وأما سيارات الركوب الصغيرة المعتادة في البلدان الأخرى فغير موجودة إلا على ندرة وتكون مملوكة للدولة أو للهيئات السياسية والأجنبية كما سبق.

وأكثر ما يلاحظ المرء هنا في مزارع الريف القريبة من الطريق وهي غير واسعة كثرة المزارع المجللة باللدائن والحصر إبتغاء حماية الخضرات والبقول من البرد لأن الصينيين مشهورون بحبهم لأكل الخضرات والبقول بل والأعشاب والجو في هذه المناطق الشمالية من بلادهم بارد في فصل الشتاء و الربيع فيضطرون إلى تدفئة المزارع مع نقص وسائل التقدم العلمي الشامل عندهم بمعنى أنه وإن كانت المعرفة العلمية موجودة لديهم فإن القدرة الاقتصادية على تعميم ذلك ونشره في البلاد غير موجودة بسبب الظروف الاقتصادية التي صاحبت الثورة الشيوعية وأعقبتها من تعطيل المواهب واستئثار الحكومة بكل شيء من التخطيط والتنفيذ مستخدمة في ذلك جماهير كثيراً ما تكون ساذجة

أو جاهلة وبقيادة ناس همهم أن يسير العمل وفق الثورة وإن لم يحقق النتائج المربحة.

## الفلاحون هم الأغنى:

ومع أن الملكية الزراعية في الصين محدودة في نطاق ضيق جداً وأن بعض المنتوجات الزراعية محددة الأسعار فإن الفلاحين هم المغبوطون من بين جميع طوائف الشعب وكثيراً ما سمعت الناس يقولون إن أغنى طوائف الشعب الصيني في الوقت الحاضر هم الفلاحون فهم يسكنون بيوتهم الطينية التي كثيراً ما تكون مملوكة لهم مع الأرض لأنهم يبنونها من مواد تحت أيديهم وأرجلهم ويأكلون مما تخرجه الأرض من خضرات البقول فضلاً عن الحبوب ولا يحتاجون إلى التردد على أماكن بعيدة عن عملهم يوميًا بدفع أجرة إلى الحافلات أو قضاء وقت طويل في ركوب الدراجات في الشوارع.

ووسائل الركوب التي يحتاجونها موجودة عندهم من الدواب من البغال والحمير، ورزقهم ليس محدداً لا أمل في الزيادة فيه مثل الموظفين الذين تزيد حاجاتهم ولا تزيد رواتبهم بقدر ذلك، بل إن رواتبهم تنقص عن طريق الغلاء الذي لم تنج الصين منه وإن كان ذلك بمقادير أقل من الأقطار الرأسمالية وذلك فيما يتعلق بالسلع التي تبيعها الحكومة وكثيراً ما تكون شحيحة أو غير جيدة.

## (الوانيت) الذي أصبح حديث الصين:

وبهذه المناسبة لا مانع من ذكر حادثة طريفة حدثنا عنها أكثر من شخص في الصين الشعبية وأعاد بعضهم عنها الحديث للتدليل على غنى الفلاحين مع أنهم في مجموعهم من أفقر الفلاحين في العالم.

وذلك في قولهم: إن فلاحة استطاعت أن تشتري سيارة شحن صغيرة (وانيت) في الوقت الذي لا يستطيع فيه كبار الموظفين حتى التفكير في الأمل في شراء سيارة خاصة سواء أكانت سيارة ركوب أم سيارة شحن صغيرة.

فلا يوجد الآن في الصين أحد من كبار الموظفين فضلاً عن صغارهم يحلم بأنه سيملك سيارة في المستقبل في ظل هذا الحكم الاشتراكي حتى ولا التجار فضلاً عن طوائف الشعب الأخرى يأملون في ذلك كما تملك أكثر شعوب الأرض وكما يأمل الفقراء في أكثر أنحاء العالم فالسيارات الصغيرة مملوكة للدولة والدخول محدودة والبلاد في الوقت الحاضر تعتبر فقيرة والمصانع مشغولة بانتاج الآلات والأدوات الأخرى التي يحتاجها الشعب الكثير العدد في قوت يومه الضروري عن إنتاج أدوات الرفاهية كالسيارات الصغيرة أو حتى أدوات الإنتاج الأخرى بصفة كافية مثل الجرارات الزراعية ومكائن رفع المياه.

ولذلك لابد للشعب الصيني العظيم أن يرضى بما كان حيث لم يستطع أن يحقق ما يريد أن يكون ربما كان ذلك عملاً بالحكمة القائلة: إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.

أما ما يختص بسيارة الفلاحة التي ذكرت في القصة فإنني أنا الغريب البعيد عن الصين لا أكاد أصدقها بعد أن رأيت الشعب الصيني وعرفت إمكانات الأفراد المحدودة وإن كنت أسلم الآن بالقول إن الفلاحين هم أغنى طبقات الشعب لأن بعضهم راضٍ بالعيش على النمط القديم في المساكن والملابس وحتى في تعليم الأطفال بحيث لا يذهب أولادهم إلى المدارس المتوسطة فضلاً عن الثانوية لعدم وجود مدارس من هذا النوع في كثير من القرى والأرياف النائية، بل ربما في أكثر الأرياف فيرضى بأن يعمل ابنه معه في الحقل المحدود المساحة وذلك خير له من الناحية المالية من وظيفة عامل أو موظف صغير قد تؤهله لها الشهادة المدرسية.

وبعد ذلك من دون تفكير عميق تضطر إلى أن لا تجيب على السؤال الذي سيلح على خاطرك إذا سمعت بعض الشيوعيين المقربين من الحكومة يذكرون التقدمية والرجعية فتسأل: أين التقدمية في هذه السياسة الشيوعية؛ وأين الرجعية في النظم الرأسمالية؟

وناهيك برجعية الولايات المتحدة الأمريكية! لأن للإجابة عن هذا السؤال مجالاً غير هذا المجال.

والبيوت في هذا الريف الذي نراه من هذا الطريق الهام أكثرها مبني بالآجر الأحمر وذات سقوف مسنمة أي على هيئة سنام البعير وليست مسطحة السقوف.

والجو أبرد منه بالأمس وهو يشبه أيام آخر الشتاء في الرياض مع أننا في شهر أبريل الذي هو أول أوقات الحر في الرياض وإن كان معدوداً من فصل الربيع الذي يسميه العرب القدماء بالصيف وكنا نفعل ذلك قبل أن نستوحي مسميات الفصول من غيرنا وليس شهر أبريل بمعدود من فصل الصيف الذي كنا نسميه فصل القيظ وكان القدماء يسمونه كذلك.

وأسنمة السقوف ليست حادة بمعنى أنها على هيئة سقف الخيمة الطويلة المسترخية، وقد رأيت بعضهم يحمل على دراجته حاجاته الضرورية لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي يملكونها حتى الفحم الحجري الذي يستعملونه في الإيقاد لوفرته في بلادهم رأيت أحدهم يحمله معه على الدراجة. وقد مررنا بعمال يوسعون هذا الطريق الذي هو طريق هام لأنه يذهب إلى سور الصين العظيم الذي يزوره الآلاف من الناس من داخل الصين وخارجها كما رأيتهم ينظفون الطريق بمكانس طويلة من القش ينحون بها ما يكون على الأزفلت من أوساخ أو نحوها إلى جانب الطريق وهم وقوف واكثر من رأيت من عمال الكنس من النساء.

ومن المناظر اللافتة للنظر طوائف من النساء قد خرجن للنزهة في هذا اليوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية الوحيد على دراجاتهن وقد ربطت الواحدة منهم متاعها وما تحتاج إليه من غذاء على ظهر دراجتها وهي تجاهد في دفع الدراجة إلى الأمام وليست كما في البلاد (الرجعية) التي تستطيع فتاة مثل تلك المرأة المثقفة أن تركب سيارة صغيرة تحميها من الغبار المتطاير الذي هو كثير في هذه البلاد خلال هذا الفصل من السنة بسبب الجفاف وتحميها أيضًا من المطر المحتمل سقوطه وتكفيها التعب في دفع الدراجة برجليها.

ولكن (التقدمية) لا تقف عند حد وربما كان منها ما رأيته اليوم من حملهم وقود السيارات أو الآلات - لا أدري ولكنه من المحروقات على أية حال - في أوعية (براميل كبيرة) على عربات تجرها البغال بدلاً من حملها بالسيارات كما يفعل البرجوازيون، وإن كان سير الدواب من البغال والحمير والثيران التي تجر العربات في الشوارع الجيدة يلوثها بروث هذه الدواب التي لا يوجد فيها حتى الطيور التي تلتقط ما يكون في أرواث هذه الدواب من حبوب فتنظف الشارع منه لأن المرء هنا لا يرى أي نوع من أنواع الطيور الوحشية فأهل الصين من الكفار قد أخذوا من حيث لا يدرون بقول الأعرابي النجدي القديم الذي سئل عما يأكله الأعراب في الصحراء فقال: نأكل كل مادب ودرج إلاّ أم حبين فعلق سائله على ذلك بقوله: لتهنك السلامه ياأم حبين!

و(أم حبين): نوع من الحرباءات الصحراوية الصغيرة التي لا تكاد تسمن أبداً.

وعلى ذكر الوقود المحمول على العربات أقول: إن محطات بيع الوقود للسيارات نادرة الوجود في هذا الطريق بسبب قلة السيارات وقلة تجولها أيضًا. وأغلبها سيارات حكومية كبيرة من الحافلات وسيارات النقل الكبيرة وهي تتزود بما تحتاج إليه من الوقود من محطات حكومية خاصة.

ويحف بهذا الطريق على امتداده أشجار من أشجار الظل كبيرة مغروسة في القديم. وأكثرها عار عن الأوراق بسبب البرودة وإن كان بعضها قد بدا بإنبات الأوراق.

والقمح الشتوي كثير هنا إلا أن الحقول المتسعة نادرة وإنما هي أماكن مقسمة إلى قطع صغيرة أو أحواض ليست واسعة وربما كان السبب في ذلك طبيعة الأرض هنا.

والقمح الشتوي مهم عندهم لأنهم يبذرونه في الشتاء فيقع عليه الثلج فيخصب الأرض ويمدها بالرطوبة حتى إذا ذهب الشتاء وذاب الثلج في الربيع خرج القمح وقد تقوت جذوره فصارت تتلقى الرطوبة من اعماق ابعد في الأرض فلا يحتاج إلى عناء كبير في السقي وربما نزل عليه المطر فكفاه.

فهم هنا يفعلون به مثلما نفعل بالقمح البعلي الذي يبذر إذا نزل المطر في أواخر الخريف فإن نزل عليه مطر في الشتاء وأوائل الربيع ازدهر وآتى أكله وإلا مات أو قل عائده. إلا أنهم هنا على ثقة من نزول الثلج في هذه المناطق الشمالية الباردة من الصين.

## الأسواق الشخصية:

من مظاهر إفلاس الشيوعية في الصين العودة إلى نظام من الرأسمالية قديم قدم الإنسان أرادت الشيوعية أن تخالفه فلم تستطع وهو نظام الملكيات الصغيرة والجوائز الشخصية على العمل والإنتاج.

وذلك يتمثل في سماح الحكومة الصينية للمزارعين الصغار وللعاملين أعمالاً صغيرة أن يعملوا ذلك بأنفسهم من دون أن يكونوا أجراء جمع أجير للدولة وأن يبيعوا ما ينتج من ذلك على الآخرين ويكون العائد من ذلك لهم على أن يدفعوا للحكومة ضرائب محدودة إذا بلغ الدخل من هذه المبيعات حداً معينًا.

وذلك بعد أن شحت الخضرات التي تنتجها المزارع الجماعية والحكومية وقصر الإنتاج عن تلبية حاجات الشعب النامية وأصاب التراخي والفتور بل الكسل عمال الدولة وفلاحيها.

وقدأثمرت هذه السياسة التي هي في عرف الشيوعيين المتعصبين منهم عودة إلى نوع من الرأسمالية ثمرات عظيمة إذ زاد الإنتاج وخف العبء عن كاهل الحكومة وزادت دخول كثير من المزارعين الصغار والعمال الذين يسمونهم شخصيين بمعنى أنهم يعملون لأنفسهم ونشأت طبقة صغيرة من التجار تتاجر بهذه الأشياء الصغيرة.

مما حمل الحكومة على التوسع في هذا الأمر فزاد عدد الحوانيت الصغيرة الشخصية وإن كانت قليلة وفقيرة بالبضائع جداً بالنسبة إلى سائر الحوانيت التي تملكها الحكومة وتمدها بالبضائع ويكون الباعة فيها جميعهم موظفين في الحكومة وهي بالتالي مسئولة عنها.

وقد رأينا على جانب الطريق سوقا صغيرة كل ما فيها مؤلف من المنتجات الشخصية كما يسميها المترجمون لنا والفلاحون فيها يبيعون ما أنتجوه على الناس على طريقة العرض والطلب ويستفيدون من أثمان ذلك الا أن أسعارها مرتفعة بالنسبة إلى ماقد يوجد منها في الحوانيت الحكومية التي لا يتوافر فيها كل ما يحتاج إليه الناس منها.

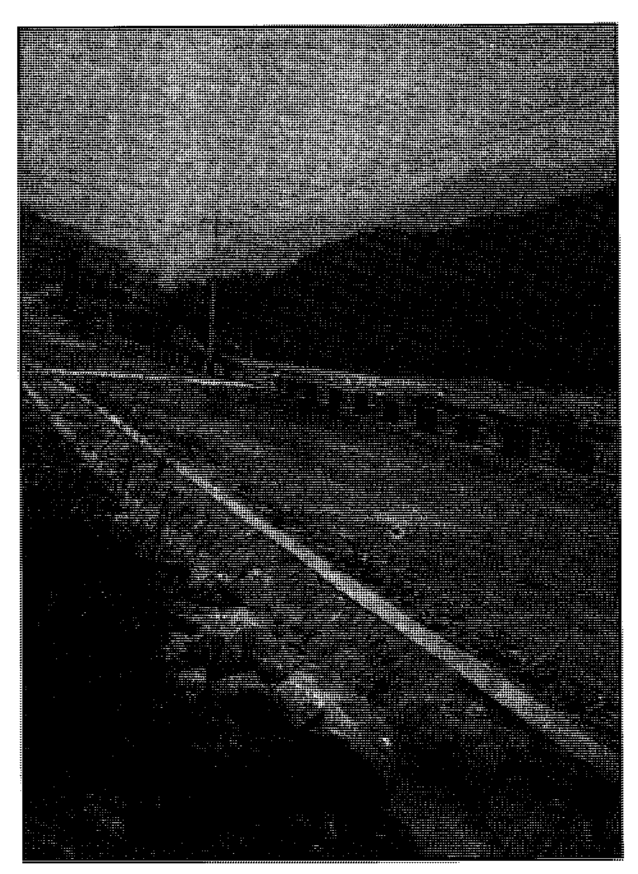
ورأينا أفواج الناس من راكبي الدراجات والمشاة يحضرون حضوراً إلى هذا السوق الصغير الذي لو جمع كل ما فيه لما ساوي ما في حانوت واحد من الحوانيت الكبيرة في بعض المدن الصغيرة في البلاد الرأسمالية.

على أن هذا السوق ليس إلا واحداً من عشرات الأسواق الشخصية التي قد تكون أحيانًا كما شاهدناها فيما بعد مشتملة على مقادير قليلة من الخضر والبقول المعروضة للبيع ولكنها تريح المشتري القادر على الشراء من الذهاب إلى الحوانيت الحكومية أو الأسواق الكبيرة.

## لا بيوت جديدة:

لقد كنت أبحث منذ أن وصلت وحتى الآن عن بيوت جديدة أراها تبنى أو تشترى كما يكون في بلادنا والبلاد الآخرى غير الشيوعية حتى في البلدان الفقيرة. ولكنني لم أر حتى بيتًا واحداً منها هنا والمراد بذلك البيوت الفردية التي يسكنها المرء مع أسرته وإنما التعمير للمساكن هنا مقتصر على الأبنية الكبيرة المتعددة الطوابق التي تقيمها الحكومة لإسكان الموظفين والعمال وكثير من الناس في المدن هم من موظفي الحكومة وعمالها فتبني المساكن الكبيرة على هيئة شقق مختلفة الغرف وتؤجرها على الناس يسكنون فيها ولا يملكونها لأن المساكن الكبيرة كلها للدولة ويدفعون للدولة أجوراً شهرية رخيصة جداً بل تعتبر رمزية إذا قيست بأسعار المساكن في البلدان غير الشيوعية الا أنها ليست كذلك بالنسبة لما يتقاضونه من أجور فالعامل الذي يأخذ خمسين أو ستين ينا في الشهر ولديه أسرة مؤلفة من زوجة وطفلين تكون أجرة مسكنه المؤلف من غرفتين في المعدل ستة ينات وهي تساوي عشر مرتبه ولكن تكاليف المعيشة الباقية غالية جداً.

مع العلم بأن الين يساوي ريالين إلا ربعا بالصرف الرسمي الذي صرفنا به نقودنا.



في الطريق إلى سور الصين

وقد شاهدنا عشرات الأبنية الكبيرة المشار إليها وهي تقام في هذه المدينة إلاأنها بطبيعة الحال أقل مما يحتاجه سكان المدينة البالغ عددهم أكثر من عشرة ملايين.

ولقد رأيتهم هنا يهدمون المنازل القديمة المؤلفة من طابق واحد أو طابقين، وأغلبها من الطين ويقيمون بدلاً منها أبنية أي عمارات سكنية كبيرة ذات طوابق متعددة كثيرة.

وحتى البيوت الفردية القديمة التي لاتزال قائمة وموجودة في ضواحي المدينة أوالأرياف التي كانت منفصلة عنها فلحقت بها عمارة المدينة وكذلك الموجودة منها في الأحياء الشعبية فإنك لا ترى أي أثر للترميم فيها. وأما التزيين فذلك أمر لا يوجد لأن القوم مشغولون بأهم من ذلك وقد أصبحوا كلهم من ذوي الدخول المحدودة، وحتى من يستطيع منهم أن يحصل على نقود بطريقة من الطرق غير مرتبه أودخله المعروف فإنه لا يستطيع أن يتظاهر بذلك لئلا يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه ومن ثم يكون معرضًا للعقاب.

وقد قال لي بعض الإخوة المرافقين: إن كثيراً من سكان المدينة يودون السكن في الأرياف لكونها أوسع من سكن المدينة غير أن المشكلة هي في الانتقال إلى المدينة اذا كان المرء منهم مرتبطًا بعمل لأنهم لا يملكون سيارات خاصة وإنما الوسيلة لذلك هي الحافلات والدراجات.

**بلدة تشافو:**

مررنا ببلدة غير كبيرة اسمها (تشافو) كما أخبرونا وقالوا: معنى (تشافو) رمل النهر أو النهر الرملي وذلك أنها بجانب نهر صغير وهي مركز لعدة قرى هنا رأينا في شوارعها أناسًا كثيراً لأن اليوم هو الأحد يوم العطلة الرسمية والسيارات التي تقف في ميدانها الرئيسي الواقع على الطريق هي سيارات شحن ولا أثر للسيارات الصغيرة فيها.

ولم نقف عندها وإنما واصلنا السير فمررنا بمزرعة جماعية صغيرة فيها عدد كبير من الناس ربما كانوا قد اشتركوا في العناية بها وينفقون نهار الأحد في ذلك.

وقد اتسع الطريق فأصبح ذا اتجاهين يتسع كل اتجاه لسيارتين اثنتين مع حاجز بين الاتجاهات جيد المظهر.

## الأرقام العربية في الصين:

يطيب لكثير من الناس وبخاصة من الأوروبيين أن يسموا كتابة الأرقام التي يستعملونها بالأرقام العربية لأنها وصلت إليهم من العرب عن طريق الأندلس. ولاتزال مستعملة في المغرب العربي وإن كان قومنا في الشرق يسمونها الأرقام الإفرنجية ويسمون ما نستعمله في كتابة الأرقام في الوقت الحاضر بالأرقام العربية مع أنها كانت تعرف عند قومنا إلى ما قبل وقت قصير بالهندي أو الأرقام الهندية وأيًا كان الأمر فإننا لن نرفض شرف شيء انتفع به العالم كله وأصبح عند بعض الأمم منسوبًا إلينا.

لذلك كتبنا هذا العنوان عندما رأيتهم في الصين لا يستعملون غير هذه الأرقام في الكتابة وأول ما تراه منها هنا في لوحات السيارات وعلى صفحات الكتب والمنشورات.

وهي واضحة وضوح الشمس لأن لوحات السيارات يراها كل شخص ولأن تلك الأرقام تكون بين الأشكال الصينية المعقدة في الكتابة التي يعجب المرء من كتابتها ثم من فهمها وبخاصة إذا تأملها فرآها مختلفة متباينة لأنها مبنية على أساس أشكال الكلمات وليس على أساس حروف محدودة العدد كالكتابة العربية مثلاً التي لا تزيد حروفها على ثمانية وعشرين حرفًا.

فأشكال الكتابة الحالية في الصين تبلغ أكثر من خمسة آلاف شكل وقع عليها الإتفاق بعد تمحيص الأشكال القديمة التي ذكروا أنها كانت تصل في العدد إلى خمسين ألف شكل.

والمراد بالشكل أن كل كلمة من الكلمات سواء أكانت تدل على شيء مادي كالجبل والرجل والحصان أو شيء معنوي كالحب والسياسة والتعليم لها رسم خاص يجب على المرء أن يتعلمه لكي يفهم كتابته، وبالتالي يستطيع أن يكتبه

الا أنهم حصروا هذه الأشكال في الزمن المتأخر بأعداد معينة تشتمل على مربعات معروفة وغيرها من الأشكال ويدل بعضها على مقاطع من الكلام مما هو موجود في لغتهم التي تتألف من مقاطع أغلبها مؤلف من حرفين أحدهما ساكن ولا تخلو كلمة من كلماتهم من حرف ساكن.

وأما الأرقام التي يستعملونها فإنها هي الأرقام العالمية التي أصبحنا نسميها في بلادنا العربية الشرقية بالأفرنجية وليس لدي الصينيين كتابة للأرقام مستعملة في لغتهم الحاضرة غيرها.

ثم مر الطريق على جسر فوق قناة كبيرة كالنهر الصغير وبيوت قديمة مبنية بالطين المطلي بالجص وهو ما كنا نفعله في بيوتنا قبل التطور الأخير.

ثم ضاق الطريق فصارت الدواب التي تجر العربات مختلطة فيه مع السيارات الا أن العربات تلزم جانب الطريق وتدع وسطه للسيارات وجدير بالذكر هنا أن السير في الصين على اليمين مثلما هو عندنا وأكثر أقطار العالم.

## قرية تابو:

مررنا بقرية قالوا: إن اسمها (تابو) معظم بيوتها من الطين رغم وجود مصانع للآجر فيها وربما كانت ترسل ما تنتجه منه إلى (بكين).

ومن أظهر المناظر فيها فتيات ينظفن الطريق عليهن ملابس نظيفة وعربات البغال التي تحمل الناس والأمتعة وحافلات غير أنيقة المنظر وأطفال صغار قد ألبسوهم ألبسة نظيفة جيدة والعناية بالأطفال ظاهرة تكاد تكون عامة فيما رأيناه. مع أننا لم نر إلا قلة من الأطفال بسبب انشغال أهاليهم عنهم بالعمل وادخالهم في دور الحضانة أو دور حفظ الأطفال.

ولا شك في أن العناية بالأطفال زادت وسوف تزداد بعد قرار الحكومة الصينية تحديد النسل وإقتصاره على طفل واحد وبخاصة لسكان المدن.

## في منطقة السور:

وصلنا إلى منطقة جبلية كاملة تبدو مثل جبال الطائف في غير وقت اخضرار العشب. وقد صارت الأبنية فيها بالحجارة لسهولة الحصول عليها وهي أي الأبنية قليلة لأن المنطقة غير مسكونة إذ لاتصل إليها مياه النهر وليست خصبة فيما رأيناه من أمرها في هذا الفصل من السنة وصعد الطريق في الجبل وضاق ومر ببوابة ليس حولها أبنية قال الأخ لقمان: إن أحد ملوك الصين بناها تذكاراً لانتصاره في معركة حربية.

وفي هذا الجبل القاحل ظهرت بعض الأشجار بلون رمادي لأن الثلوج والجفاف قد تعاضدا على جعلها كذلك.

وفي هذه الطريق تجلت الطريقة الصينية في السير وهي الهدوء، وعدم السرعة وذلك أمر مألوف في السهول فكيف به في هذا الطريق الجبلي المتعرج.

ومن مظاهر ذلك أنهم عند المنعطفات رسموا بوق سيارة تنبيها للسائق بأن يطلق العنان لبوق سيارته حتى ينبه السيارات القادمة التي تقابله.

وهذا أمر مزعج في أكثر الدول المتقدمة حيث يحرصون على عدم إطلاق الأبواق وكثيراً ما يكتبون على الطريق أن ذلك ممنوع فضلاً عن أن يحثوا عليه.

غير أن بعض الدول المتأخرة في مجال الطرق واستعمال العربات تحث على إطلاق الأبواق ولو كان في ذلك إزعاج للسائقين والركاب مثل أهل الهند الذين كتبوا على مؤخرة سيارات الشحن والحافلات عبارة (هورن بليز) بالإنكليزية

ومعناها: من فضلك نبهني أنك خلفي بإطلاق البوق. وقد عرفت السبب في هذا الذي حرصوا عليه في الهند وهو أن معظم السيارات ليست فيها مرايا يرى فيها السائق من خلفه من السيارات لذلك يشعر بأنه في حاجة إلى أن يسمع البوق ينبهه إلى وجودها. ومن الغرائب هنا أنني رأيت أناسًا يعملون في تدعيم الطريق الذي يمر بمنطقة منخفضة على يمينه وهم ينقلون الحصى على عربات يدفعونها بأيديهم وملابسهم ليست ملابس العمال غير النظيفة مع أن نظافة الثياب هنا هي السائدة سواء أكانوا من العمال والفلاحين أو من الطوائف الأخرى على تفاوت بينهم في ذلك، واليوم هو يوم الأحد يوم العطلة للعمال ولكنني عرفت بعد ذلك أن كثيراً من المصانع والمؤسسات لا تعطل يوم الأحد وإنما تختار يوم عطلتها يومًا آخر من الأسبوع فمن الجائز أن يكون هؤلاء منهم على أنه من الجائز أيضًا أن يكونوا ممن يعملون بأجر مخفض هذا اليوم لاحتياج الطريق إليهم واحتياجهم للنقود.

وعندما رأيتهم يجاهدون في رفع العربة المليئة بالحصى وهي من العربات اليدوية التي ينقل بها العمال مواد البناء مثل الرمل والأسمنت المخلوط قلت في نفسي: لو كان هؤلاء في بلد متقدم في الإدارة من البلاد الرأسمالية لكان لديهم عوضًا عن ذلك آلات تقيهم عناء نقل الحصى وتوفر الوقت والجهد ثم توفر أيضًا عدد العمال إذْ يكفي مع الآلة عامل أو عاملان.

## على باب السور:

وصلنا سور الصين فوجدنا عند بابه جماهير غفيرة كلها ذات وجوه صينية ولكنها ليست كلها من أهل الصين فبعض الموجودين يظهر عليهم الغنى واليسار وتظهر آثار النعمة على وجوههم وهم من الصينيين الذين يعيشون في البلاد المجاورة مثل هونج كونج وسنغافورة وماليزيا، أو من الصينيين المغتربين في البلدان الأجنبية وهم كثر.



الجموع تصعد للسور

وبعض الزوار من الصينيين من خارج بكين الذين يغتنمون فرصة وجودهم في بكين فيزورون هذا السور لأن بلاد الصين متباعدة مترامية الأطراف، صعبة المواصلات مع عدم اليسار عند عامة السكان، وباب الدخول إلى السور هو من قضبان الحديد ويفضي إلى درج يصعد منه إلى السور.

وبالقرب من الباب لوحة بالصينية والإنكليزية كتبت عليها بعض المعلومات المختصرة عن السور وسوف يأتي في آخر هذا الفصل بيان بعض المعلومات عنه.

ومن المعلومات التي في اللوحة أنه بدئ به منذ ثلاثة قرون قبل الميلاد وأن طوله عشرة آلاف كيلو متر وأنه يمر بسبع مقاطعات صينية وأن ارتفاعه عن الأرض سبعة أمتار وعرضه خمسة أمتار وسبعة أعشار المتر أي: سبعون سنتيمًا.

وإن فيه قلاعًا مبنية يفصل بين الواحدة والأخرى بضعة أمتار.

ودفع الأخ لقمان ما شان لي رسم الدخول أو هو الصعود إلى السور عُشراً من الين أي عشرة سنتيمات لكل شخص.

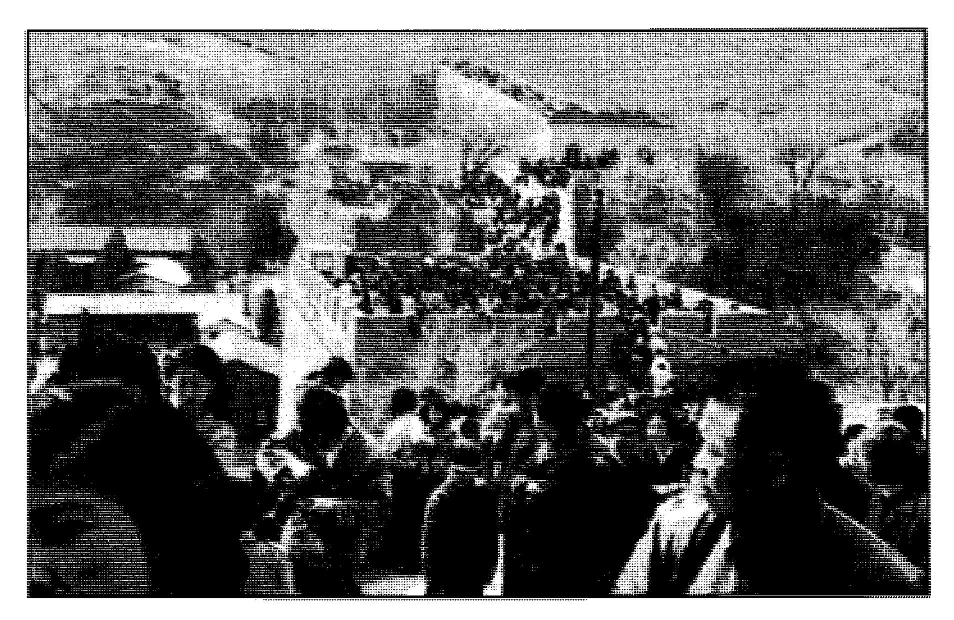
فصعدنا مع درج مرصوف بحجارة سوداء متراصة وسط زحام من الصاعدين والهابطين.والمقصود من الصعود هو السير فوقه حيث تبين أنه بمثابة الممر المتسع الذي يسير فيه المرء يحف به حاجزان على جوانب سطح السور أو ظهره على الأصح ارتفاع كل واحد منهما بقدر صدر الرجل.

وبالنظر إلى كون السور يصعد إلى ظهور الجبال وينزل معها إذا تطامنت فإنهم قد جعلوا فيه درجًا صعب المرتقى لأنه متواصل في أكثر الأحيان وجعلوا في بعض الأحيان الأخرى المكان المرتفع أملس لادرج فيه وإن كان صاعداً.



الصعود الصعب للسور

والقصد من صعود المتفرجين هذا الدرج هو مشاهدة المنطقة من قلعة مشرفة في أعلى الجبل القريب من المدخل إلى جانب الاطلاع على طبيعة السور نفسه.



القلاع بعضها فوق بعض

ومن الملاحظات الطريفة أننا كلما أوغلنا في ارتفاع الجبل قلت أعداد الصاعدين بالنسبة إلى الذين دخلوا لأن بعضهم يعجز عن مواصلة هذا الصعود المرهق.

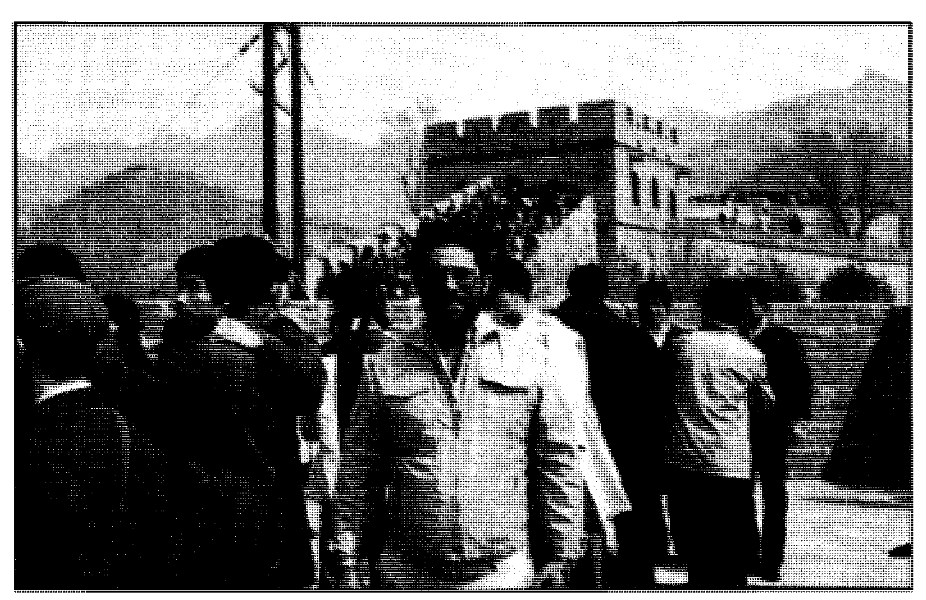
ومع ذلك فإن الممرات التي هي ظهر السور لا تزال مزدحمة بالناس من سائر الأعمار.

وبعد صعود أرهق قلوب كثير من الناس بطوله وأرهق أرجلهم وصلنا إلى مكان مرتفع من السور في قمة القمة من هذا الجبل القريب فصعدنا مع الصاعدين في درج واقف لا يتسع الا لشخص واحد لكي نعلو سطح قلعة من القلاع الموجودة في ظهر السور وهي تغلق الطريق على الماشي في ظهره بحيث يجب عليه لكي يواصل السير في السور أن ينفذ من خلالها.

وهذه طريقة جيدة للدفاع عن اختراق السور أو المضي في السير فيه.

وبعد ذلك القمة التي تشرف على المنطقة في منظر عجيب يشرف منه المرء على هذا الأثر القديم الخالد والسور يعلو الجبال ثم يهبط مع هبوط أسافلها ولكنه يواصل الارتفاع مع ارتفاع الهضاب الجبلية الأخرى حتى يعلو قممها وأحيانًا قمم قممهايستقيم أحيانًا ويتلوى أحيانًا أخرى.

وقد أخذ المتفرجون الصاعدون يلتقطون الصور التذكارية وهم يلتقطون أنفاسهم يستوي في ذلك منهم الشباب والشيوخ و فيهم النساء مثل الرجال.

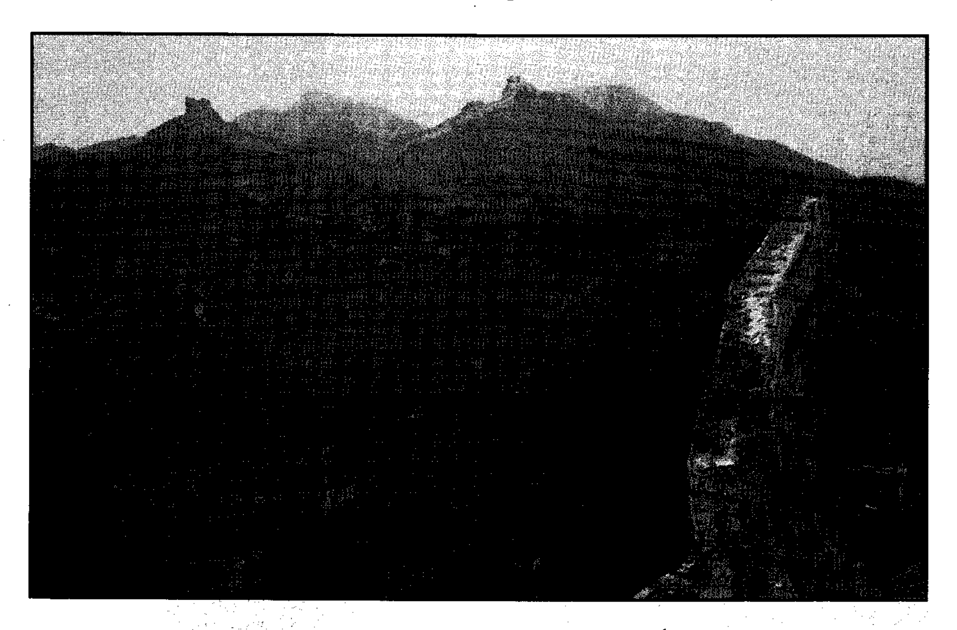


صورة التقطها المؤلف للقسم العالي من سور الصين العظيم تتوجه القلعة

وفي أعلى قمة عالية لم نكن نتخيل أننا نستطيع الوصول إليها بسهولة عندما نظرنا إليها من الأرض أردنا الاستمرار في السير فوق السور إلى قمة أعلى منها بعيدة من باب التحدي والاختبار والاستمتاع بهذا المنظر الغريب، وبخاصة إذا تذكر المرء أنه من صنع الأولين يوم أن كانت وسائل البناء محدودة

وجهود الناس في الهندسة لم تشهد التطور العظيم الأخير وكانت الآلات الرافعة غير معروفة حتى عد مجرد تشييده فضلاً عن طوله العظيم من عجائب الدنيا السبع التي عدها الأولون للآخرين وإن كان لا يخلو من الترميم الذي لا يقصد به التغيير او التحسين.

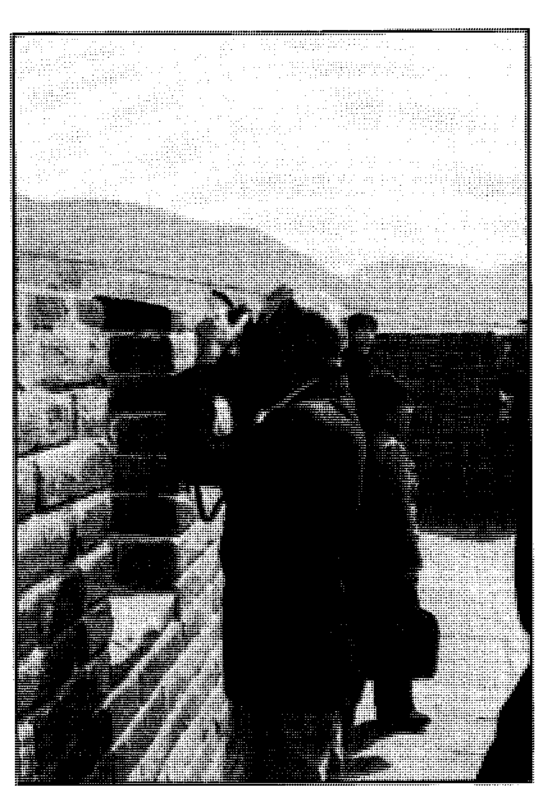
ولم نستطع أن نواصل السير لأن جزءاً متطامنا من السور قد أصابه التلف فسدوا الطريق إلى الاستمرار فيه حتى يصلحوا ذلك الخلل.



الجزء الذي أصابه التلف من السور ومنعنا من مواصلة السير فيه

وقد كانت هذه فرصة للاطلاع على طبيعة بناء السور لأنه في الأماكن الصالحة مطلي بطلاء من مادة تشبه الجبس لا ترى منه إلا ذلك ماعدا بعض الأجزاء المبنية بالحجارة المهذبة وقد رأيت جوانبه المكشوفة مبنية بالحجارة المهذبة ووسطه حجارة مرصوفة تحت طين وأما القلعة ونحوها فإن أكثرها من الآجر ومسقفة بالأخشاب وهي مدعمة الجوانب بالحجارة وعند المرور من قلعتين في الطريق حدث ازدحام شديد لأن الممر ضيق لا يتسع لأكثر من شخصين

والمرور غير منظم فيه ولم أجد أحداً من الشرطة ولا من المسئولين عن تنظيم الناس فحدث ازدحام وتأخر في المرور لمن لا يحب أن يزاحم الناس. واختلط القادمون من آخر نقطة يمكن الوصول إليها في أعلى السور إلى الذاهبين إليها فاصطدمت جماعات من الناس بجماعات أخرى لكثرة الناس في هذا اليوم الذي هو يوم العطلة الأسبوعية وكان الزحام فيها شديداً جداً. وذلك كله على ظهر السور المحدود المرتفع.



بينما كان المؤلف يصور جزءاً من السور
التقط له الاستاذ ابراهيم الخزيم
هذه الصورة

ومع ذلك كانت المتعة والسرور بل والحبور هو الظاهر على وجوه الموجودين هنا من صينيين وهم الأغلب ومن أجانب لا تزيد نسبتهم على ما رأيناه من أمرهم على ٢٪.

وقد ألهاهم التمتع بالمنظر عن الشعور بالتعب وبخاصة عندما حان الانصراف من نهاية الارتفاع فكان لابد من المرور بالأماكن الملساء المنحدرة من السور التي لا درج فيها والتي تنزلق عنها الأقدام ولا يكاد المرء يستطيع أن يمسك بجسده عن الانحدار والوقوع على وجهه لولا وجود قضبان من الحديد مثبتة بالحائطين يمسك بها النازل فتمنعه من الإسراع الذي لا يستطيع السيطرة عليه.

ولا يقلل من جمال المنظر هنا إلا الجدب الظاهر في المنطقة والقشف الموجود على وجوه الناس وعدم الخضرة فيما حول السور لنقص الأمطار التي هي قليلة النزول في العادة في هذا الفصل البارد من السنة بحيث لا يستحق أن يسمى هذا الفصل بفصل الربيع هنا وإنما ربيع بكين ومنطقتها هو الخريف حيث تكون الأمطار الصيفية قد سقطت. والجو دفيء فتزدهر الأعشاب وتخصب البلاد، وتخضر الجبال.

ومن أجل الدعاية للسور تلتقط الصور التي تنشر لهذا السور بغرض الدعاية في العالم وتبدو المنطقة فيها خضراء بهيجة.

ومن الملاحظ عند تجمع القوم من الصينيين في هذا المكان الذي ازدحم بهم أنهم مؤدبون مهذبون مع الآخرين فلا تكاد تجد أحداً يضايقك أو يؤذيك بفضول أو نحوه مما يدل على تهذيبهم في المعاملة وهو أمر عرفناه من هؤلاء الصينيين بعد ذلك.

وأعتقد أن الصين لو سلمت من الشيوعية التي تقيد الحريات وتقيد كثيراً من المواهب، وتسلط فئة قليلة من الناس على الجماهير الغفيرة لكان للصين شأن غير هذا الشأن ولكان لها في المجال الدولي مكانة عظيمة.

والقصد من الإشارة هنا أن نسجل ما لاحظناه عن القوم من التهذيب في المعاملة ومحافظتهم على شعور الآخرين حتى في رفع الأصوات أو التسابق تسابقًا مشينًا إلى الأولوية في الطريق.

كما أن النظافة في الهندام هي السائدة وإن كان ابتغاء الجمال في الثياب أمر لا تقوى عليه كثيرات من الصينيات الموجودات في هذه البلاد لقلة الدخول. وتشجيع الحكومة المستمر على التقشف والانصراف إلى العمل على تأمين العيش الضروري من القوت واللباس والمسكن بدلا من التمتع بمباهج الحياة.



الاستاذ ابراهيم الخزيم عضو وفد الرابطة يتطلع
والمؤلف يقيد شيئًا في مذكرته قبل الصعود إلى سور الصين

حتى مظاهر الحب التي كثيراً ما تشاهد في مثل هذه الأماكن السياحية من مخاصرة الفتيان للفتيات أي الأخذ بالخواصر أو حتى من تبادل النظرات ذات المعنى الهام فهذا لا يوجد هنا وإنما ينظر الناس إلى الفتيات نظرهم إلى غيرهن أو هذا ما لاحظناه منهم هنا.

## الاستراحة على الغداء:

بعد التعب الطويل في صعود السور و السير على ظهره انحدرنا خارجين من البوابة التي تنتهي إليها درجاته الهابطة وقادنا مرافقونا إلى مطعم هناك ولكننا لم نطعم مما فيه شيئًا الا الشاي الصيني التقليدي الخالي من السكر وإنما كان غداؤنا محمولاً معنا في السيارة من بكين مغلفًا في علب من الورق المقوى يشتمل على البيض واللحم الناشف والتفاح الذي هو الفاكهة الوحيدة الموجودة بوفرة في هذه المناطق الباردة من الصين ومما تجدر ملاحظته أن بقايا هذه الأطعمة قد تقاسمتها المصورة (وو) مع أحد الذين كانوا معنا وعادا بها معهما إلى بكين.

فكانت استراحة مناسبة في هذا المطعم الذي لم يكن فيه كثير رواد لأن سكان الصين الشعبية قد جلبوا معهم أطعمتهم بسبب الغلاء النسبي في طعام المطعم وإنما هناك بعض الأجانب وقليل من الصينيين الذين يعيشون خارج الصين.

والمطعم نظيف المظهر الا أن هناك شيئًا آخر ليس كذلك عرفه أحد الرفقة عندما ذهب يبحث عن مرحاض فقادوه إلى واحد عام قذر مكان الجلوس فيه يفضي إلى هوة محفورة في الأرض وليس فيه ما يمنع الرائحة أن تتسرب مثل ما في المراحيض المعتادة في البيوت.

وبحثت في حانوت حكومي هناك عن بطاقات تذكارية فوجدت منها اثنتين بعد الوقوف في طابور أمام فتاة من نافذة.



صورة تذكارية عند سور الصين

ولو كان هذا المطعم موجوداً في بلاد ذات رخاء اقتصادي لكان الأمر فيه وفي مرافقه غير ذلك.

## العودة إلى بكين:

وبدأنا العودة إلى مدينة بكين في الواحدة والنصف ظهراً.

وتكررت عند العودة رؤية العربات التي تجرها البغال في أعداد تلفت النظر وبعضها عليها أحمال من الحجارة يعجب الناظر إليها من استطاعتها جر تلك الأحمال.

ومر قطار يقطع الطريق الأزفلتي فوقفنا حتى تجاوز المكان وليس كثير العربات كما قد توحي بذلك كثرة الصينيين في العدد.

وهذه نشرة صينية عن (السور العظيم) وما يتصل بتاريخه أثبتنا ما جاء فيها للفائدة التاريخية لمن يريدون المزيد من المعلومات عن هذا السور.

## سور الصين العظيم:

السور العظيم يرتفع وينزل، يتلوى وينعطف على طول سلاسل جبال يانشان ويانشان التي تمتد شمالي الصين من الشرق إلى الغرب. وهو معروف في الصين باسم «سور العشرة آلاف لي»، يمتد مسافة ١٢ ألف لي (٦ آلاف كم) من ممر جيايويقوان في مقاطعة كانسو بالطرف الغربي إلى ممر شانهايقوان على سواحل خليج بوهاي بالطرف الشرقي، ويقطع خمس مقاطعات صينية و هي بمثابة الولايات.

شرع في بناء الصين في عهد الممالك المتحاربة في القرن الخامس قبل الميلاد، حين شيدت مدن كثيرة كبيرة نسبيًا في سهل الصين الأوسط، وكانت هذه المدن دائمًا ما تتعرض للنهب على أيدي قبائل البدو العائشين شمال جبال ينشان ويانشان. وكان أولئك الناس الماهرون في ركوب الخيل والرماية يضربون ويختفون كالريح، يشنون الهجمات المفاجئة ويبددون شمل صفوف قوات المشاة للمقاومة، فشادت ممالك يان وتشاو ووي وتشين أسوارا على طول السلاسل الجبلية لصد أمثال تلك الغزوات، وفي القرن الثالث قبل الميلاد أمر الامبراطور تشين شي هوانغ الذي غلب الممالك الست الأخرى على أمرها واصبح الإمبراطور الأول لصين موحدة، أمر جنراله منغ تيان بربط هذه الأسوار وتمديدها، وقام بهذا العمل جنود وفلاحون يعدون بثلاثمائة الف، إلى أن اتخذ السور شكله الكامل في الأخير. وجرت عليه أعمال التعزيز والترميم في عهود الممالك المتعاقبة.

وفي أيام أسرة مينغ (القرن الـ١٤ - القرن الـ١٧)، جرت أعمال اصلاحات كبرى في ١٨ مناسبة على السور.

وعلى طول السور ١٤ ممراً استراتيجياً رئيسياً، وأهمها شانهايقوان وجيايويقوان على طرفيه.

ممر شانهايقوان يواجه بحر بوهاي الهادئ، ويقع بين جرفين عموديين من جبال يانشان. ولكونه عنقًا يربط شمال الصين بشمالها الشرقي، فقد كان دائمًا ملتقى هامًا في نظر أهل الاستراتيجية جميعًا.

وقد وقعت كثير من الوقائع الشهيرة في هذا المكان. و«الممر» المربع الشديد الأهمية له أربع بوابات، بوابة في كل جهة. وتحت افاريز برج البوابة الشرقية المكونة من طابقين لوحة أفقية منقوش عليها خمس كلمات صينية بأحرف كبيرة «تيان شيا دي يى قوان» (معناها: الممر الأول تحت السماء)، وهي تسمية تدل على أنه نقطة البداية للسور العظيم.

وتنتصب على قمة برج البوابة مدافع تعود إلى عهد أسرة مينغ، منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، بينما يتواجد إلى شماله اطلال قلاع متتابعة وابراج مراقبة وثكنات، لا تزال بادية للعيان. هذا وقد شكل خطوط الدفاع الأولى والثانية.

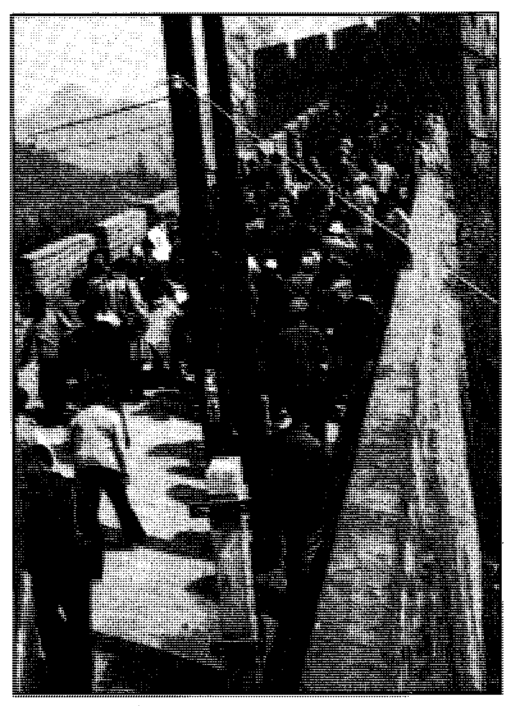
وكان ممر جيايويقوان مركز مواصلات هاما في تاريخ الصين. ولكونه صدعا بين جبال تشيليان المعممة بالثلوج جنوبًا وجبال ماتسونغ شمالاً، كان نقطة استراتيجية على «طريق الحرير» العريق. وقد مر منه تشانغ تشيان، المبعوث الأول للأمبراطور وو دي، من أسرة الخان الغربية، في رحلته إلى المناطق الغربية.

وفيما بعد، تدفق الحرير إلى الغرب عبر هذا الممر أيضًا. إن برج بوابة جيايويقوان معمار جذاب وصنعة ممتازة. وجدير بالذكر انه بنى في سنة ١٣٧٢ حين أمر تشو يوان تشانغ، أول أباطرة اسرة مينغ، بترميم السور العظيم وتقويته. وفي هذا المكان مدينة داخلية وخارجية، والمدينة الداخلية مربعة الشكل، محاطة بسور ارتفاعة ١١,٧م ومحيطه ٧٣٠م. ولها بوابتان شرقية وغربية بأبراج مهيبة وثمه نصب حجري خارج البوابة الغربية، يقول: إن هذا كان «الممر الاستراتيجي تحت السماء».

وتقول الأسطورة إن الحرفيين قد وضعوا تخطيطهم في دقة وعناية قبل بدء العمل الفعلي، وانه حين فرغ العمل من البناء لم يتبق سوى طوبة واحدة. وثمة طوبة واحدة مازالت على أحد أبراج المراقبة، ويقال إنها هي التي كانت زائدة.

يبقى السور العظيم للحفاظ عليه كأثر تاريخي بارز في الوقت الحاضر، وهو من ضمن أهم الخطوط السياحية. واهم قطاع منه محافظ عليه على خير وجه وغالبًا ما يتردد عليه الزوار، هو قطاع «بادالينغ» الذي يبعد عن بكين ٨٥ كم شمالاً، ومتوسط من يزورونه يوميًا ألف أو أكثر من الزوار إما بالسيارة وإما بالقطار.

ويبلغ ارتفاع السور عند «بادالينغ» ٨,٥م وعرضه ٥,٧م. ويمكن أن يسير عليه خمسة خيول أو عشرة رجال في صف واحد، وهناك متاريس، وكوى، وثقوب مراقبة، وفتحات يستخدمها الرماة من أعلى، إلى جانب المزاريب المجهزة بفتحات لتصريف مياه الأمطار من ممشى المتاريس.

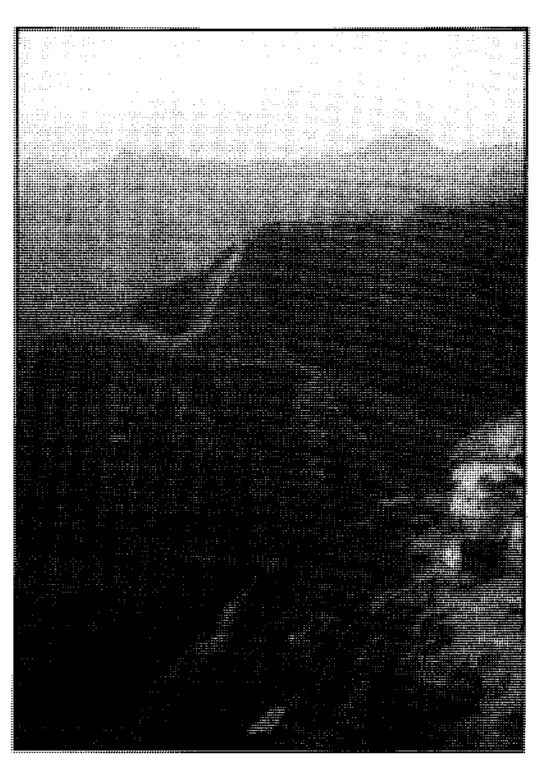


السياح يصعدون من مكان مرتفع إلى آخر في السور

وبين كل ١٠٠م برج مراقبة من طابقين وصممت الأدوار العليا من الأبراج لمراقبة تحركات الأعداء، بينما استخدمت الأدوار الأولى لتخزين الحبوب والعلف والعتاد العسكري والبارود، إضافة إلى إيواء جند الحامية.

وينتصب أعلى برج مراقبة في «بادالينغ» على قمة جبل ولا يتم الوصول إليها الا بالصعود على المنحدر صعداً مثل «تسلق سلم إلى السماء». والاطلالة من القمة مهيبة ممتعة.

ويتبع السور كفاف الجبال التي تبرز وراء بعض إلى أن تتلاشى وتمتزج بالسديم النائي.



السور يصعد إلى رؤس الجبال(صورة التقطها المؤلف)

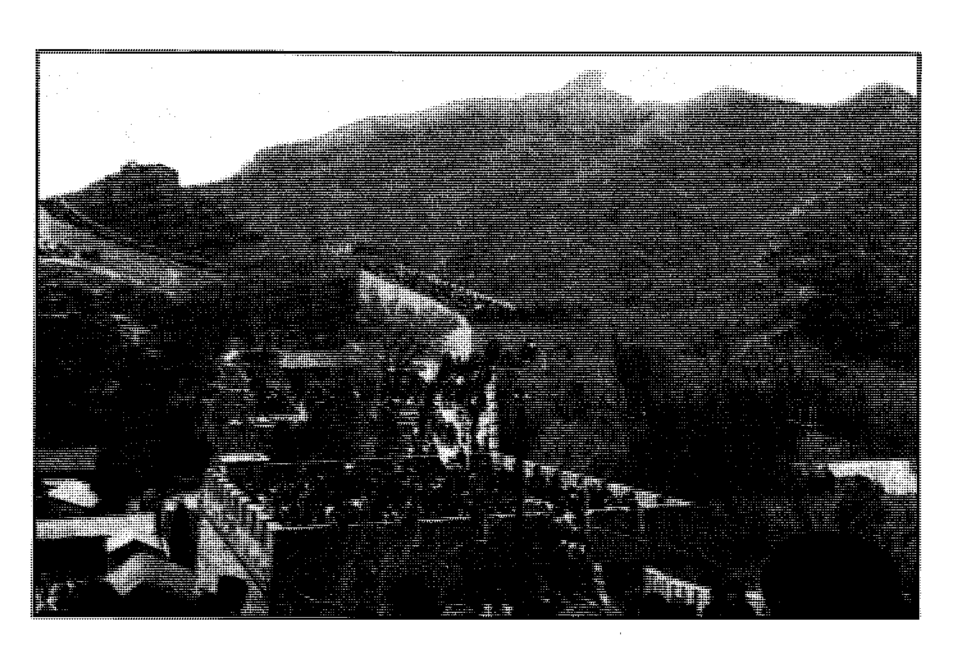
وكانت هناك شبكة للاشارة خدمت لتوصيل المعلومات العسكرية إلى العاصمة الملكية. وكانت تتألف من أبراج نارية للإنذار على السور نفسه، وعلى قمم الجبال على مرأى السور. وكان إذا ما وصلت قوات الأعداء تطايرت الإشارات الدخانية منذرة من الأبراج النارية في وضح النهار، وتشعل النيران بدلاً من الدخان ليلاً، وكان يمكن تبليغ الإشارات الطارئة إلى العاصمة من أماكن قاصية في بحر ساعات قليلة، وذلك قبل اختراع أي شيء شبيه بالاتصالات الحديثة.



سور الصين كما يبدو في الأماكن المنخفضة(تصوير المؤلف)

أن بناء سور بمثل هذا الطول والفخامة فوق قمم الجبال والشعاب والوديان، لعمل مذهل عجيب. وقد ظهرت مع السور حكايات مؤثرة كثيرة العدد تعكس البؤس الذي حاق بأبناء الشعب. ولربما كانت حكاية المرأة التي تدعى «منغ جيانغ نيوي» هي الأشهر من بينها، وهذه الحكاية حكاية ما لا يحصى من النساء اللائي سخر ازواجهن على يد الامبراطور تشين شي هوانغ في بناء

السور. كانت قد انطلقت منغ جيانغ نيوي، بعد سنين طويلة لا تطاق من البعاد عن زوجها، تبحث عنه، ولكن أين يمكن أن يكون في سور طويل كمثل هذا؟ ووصلت بها قدماها في الاخر إلى ممر شانهايقوان وعلمت بمفارقة زوجها للحياة، فأخذت في النواح والعويل فتصدع قسم من السور الذي كان يرقد تحته الجثمان، جثمان حبيبها، فتكسر قلبها وألقت بنفسها إلى اليم. وكانت هناك صخرة عليها نصب تذكاري بين الأمواج الهادرة ويعتقد أن تلك هي مقبرة منغ جيانغ نيوي. وقد بنى الصينيون البوذيون معبداً تخليداً لذكراها لا يزال إلى اليوم في شانهايقوان.



صورة التقطها المؤلف للقلعة التي يدخل منها الطريق فوق السور ويخرج منها

## جلسة المباحثات الرسمية:

في الساعة الرابعة والربع عقد الاجتماع الرسمي الموسع في فندق جبل العطر بين وفد الرابطة والجمعية الإسلامية الصينية التي مثلها الإخوة:

الشيخ إلياس شن شياشي نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينيية المركزية
الشيخ صالح آن شي وي رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة بكين ونائب رئيس الجمعية المركزية.
الأستاذ عيسى محمود كو جنغ تاي مدير قسم العلاقات الخارجية بالجمعية المركزية.
الأستاذ لقمان ماشان لي نائب مدير العلاقات الخارجية بالجمعية المركزية والمترجم.
الأستاذ مالك أمين مدير قسم الاستقبال بالجمعية المركزية.

وقد تضمنت المباحثات التي دارت بين الطرفين الأمور الآتية:

**أولاً، المنح الدراسية:**

**وفد الرابطة:** تقدم الرابطة عشرين منحة دراسية لأبناء القوميات المسلمة في الصين الشعبية منها عشر في الدراسات الإسلامية وعشر في العلوم الأخرى المفيدة للمسلمين وتتحمل الرابطة مصاريف سفر الطلاب إلى اماكن الدراسة واقامتهم وتكاليف دراستهم في الجامعات الإسلامية في مصر وباكستان وغيرهما من الدول الإسلامية.

**ممثلو الجمعية:** قد قبلت الجمعية الإسلامية الصينية هذا العرض شاكرة ووعدت بأن تختار العدد من الطلاب المسلمين الذين يتمتعون بالخلق الإسلامي والديانة والكفاية الدراسية والصحية ومن أبناء جميع القوميات الإسلامية العشر وسترسل الجمعية أوراقهم ووثائقهم مصدقة ومعتمدة من الجهات المختصة إلى الرابطة في الأشهر القليلة القادمة.

**ثانيًا المشاريع الإسلامية:**

**ممثلو الجمعية:** سبق أن قدمت الرابطة عن طريق وفدها الأول في عام ١٤٠١هـ دعمًا ماليًا قدره نصف مليون دولار أمريكي لنشاط الجمعية الإسلامية الصينية وقد صرفت الجمعية ذلك المبلغ بالعملة المحلية بمبلغ قدره ثمانمائة الف (ين) أنفقت في الأوجه الآتية:

٢٥٠ ألف ين لبناء مقر للجمعية الإسلامية والمعهد الإسلامي في سينكيانغ

٢٠٠ ألف ين لبناء مسجد خواجو في شيآن بمقاطعة شانشي

٢٠٠ ألف ين لطبع المصحف الشريف وتفسير الجلالين واللؤلؤ والمرجان وغيرها من الكتب الإسلامية.

١٠٠ ألف ين لمعاهد دينية لاقامة دورة تدريب للأئمة.

كما ذكرت الجمعية بأنها وزعت من تلك المساعدة على الطلاب المسلمين الذين يدرسون في مصر.

**ثالثًا: إقامة دورة تدريب للأئمة والخطباء في الصين:**

**وفد الرابطة:** تود الرابطة أن تقيم دورة تدريب للأئمة والخطباء في الصين الشعبية على غرار الدورات التي أقامتها في يوغسلافيا وفيجي وغيرهما من بلدان العالم وذلك بالتعاون مع الجمعية الإسلامية الصينية وتتحمل الرابطة جميع التكاليف من أجرة مقر الدورة وتكاليف قدوم الطلاب من أنحاء الصين إلى الدورة وإقامتهم خلالها ومصاريف المحاضرين الذين يتم الاتفاق عليهم مع الجمعية من داخل الصين وخارجها.

**ممثلو الجمعية:** الجمعية تشكر الرابطة على اهتمامها بقضايا الإسلام والمسلمين في الصين وخاصة في موضوع تدريب الأئمة والخطباء وذكرت

بأن المسلمين الصينيين يعتمدون على أنفسهم في هذا الموضوع ذلك لأن في الصين حاليًا أكثر من ٢٥ ألف داعية وإمام وهناك معاهد ومساجد تقوم بالتدريب المطلوب وهم يتخرجون منها والذي ينقص الجمعية هم المدرسون فقط.

**رابعًا: تخصيص مقعد في المجلس الأعلى العالمي للمساجد للصين:**

**وفد الرابطة:** ترغب الرابطة بأن ترشح الجمعية اسم شخصية إسلامية علمية وقيادية لكي تعرضه على المجلس التأسيسي للمجلس الأعلى العالمي للمساجد الذي يتكون من ٢٤ عضواً في سبيل قبوله عضواً عن مسلمي الصين في هذا المجلس الذي يهتم بشئون المسلمين والعناية بالمساجد. والرابطة تتحمل مصاريف حضور المندوب لاجتماع المجلس من تذاكر سفره واقامته علمًا بأن هذا المجلس يعقد اجتماعه في غير زمن اجتماع المجلس التأسيسي للرابطة .

**ممثلو الجمعية:** هذا الموضوع لم تفكر فيه الجمعية من قبل وستفيدكم برأيها بعد دراسته.

**خامسًا: ترميم المساجد وإصلاحها:**

**وفد الرابطة:** إن المساجد في الصين تعتبر مراكز هامة للنشاطات الدينية فاذا كانت الحكومة الصينية قد ساعدت الجمعية في الاهتمام بالمساجد الأثرية والكبيرة في بكين وشنغهاي وغيرهما من مدن الصين الكبرى. فلابد أن هناك مساجد في مناطق مختلفة تحتاج إلى دعم مادي إلى إصلاحها وترميمها فالوفد يرغب مشاهدة بعض تلك المساجد إذا أمكن ذلك أو أن تقدم الجمعية بيانًا بأسماء تلك المساجد وعناوينها ومقدار ما تحتاج إليه من المال لإجراء الإصلاح والترميم لكي ينظر فيها وفد الرابطة.

**ممثلو الجمعية:** مع شكر الجمعية الإسلامية الصينية على هذا الاهتمام نقدم إلى الوفد بيانًا بأسماء المساجد التي تحتاج للإصلاح والمساعدة مع بيان مقدارها كما أن باستطاعة الوفد أن يرى بعض المساجد في المناطق التي سيزورها.

### سادسًا: الكتب الإسلامية:

#### أ- القرآن الكريم:

**وفد الرابطة:** ترغب الرابطة في توفير كمية كبيرة من المصاحف لمسلمي الصين الشعبية وذلك بطبعها في الصين إذا كان ممكنًا ورخيصًا أو بإرسالها بعد طبعها في هونغ كونغ أو في غيرها من البلاد المجاورة إذا كان الطبع هناك مناسبًا وكل ذلك بإشراف الجمعية الإسلامية الصينية وتعاونها.

**رد ممثلو الجمعية:** ترى الجمعية أن يتم طبع المصاحف في الصين إذ أن إدخال الكتب الدينية بكميات كبيرة إلى الصين يواجه صعوبة بالغة ويمكن أن تبحث الجمعية في أمر طبعها بسعر أرخص في الصين ويمكن أن ترسل الرابطة مندوبًا للإشراف على طبعها تحت اشراف الجمعية، ويخبر الوفد في الجلسة القادمة بسعر طبع المصحف هنا في الصين.

#### ب- الترجمة الصينية لمعاني القرآن الكريم:

**وفد الرابطة:** لقد أعدت الرابطة الترجمة الصينية التي وضعها الشيخ محمد مكين وطبعتها الجمعية الإسلامية الصينية في بكين عام ١٩٨٠م وذلك بوضع النص القرآني على الصفحة اليمنى والترجمة الصينية على الصفحة اليسرى والرابطة تريد طبع هذا الأنموذج المعد من قبلها في الصين إذا كان ممكنًا.

**أجاب ممثلو الجمعية:** لقد طبعت الجمعية أكثر من ٢٠٠ ألف نسخة من الترجمة الصينية لمعاني القرآن الكريم وتفكر الآن في إعادة طبعها ويمكن بالطبع طبع النسخة التي أعدتها الرابطة هنا في الصين.

**جـ - ترجمة تفسير القرآن الكريم:**

**وفد الرابطة:** حيث أن ترجمة معاني القرآن الكريم تحتاج إلى شرح بعض الآيات القرآنية كي يفهمها عامة الناس فالرابطة ترى بأن تزاد على الترجمة تعليمات وشروح مختصرة لايضاح بعض المواضيع والمسائل التي تحتاج إلى شرح وبيان خلال الترجمة.

**ممثلو الجمعية:** تفكر الجمعية في إعادة الترجمة الصينية وذلك بترجمة تفسير القرآن الكريم بالصينية وستكون لجنة من العلماء من أجل ذلك وبعد الاتمام سوف تعرضها الجمعية على الرابطة لمراجعتها ودراستها.

**د- الترجمة الأويغورية لمعاني القرآن الكريم:**

**وفد الرابطة:** تود الرابطة دراسة إمكانية طبع الترجمة الأويغورية (التركستانية) لمعاني القرآن الكريم في سينكيانغ مع الجمعية الإسلامية الصينية المركزية في بكين أو مع الجمعية الإسلامية الفرعية لمقاطعة سينكيانغ.

**أجاب ممثلو الجمعية:** يمكن دراسة هذا الموضوع مع الجمعية الإسلامية لمقاطعة سينكيانغ عند زيارة الوفد لها وخاصة أن هناك ترجمة أويغورية معدة للطبع وضعها الشيخ محمد بن صالح.

**هـ - الكتب الإسلامية المختلفة:**

**وفد الرابطة:** ترغب الرابطة في إرسال الكتب الإسلامية والمراجع الهامة التي تعالج المسائل والقضايا الإسلامية إلى مسلمي الصين الشعبية في سبيل توعية المسلمين وتثقيفهم بأحكام دينهم الحنيف وبذلك تكون قد ساعدت الجمعية الإسلامية لأداء رسالتها.

**رد ممثلو الجمعية:** يمكن إرسال الكتب الإسلامية المختلفة إلى الجمعية الإسلامية الصينية المركزية وستقوم الجمعية باستلامها وتوزيعها على المسلمين باسم الرابطة.

**سابعًا: المطبعة:**

**قال ممثلو الجمعية:** الجمعية الإسلامية الصينية ترغب أن تحصل على مطبعة إسلامية لطبع القرآن الكريم والكتب الإسلامية الأخرى وستقدم الجمعية بيانًا تفصيليا بتكاليف المطبعة وأنواع المكاتب المطلوبة وغيرها من المعلومات اللازمة إلى الرابطة.

**ثامنًا: إرسال المدرسين:**

**وفد الرابطة:** الرابطة على استعداد لإرسال عشرة مدرسين وتتحمل مصاريف قدومهم ورواتبهم وبدل سكنهم ويمكن أن تعينهم الجمعية في المناطق التي تريدها ضمن الاحتياجات الضرورية في مجال التوعية الإسلامية.

**رد ممثلو الجمعية:** في الواقع تحتاج الجمعية إلى المدرسين الذين يدرسون اللغة العربية والعلوم الدينية ولكن في الوقت الحاضر لديها بعض المشاكل مثل السكن وعندما تتحسن الظروف الحالية فإن الجمعية ستطلب من الرابطة المدرسين اللازمين لها.

**تاسعًا: المعاهد الإسلامية:**

**وفد الرابطة:** إن الأعداد الهائلة من الأئمة والخطباء وطلاب العلم المسلمين في الصين يحتاجون إلى معهد لإعداد المعلمين في سبيل تخريج معلمين في اللغة العربية والعلوم الدينية. فإذا رأت الجمعية الإسلامية أن تخصص أحد المعاهد السبعة التي تريد إنشاءها لإقامة معهد لإعداد المعلمين فإن الرابطة سوف تنظر في مساعدة هذا الموضوع كما تنظر في مساعدة الجمعية على شراء مبنى لسكن الطلاب والمدرسين المسلمين

**أجاب ممثلو الجمعية:** بأن الجمعية الإسلامية تود هذا كما تود أن تساعدها الرابطة في إنشاء المعاهد السبعة وستقدم الجمعية إلى الرابطة تفصيلات كاملة عن احتياجاتها الفعلية ومشاريعها في القريب القادم.

**عاشرًا: إيجاد مركز إسلامي في سينكيانغ (تركستان الشرقية):**

**وفد الرابطة:** حيث أن سينكيانغ مقاطعة ذات أكثرية إسلامية فإن الرابطة ترى إقامة مركز إسلامي يضم معهداً و مسجداً ومستوصفًا ومكتبة وذلك بالتعاون مع الجمعية الإسلامية الصينية وأن تتولى الجمعية إدارته بعد الإنشاء.

**ممثلو الجمعية:** هذا الإقتراح يعتبر مفيداً للمسلمين ويمكن أن يبحثه الوفد مع الجمعية الإسلامية لمقاطعة سينكيانغ خلال زيارته هناك.

**حادي عشر: الحج وتيسيره:**

**وفد الرابطة:** إن حكومة المملكة العربية السعودية لها أنظمتها وقوانينها والرابطة منظمة إسلامية وليست دائرة حكومية رسمية ومع ذلك

ستعمل الرابطة بالتوسط لدى الحكومة السعودية في تسهيل منح تأشيرات الحج للمسلمين الذين يرغبون في اداء فريضة الحج إذا قدمت الجمعية الإسلامية الصينية بيانًا بأسماء الحجاج الصينيين الذين يودون الحج من خارج البعثة الرسمية قبل موعد الحج بثلاثة أشهر وعلى مسئوليتها.

**ممثلو الجمعية:** إن الحجاج المسافرين لأداء فريضة الحج يلاقون بعض الصعوبات للحصول على تأشيرات الحج لعدم وجود تمثيل دبلوماسي بين الصين والمملكة العربية السعودية وإن الجمعية تود مساعدة الرابطة لهم للحصول على التأشيرات اللازمة بسهولة.

**وأضاف ممثلو الجمعية:** سترسل الجمعية الإسلامية الصينية في بكين بأسماء الذين يريدون الحج من مسلمي الصين إلى الرابطة في سبيل تسهيل منحهم تأشيرات الحج ويمكن أن يرسل نفس البيان من الجمعية أو الرابطة إلى السفارة الباكستانية بطلب منحهم تأشيرة مرور من باكستان إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

**ثاني عشر: دعوة بعض زعماء المسلمين وعلمائهم لأداء فريضة الحج على حساب الرابطة:**

**وفد الرابطة:** إن الرابطة تودأن تستضيف عدداً من زعماء وقادة المسلمين وعلمائهم لأداء فريضة الحج وذلك بتوجيه دعوة لهم مع تذاكر سفرهم ويكونون ضيوفًا على الرابطة خلال موسم الحج.

**أجاب ممثلو الجمعية:** ستقدم الجمعية أسماء بعض الزعماء المسلمين الذين لم يسبق الحج لهم ومن غير الذين سيكونون في بعثة الحج الرسمية إلى الرابطة لتختار منهم الرابطة من تدعوه لأداء فريضة الحج على حسابها.

وقد انتهى الاجتماع في منتصف الليل تقريبًا على أن يعقد اجتماع ثان بعد عودة الوفد من زيارة سينكيانغ (تركستان الشرقية) لاستكمال المباحثات والاتفاق.

## يوم الإثنين ١٥/٧/١٤٠٤هـ ١٦/٤/١٩٨٤م.

أصبحنا على مطر وبرد وضباب خلاف الأيام الماضية وقد أخبرنا أهل بكين أنه ليس من المعتاد عندهم أن ينزل المطر في مثل هذا الفصل من السنة.

**إلى قصر الشتاء:**

وكأنما كان البرد قد اطلع على برنامجنا فعرف أنه يشتمل في هذا اليوم على زيارة (قصر الشتاء) وهو متحف كبير كان قصراً لأحد ملوك الصين الكبار ينزله في الشتاء وكأنما كانت التسمية كي تقابل الصيف الوارد في اسم (حديقة الصيف) وقد سمي المتحف الأمبراطوري.

واخترقنا شوارع بكين من وسط المدينة فألفينا الرئيسية منها واسعة سعة تفوق ما لديهم من السيارات في الوقت الحاضر فضلاً عن راكبي الدراجات الكثيرة وحتى المشاة في قلب المدينة الا أن الشوارع تكاد تكون خالية منهم في هذا اليوم الماطر، وليس هناك سيارات خاصة كما سبق.

والذين يشاهدون في الشوارع عليهم المعاطف الشتوية والمظلات الواقية من المطر مع أن الفصل ربيع حسب ما هو معروف عندنا الا أنه يصح أن يقال إن ربيعهم خريف و خريفهم ربيع.

ولكننا رأينا شيئًا ليس عليه غطاء في هذا الطريق ألا وهو لحم قد ذهب به صاحبه إلى إحدى محلات البيع وقد حمله على عربة يجرها بغل أو حمار - لا أدري - .

## شارع السلام الدائم:

ثم وصلنا (شارع السلام الدائم) واسمه في لغتهم (تيان آن جيه) وجيه: شارع وهو واسع جيد يضاهي الشوارع الجيدة في العواصم الكبيرة الأخرى وفي جانبه أماكن للمشاة والدراجات وفيه إشارات مرور كهربائية حديثة وتحف به الأبنية (العمارات) الضخمة البهيجة المنظر. ولكن المتاجر فيه قليلة وهي حكومية.

وهذا الشارع يمكن أن يقال فيه إن له منظر الشوارع الحديثة في المدن المزدهرة ولكن ليس له روحها فليس فيه متاجر فخمة ولا رواد لتلك المتاجر لأن القوة الشرائية عند عامة الشعب ضعيفة كما أنه ليس فيه سيارات ركوب كثيرة معتادة كما يكون في الشوارع المماثلة.

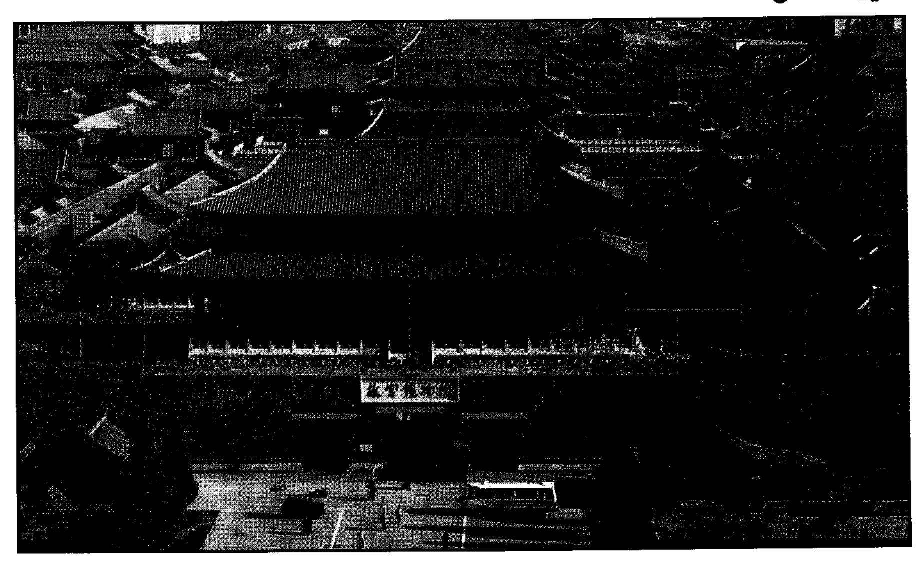
ويقع هذا الشارع في قلب المدينة ويعتبر من معالمها السياحية.

ثم عطفنا منه جهة اليسار إلى شارع واسع عليه مقر الحكومة المركزية وهو مقر مهم لأنه يتحكم بتصريف الأمور لأكبر مجموعة عددية من البشر الا وهم الشعب الصيني الذي يزيد تعداده على الف مليون إنسان. وكان هذا المقر قصراً لأحد ملوك الصين السابقين.

وعلى جهة اليمين قاعة كبيرة مشهورة هي «قاعة الشعب» التي يتضمن برنامجنا فقرتين لدخولها، ثم دخلنا إلى قلب المدينة القديمة وبعض بيوتها مثل أجزاء من قصور الملوك هنا مبنية بالطين المجصص.

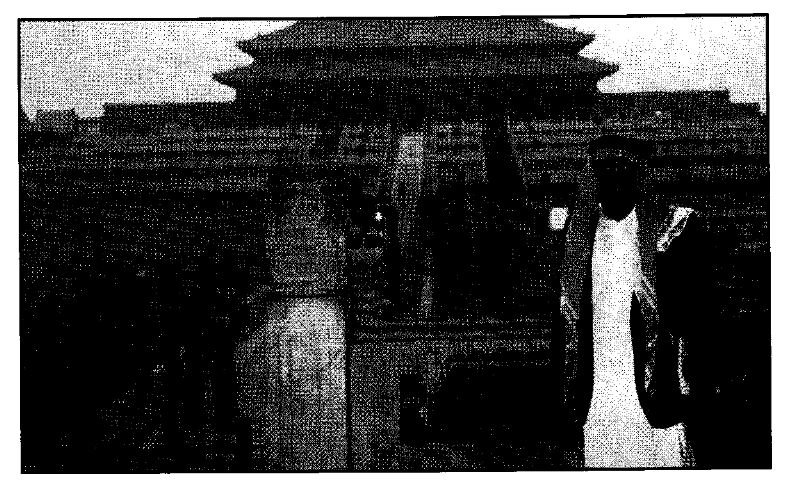
وداخل المدينة غير بهيج المنظر لأنه بيوت قديمة أغلبها بالطين والآجر. وليس عليها أمارات الترميم فضلاً عن التجميل. ولكنه ممتع لكونه قديمًا فحسب فيتخيل المرء اذا سار فيه أنه يسير في زمن قديم، ولهذا صار ذا قيمة أثرية ثمينة.

## في قصر الشتاء:



القصر القديم في بكين

دخلنا القصر بعد دفع ١٠ سنتيمات ثمنًا لتذكرة الشخص الواحد ويساوي ذلك أقل قليلاً من ربع الريال السعودي وذلك مع ممر عليه عقد صيني تقليدي وهو الذي يكون سقفه أشبه بنصف بطيخة مستطيلة قد أخذ ما في وسطه حتى بقي القشر فهو يشبه ما نسميه في بلادنا بالقبو لولا أن هذا ممر مفتوح يفضي إلى فناء مكشوف مبلط بحجارة.



مدخل القصر الامبراطوري في بكين والاستاذ ابراهيم الخزيم يتأمله

ثم صعدنا من ذلك الفناء المكشوف إلى شرفة ذات أعمدة خشبية ضخمة أو لنقل بالتعبير القديم: إنه رواق مرتفع عليه أبواب خشبية كبيرة جداً ولكنها أنيقة الصنعة، وسقف هذا الرواق من الأخشاب الكبيرة المزينة بنقوش وزخارف صينية أصيلة بحيث لا ترى من الخشب شيئًا. لأنه كله قد شمله النقش والتزويق، وأغلب الوان الزخارف فيه هما الأخضر والذهبي.

وعلى مدخله لوحة بالصينية والإنكليزية تقول: إن هذا القصر بني في عام ١٤٢٠م واستغرق بناؤه أربع عشر سنة وانه بني لأحد الملوك من اسرة مينغ. وإن مساحته تبلغ سبعمائة وعشرين الف متر مربع وهذا بطبيعة الحال يشمل الأفنية المكشوفة.

كما قالت اللوحة: إنه يشتمل على تسعة آلاف غرفة، وإنه لم يكن يسمح بدخوله الا لطبقات خاصة من الناس فهو بمثابة المدينة المحرمة على سائر أبناء الشعب.

ويحف به خندق مليء بالماء عمقه عشرة أمتار للدفاع عنه.

## أبناء السماء وأبناء الأرض:

تجاوزنا المر الذي ذكرته إلى فناء آخر مكشوف ينزل إليه من شرفة مكشوفة ذات درج حجري وقد رسموا في أحد أركان الشرفة المكشوفة تنينًا متعدد الرؤوس في لوحة كبيرة كلها من حجر واحد قد رسم عليه التنين بطريقة النقش أو الحفر على الحجارة ولذلك بقيت هذه اللوحة كأنما فرغ منها راسمها بالأمس رغم تعرضها للتقلبات الجوية من الأمطار والرياح والثلج في الشتاء والشمس الحارة في الصيف.

والتنين هو رمز الصين وأصله أن ملوكهم أو بعضهم كانوا يقولون: إنهم من أبناء السماء وإن التنين هذا موجود في السماء.

ولذلك كان بعض الكتاب المعاصرين يعبرون عن هذا الأمر بقولهم في تصارع الصين والاتحاد السوفييتي على الحدود أو على بعض المسائل موضع الخلاف بينهما: إن التنين والدب يتصارعان رغم أن الدب حيوان حقيقي معروف والتنين هذا: خرافي.

وإن كان التنين عند بني قومنا العرب حقيقياً وهو الحية الكبيرة، وعلى حد تعبير بعض اللغويين هو نوع من الحيات من أعظمها وأكبر ما يكون منها.

فماذا كان يقول صن يات صن أبو الجمهورية الصينية الذي تبنى إسقاط الملكية بل ماذا يقول ماوتسي تونغ أبو الشيوعية في الصين إذا نظر إلى هذا التمثال الذي يمثل فكرة كون الملوك ليسوا من أبناء الشعب وإنهم من أبناء السماء، وقد بقيت هذه الفكرة ممثلة بهذه اللوحة الكبيرة التي خلدت حتى الآن على مر السنين؟ وماذا يفعل بمئات بل آلاف اللوحات الثمينة التي خلد فيها التنين رمزاً لتلك الفكرة؟

هل يقول: إن ذلك خرافة؟

إن الناس سيصدقونه في ذلك بلا شك لأنها خرافة بالفعل ولكنهم ربما يسألونه أو يسأله بعضهم فيقولون: أين ما جعلته رمزاً للصين أو لأبناء الأرض من أبناء الصين ليقاوم الزمن، ويظل خالداً على الدهر غير فكرة الشيوعية التي أخذ الشعب الصيني بقيادة حكومته الحاضرة يتخلى عن النهج المتشدد التي نهجته في تطبيقها ولا سيما في آخر حياتك عندما أَلَّبْتَ الشبان و الأغرار على الصغار والكبار فأذاقوهم سوء العذاب، وعملوا على تحطيم ثقافة صينية ظلت باقية بل مذكورة مشهورة في التاريخ على مدى خمسة آلاف سنة هي العمر المعروف من عمر الحضارة الصينية القديمة.

وذلك بالهدم والهدم وحده دون أن تبنى في هذا المجال إلا أفكاراً عن الثورة الثقافية لم تستطع أن تدوم حتى بضع سنوات؟.

ولنترك (ماو تسي تونغ) وما فعله وما فعل باسمه أو عن موافقته قبيل وفاته فذلك حديثه في الكتب السياسية والاجتماعية وقد تأتي لمحة عن أسباب وجود الشيوعية في الصين فيما بعد.

ولنواصل جولتنا في قصر الشتاء لأننا الآن لا نشعر الا بذلك فالمطر يهطل باستمرار والريح تهب ندية تحكي ريح الشتاء الندية في صحرائنا العربية بعد نزول مطر كثير ولندخل:

## قاعة الاحتفالات الملكية:

وهي قاعة كبيرة لم يكن يدخلها إلا الوزراء، ومن في مرتبتهم ويستقبل فيها الملك وزراءه وكبار رجال دولته وتستعمل للأحتفال بالمناسبات الهامة.

وكلها مبنية بالخشب لأن ذلك كان طراز البناء القديم في الصين. ويقولون: إنهم اتخذوا البناء يالخشب لأنه يقاوم الزلازل التي تعتاد البلاد. على أن المرء الذي يشاهد ضخامة هذه الأبنية لا يستطيع أن يتصور أنها من الخشب لضخامتها واتساعها ولأنهم قد طلوها كلها بألوان وأصباغ أخفت الأخشاب حتى صار من يراها يظن أنها من الحجارة أو من مواد أخرى غير معروفة.

ومن ذلك أن أعمدة هذه القاعة الواحدة من خشب الأشجار الضخمة المستقيمة التي لاعوج فيها ويظن من يراها أنها من حجارة ملساء لصلابتها وغلظها.

وفي هذه القاعة كرسي الملك أو الإمبراطور كما يسميه بعض عوام الكتاب. وهو ما يعبر عنه بالعرش عند كتابنا المحدثين. وليس بالفخامة التي يتصورها من يرى هذا المنظر فيفكر في الكيفية التي يكون عليها كرسي الملك أو تخت الملك كما كان يعبر عنه بعض كتابنا القدماء.




غرفة العرش في قصر الامبراطور في بكين

## مكافحة الحريق:

نظراً لكون الابنية الهامة في القصر من الخشب الثمين الذي قد استغرق نقشه وخرطه فضلاً عن تشذيبه وتهذيبه ثم تركيبه سنين طوالاً فإن الحرص عليه من أن يصيبه الحريق أمر في غاية الأهمية.

وقد عملوا لذلك شيئًا غريبًا وهو أنهم وضعوا قدراً نحاسية ضخمة جداً قالوا إنها تكون مليئة بالماء على الدوام وهي قريبة من قاعة العرش الا أنها ليست في واجهتها وإنما هي في ركن مكشوف يفضي إلى الرواق الذي يدخل منه إلى قاعة الاحتفالات.

وكأنما قاعة الاحتفالات قد استمرت حكراً على طائفة من الناس لا يدخلها غيرهم وهم الفنيون والقائمون على صيانة هذا القصر العظيم فلا يسمح الآن لأحد من أفراد الشعب ولا من السياح بدخولها وإنما يقفون عند بابها الخارجي

ليطلوا منه على ما بداخلها وذلك خشية من أن يؤثر دخول الناس إليها على أثاثها أو عليها نفسها وهي من الخشب على مر الأيام.

**محمل الإمبراطور:**

هكذا قال الدليل وهكذا نقلنا كلامه حينما دخلنا قاعة أخرى ذات لون أصفر تدعى البيزنطية قالوا إنها قاعة خاصة بالملك بحيث لا يجوز أن يدخلها الوزراء أو كبار الموظفين كالقاعة الأولى مثلاً.

وفي هذه القاعة عرضوا محملاً من الخشب له ثمانية أذرع أيضًا قالوا: إنه محمل الإمبراطور وهو الذي يحمل فيه فوق أكتاف الرجال إذا أراد التنقل لأنه لم تكن هناك سيارة في ذلك الزمان بطبيعة الحال وربما كان يضايق جلالته أن يركب على بهائم لأنها أولاً «بهائم» ولا ينبغي أن تحظى بمقامه «الإمبراطوري» ولأنها - ثانيًا: قد تنسى أو تتناسى أن راكبها هو إمبراطور فتسير سيراً خشنًا لا يرضاه هو ولا يرضاه له من حوله من الخدم والأتباع.

فكان الإمبراطور يتربع على هذا المحمل والرجال الثمانية يحملونه على اكتافهم عن طريق أذرع المحمل الثمانية وهم أطوع من الحيوان وأقرب إلى الأمان. لاسيما إذا كانت الغاية قريبة.

**قاعة السفراء:**

وهذه قاعة أصغر من قاعة الملك ولكنها عجيبة من ناحية البناء الخشبي فسقفها عالٍ بحيث يبلغ ارتفاعه ٢٩ متراً. أي ما يساوي ارتفاع بناء من سبعة طوابق وذلك كله من الخشب المدهون الصقيل الذي إذا رأيته لا تشك في أنه من مادة أخرى غير الخشب وهو أحمر الطلاء.

وأهم ما يعمل في هذه القاعة أن الملك كان يقيم فيها الولائم الخاصة باستقبال السفراء من الدول الأجنبية.

وقد عرضوا في هذه القاعة بعض المخلفات ذات القيمة الأثرية مثل الأسلحة والأواني النحاسية وهي غريبة الشكل وقيمة من الناحية الأثرية أكثر من كونها ذات منظر غريب متميز.

## استعارة المظلات:

إشتد نزول المطر وصعب علينا التنقل بين أبهاء القصر بدون مظلة واقية وكان معظم السياح معهم المظلات لأن المطر كان قد بدأ منذ الليل إلا نحن. وسألنا عما إذا كانت توجد مظلات (شماسي) للبيع في حالة ما إذا وجد حانوت هنا لبيع الأشياء الخفيفة كما هي العادة في البلدان المتقدمة في الإدارة. فانتدب الأخ المترجم لقمان.. والمصورة (وو) وكانت ترافقنا إلى الحصول على ذلك وكلما فتاتين موظفتين في المتحف كانتا تجلسان في مكان مظلل وأخذا مظلتيهما - عارية مؤداة - وصرنا نستعملها أحيانًا بتناوب المرور من تحت المطر وأحيانًا يستعملها البعض، وقلت إن هذا أمر لا بأس به بالنسبة إلينا فلنعط في نهاية الجولة صاحبتيهما بعض النقود.

ولكن بعد نهاية الجولة رفضتا أن تتسلما شيئًا، وسقنا الحديث عن هذه الحادثة التافهة لتدل على سهولة المعاملة عند هؤلاء الصينيين تجاه ضيوفهم من الأجانب.

## الكنز الذهبي:

استمرت الجولة في غرف هذا المتحف وبين أبهائه التي هي نفسها تحف من التحف بالنسبة إلى الزائر الغريب من حيث شكل البناء وخرط الخشب ومقاومة الزمن وملاحظة الفن الصيني الأصيل في ذلك لأنه لم يتأثر آنذاك بأي من المؤثرات الحديثة بطبيعة الحال. فكان الدخول إلى قاعة جل ما فيها من الذهب الخالص مثل المباخر أي: أوعية حرق البخور وآلات موسيقية وأوان للأكل وكل

ذلك من الذهب حتى أعواد الأكل التي اعتاد الصينيون على تناول الطعام بها بديلة من الشوكة والملعقة عندنا قد جعلوا أطرافها التي تلي فم الآكل من الذهب الخالص أما بقية هذه الأعواد فإنها من معدن كريم أظنهم قالوا: إنه الزمرد.

حتى الإبريق الذي يوضع فيه الخمر أمام الملك هو من الذهب الخالص.

ثم أشياء من المعادن الكريمة كالمرجان ومن المرمر النفيس النادر عندهم مثل بعض الصحون والسلطانيات التي يراد بها هنا أقداح صغيرة يشرب فيها اللبن والحساء.

ومن ذلك أنواع أخرى من الذهب مثل آلات موسيقية أخرى وكلها قد رسموا عليها التنين الذي يوجد في السماء على حد زعمهم ومنه ذرية ملوكهم العظام كما كانوا يزعمون.

وكذلك كانت أختام الملك من ذهب وطبيعي أن يكون ما يلازم الأختام وهي بعض الأوراق التي يضع الملك خاتمه عليها من الذهب أيضًا وهي رقائق من الذهب أو مموهة بالذهب على هيئة صفحات من الأوراق التي يكتب فيها.

وقد رأينا بعض هذه مكتوبًا فيها باللغة الصينية ولعلها لمعاهدات أو وصايا ملوك فلم نتبين ذلك. وهناك عصا ذهبية مرصعة بالجواهر النفيسة قالوا: إن الملك كان يمسكها بيده فيشعر بالقوة.

ولا شك في أن الشعور بالقوة المعنوية عند إمساكها ليس مقتصراً على الملك فلو أمسك بها صعلوك لشعر بذلك إذا اعتقد أنها صارت ملكًا له.

وفي قاعة الحفلات الرسمية مخلفات وضعوها في غرفة صغيرة خاصة للعرض منها صفائح من الذهب قالوا: إنها بعدد أشهر السنة وإن لكل صفيحة منها صوت إذا قرعت صدر صوت مختلف عن أصوات الصفائح الأخرى يدل على شهر معين.

كما يوجد في هذه الغرفة شمعدانات أي أماكن ارتكاز الشموع من الذهب أيضًا وعدة من العصي الذهبية موضوعة في خزائن.

وقالوا إن مجموع الذهب الموجود في هذه الغرفة الصغيرة بلغ وزنه ستين كيلو غرامًا.

## و تعددت الخزائن الذهبية:

حتى أصبحت المعروضات الذهبية لا تكاد تلفت النظر وذكرت بهذه المناسة قصة الذي تمنى أن ينقلب كل ما تقع عليه يده إلى ذهب فأجيب إلى طلبه حتى انقلب ابنه بين يديه إلى قطعة خرساء من الذهب، وانقلب طعامه وشرابه إلى ذهب، فبقي في حالة بؤس لم يشهدها في حياته حتى تمنى أن يعود إلى ما كان عليه فقيراً دون ذهب.

## الذهب في العبادة:

وجاء دور استعمال الذهب في عباداتهم فرأيناهم عرضوا أواني ذهب للأكل في المناسبات البوذية والبوذية كانت هي الدين السائد في الصين في ذلك الوقت.

كما صنعوا نماذج للمعابد البوذية وفق الهندسة الصينية وهي في هيئات متعددة بعضها محلى بالذهب والجواهر.

وتمثال لبوذا نبي البوذيين أوربهم من الذهب وقد وضعوه وسط معبد مصغر أو لنقل أنموذجًا لمعبد بوذي.

**وفي الحرب :**

أما لباس الملك صاحب القصر فإنه أيضًا عجيب ولكنه يتناسب مع ما ذكرناه في هذا القصر وذلك أنه مطرز بخيوط من الذهب ومحلى بأنواع صغيرة نفيسة من الجواهر.

وقد عرضوا من لباس الملك حليتين إحداهما عسكرية يلبسها في المناسبات العسكرية وأخرى مدنية يلبسها الملك في الأحوال المعتادة.

وعلى ذكر الحديث عن اللباس العسكري نقول : إنهم عرضوا في ركن آخر من المتحف عدداً من السيوف والخناجر المغطاة بالذهب. وهذا أمر موجود عند غيرهم حتى الآن.

ولكن الشيء النادر الموجود هنا ليس من الذهب ولكنه من مادة نفيسة وبصنعة عجيبة الا وهو حصير صغير منسوج من العاج أي: سن الفيل قالوا إن تاريخ صناعته كان قبل ثلاثمائة وعشر سنوات وقد عرضوا فوقه سن فيل ليدل عليه.

ولك أن تسأل عن كيفية استطاعتهم نسج هذا الحصير من العاج مع أن العاج مادة صلبة والجواب إنها الدقة في العمل والصبر على ذلك والتفرغ له زمنا طويلاً وربما كانت هناك وسيلة أخرى لتليين العاج.

على أنهم عرضوه داخل أجهزة زجاجية لمسها لا يمكن بطبيعة الحال.

**وفي الخرافة :**

ومن الأشياء غير المفهومة هنا بالنسبة للزائر الأجنبي أشكال أشجار غريبة ومنازل أو لنقل أشياء متداخلة غير متناسقة قالوا إنها صنعت لتمثل خرافات وطنية صينية كانت شائعة عندهم في ذلك الزمان.

ومن ذلك شيء يشبه شكل الشجرة مرصع بالذهب والجواهر فيها أشخاص وهميون قالوا: إن بعضهم من الملائكة وبعضهم شخصيات خرافية صينية.

وقالوا: إن هذه الخرافة أو هذا الشكل لها مستوحى من قصص بوذية وشكل آخر يمثل العواصم السماوية بزعمهم وهي عوالم متعددة على قمتها تمثال يشبه الملك قالوا: إنه فوق الجميع وإنه هو الذي يأمر من في تلك العوالم وينهاهم.

وشكل للكرة الأرضية من الذهب ولم لا؟ والكرة الأرضية هي معدن الذهب؟

ومن الملاحظ أن بعض المعروضات ليست عليها كتابة بالإنكليزية توضح أمرها وإنما اقتصروا في الكتابة عليها باللغة الصينية فكان لابد من معرفتها من الاستعانة بمترجم صيني وهو أمر لم يعجزنا نحن وإنما هو صعب على من يتفرج برؤية هذا المتحف بمفرده إذا كان لا يفهم الصينية.

ولاحظنا كثرة الأطفال في المتحف فأخبرونا أنهم من الطلاب وإن طلاب المدارس يسمح لهم بأن يدخلوا للمتحف دون رسم.

## ذهب الصين وذهب الآخرين:

لقد رأيتهم هولوا من أمر هذه المعروضات الذهبية والمذهبة حتى المترجمون كانوا يشيرون إلى بعض القطع باستغراب وأحيانًا بفخر وقد فغرت أفواههم، واتسعت أحداقهم، وعلت الدهشة وجوههم ولكنهم لو كانوا قد رأوا ما رأيت من المخلفات الذهبية والمذهبة التي تركها أناس أقدمون في أماكن أخرى من العالم لما كانوا كذلك.

فأول ما يتبادر إلى الذهن مما تركه الآخرون الموغلون في القدم إن صح التعبير هي الآثار الفرعونية في مصر. ناهيك بمخلفات (توت عنخ أمون)الذهبية التي منها حتى النعال الذهبية .

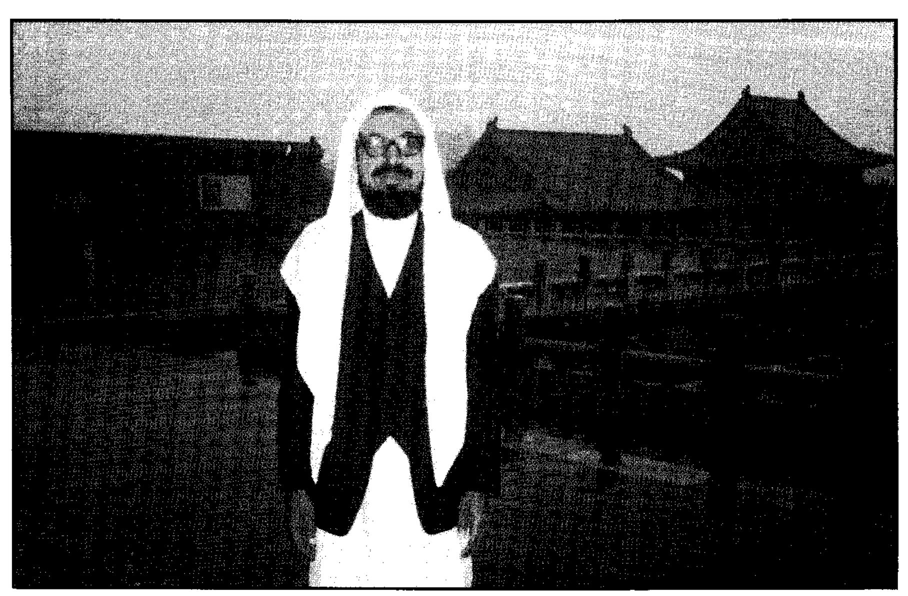
ثم ما رأيته في مدينة (بوغوتا) عاصمة كولومبيا في أمريكا الوسطى حيث أنشأوا متحفًا واحداً أسموه (متحف الذهب) لأن جميع ما فيه من المعروضات هي من الذهب المستخرج من مقابر الهنود الأمريكيين الذين يمكن أن يسموا هنود الأنديز إضافة إلى موطنهم في جبال الأنديز في أمريكا الجنوبية وذلك من باب التمييز مابينهم وبين الهنود الحمر الذين كانوا يسكنون في أمريكا الشمالية وبين هنود الأمازون الذين كانوا ولا يزال بعضهم كذلك يسكنون في غابات الأمازون في البرازيل.

فلقد شاهدت في غرفة واحدة مقادير من الذهب الخالص تزيد بكثير على كل ما في هذا المتحف الصيني من الذهب. ولقد سميت تلك الغرفة (الكنز) وذكرت حديثها مع حديث ذلك المتحف وحديث الرحلة في أمريكا الوسطى في كتاب مطبوع بعنوان: (رحلات إلى أمريكا الوسطى).

وقد أوضحت نشرة بالصينية أمر هذا القصر الضخم وما يحويه بالتفصيل رأينا أن ننشرها هنا للفائدة:

يقع القصر الإمبراطوري الأسبق، المعروف لدى الأجانب باسم «المدينة المحرمة»، خلف برج بوابة (تيان آن من) مباشرة في وسط بكين. وقد أقام فيه أربعة وعشرون إمبراطوراً من اسرتي مينغ وتشينغ، من أواسط القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين: والقصر مفتوح حاليا كمتحف يجذب آلافًا من الزوار يوميا بسبب معماره الفخم وما يجمع من نفائس ثقافية واشياء فنية.

والمباني التي تضم حوالي تسعة آلاف غرفة تعود لأكثر من ٥٦٠ عامًا، وتشكل اضخم واكمل مجمع باق من المعمار الصيني التقليدي. ومنطقة القصر، وهي على شكل مستطيل بمساحتها ٧٢٠ الف متر مربع، تحيط بها الأسوار بعلو ١٠ امتار وقناة مائية عرضها ٥٢م.



في القصر في بكين

وعلى كل ركن من أركان السور الأربعة برج متعدد الطبقات وسطح مضلع مغطى بالقرميد المزجج الأصفر.

ابتدأ بناء القصر في سنة ١٤٠٦ في أثناء عهد الإمبراطور يونغ له، الامبراطور الثالث لأسرة مينغ. كانت نانجينغ هي عاصمة اسرة مينغ الاصلية. وفي اوائل القرن الخامس عشر، اغتصب يونغ له الذي كان مرابطًا على رأس الحامية في بكين، اغتصب العرش من ابن أخيه، واتخذ من بكين عاصمة.

وفي سنة ١٤٠٦، أصدر الأوامر ببناء القصر الذي انكب على بنائه مئة ألف من الصناع ومليون عامل لمدة ١٤ عامًا، وانتهى العمل منه في سنة ١٤٢٠.

يتألف القصر الامبراطوري من القصر الخارجي حيث كان يعقد الأباطرة اللقاءات الرسمية، ومن القصر الداخلي الذي كان بمثابة حي سكني للعائلة الإمبراطورية، وتظهر هذه المجموعة المتناسقة الأجزاء من المباني افضل الخصائص للمعمار الصيني العريق الأسلوب الفخم المهيب، فالبناء عديم الصدوع والشقوق مع التنسيق الدقيق بين المباني مجتمعة ومتفرقة.

بوابة الهاجرة (وو من) هي المدخل الرئيسي للقصر الامبراطوري الأسبق. وبعد أن يعبر المرء هذه البوابة المقنطرة ، وارتفاعها ٨م وسمكها ٣٥م، المضاءة بالكهرباء، يجد نفسه في فناء رحب، ينساب فيه، من الغرب إلى الشرق، مجرى مائي قوسي الشكل، تقطعه خمسة جسور داربزيناتها من رخام ابيض، وعلى الطرف الاقصى من الفناء بوابة الوئام الاعظم (تاي خه من)، يحرسها اسدان نحاسيان يكادان ينطقان بالحياة. وفي داخل هذه البوابة، ثلاثة أروقة على محور واحد: رواق الوئام الاعظم (تاي خه ديان)، ورواق الوئام الأوسط (تشونغ خه ديان) ورواق الوئام الأسفل (باو خه ديان) وهذه الأروقة الثلاثة ترتفع سبعة امتار فوق الأرض على مصاطب من رخام ابيض ثلاثية الطبقات. وتنتظم بالحيز حول قاعدة الدرابزينات الرخامية البيضاء ميازب منقوشة على شكل رؤوس التنانين، -جمع تنين- مشكلة في أيام المطر الغزير مشهداً خلاباً لآلاف من النافورات التنينية الرؤوس ينبجس منها الماء.

رواق الوئام الاعظم مستطيل الشكل ويماثل علو مبنى من تسعة طوابق ومساحته ٢٣٠٠ متر مربع. وهو أكبر صرح خشبي باق في الصين ونموذج رائع لامتزاج الالوان الباهرة التي تميزت بها العمارة الصينية. والتفاوت بينها يبدو خلابًا متناغمًا - الأصفر الفاتح للسطح المقرمد المزجج بالمقابلة مع السماء الزرقاء، والعوارض المطلية طلاء منمقًا، والزخرفة الذهبية السلسلية الأشكال على الواح الأبواب الحمراء والأعمدة القرمزية على المصطبة البيضاء المتوهجة.

ويقوم العرش في وسط الرواق على منصة علوها متران، مزخرفة بنقوش مخرمة. وعلى جانبيه ستة أعمدة تلفها تنانين ذهبية. وفوقه سقف مزخرف برسوم تنانين مطعمة بالذهب تلهو باللآلئ. فمن المفهوم أن اطلق على هذا الرواق اسم «رواق العرش الذهبي». وهنا كانت تقام المراسيم الكبرى، مثل الاحتفال بارتقاء امبراطور جديد عرش الحكم، أو الاحتفال بعيد ميلاد

الإمبراطور، أو اعلان المراسيم الإمبراطورية، وفي مثل هذه المناسبات، كان يحف جانبًا «الطريق الامبراطوري» المؤدي من (تيان آن من) إلى رواق الوئام الأعظم، بالشارات والاعلام والرايات الإمبراطورية. وكان الموظفون الرسميون من مدنيين وعسكريين يركعون صفا فصفًا في الفناء الرحب الفسيح الذي يتسع لحوالي تسعين الف نسمة.

وعندما كان الإمبراطور يرتقي العرش، تدق الصنوج وتقرع الاجراس وتعزف الآلات الموسيقية في شرفة الرواق الخارجية، وينبعث أريج البخور من المباخر البرونزية على شكل الكراكي والسلحفاة والمراجل على المصطبة. والهدف من جو الابهة التي يضفيها المعمار المهيب والطقوس المهيبة أن يبقى رعايا «ابن السماء» كما يلقب الامبراطور في خشوع.

رواق الوئام الاوسط مربع الشكل واصغر مساحة. وكان يتعلم فيه الأباطرة مزاولة المراسيم. وإلى الخلف منه رواق الوئام الأسفل حيث كانت تقام المآدب والامتحانات الامبراطورية. وكان الامبراطور يولم لوزرائه وجنرالاته من الرتب السامية وكذلك نبلاء الاقليات القومية احتفالاً بـ«منجزات» الحكام الإقطاعيين، في رأس السنة القمرية من كل عام .

واما فيما يتعلق بالامتحانات الامبراطورية، فكان ينتقى المتقدمون من بين العلماء في عموم البلاد ، حيث يدبجون المقالات اجابة على أسئلة الامبراطور التي معظمها يختص بالاساليب والوسائل الهادفة إلى تعزيز الحكم الامبراطوري. وإذا ما انشرحت صدور الحكام لاجابات المتقدمين خلعت عليهم درجات مختلفة من الاستاذية ومن ثم يبدأون حياتهم الرسمية.

وإلى الخلف من رواق الوئام الاوسط قطعة نادرة من النقوش البارزة تجذب أنظار الزوار، وهي عبارة عن بلاطة حجرية منقوش عليها رسوم السحاب والتنانين، موضوعة بين مجموعتين من الدرجات الرخامية، وطول البلاطة

الحجرية ١٦,٥٧م وعرضها ٣,٠٧م وسمكها ١,٧م، وتزن أكثر من ٢٠٠ طن. وكانت تقتلع مثل هذه الألواح الحجرية من الجبال على بعد عشرات الكيلومترات جنوب غربي بكين، وتجلب إلى موقع البناء للقصر في فصل الشتاء حين كانت تحفر الآبار على مسافة كل نصف كيلو متر على طول الطريق، ويسحب منها الماء ليصب على الطرق حتى يتجمد. وكانت تنقل الالواح الحجرية على قوارب مسطحة القاع وتجر على الجليد.

الاروقة الكبرى بالقصر الخارجي تتممها على الجانبين كثير من الأروقة الصغرى والابراج، وكلها في تنسيق متقن، مشكلة طائفة معمارية متميزة.

يصل المرء بعد عبور رواق الوئام إلى بوابة الصفاء السماوي المهيبة، وخلفها القصر الداخلي حيث عاش اباطرة مينغ وتشينغ وادارول نشاطاتهم الحكومية اليومية. وكانت مخادع الامبراطورات هنا أيضًا، اضافة إلى رواق الصفاء السماوي (تشيان تشينغ قونغ) ورواق الالتئام (جياو تاي ديان) ورواق السكينة الارضية (كون نينغ قونغ)، وهي مصطفة في نظام مرتب على طول المحور الاوسط. وكان الرواق الأول والثالث لمعيشة الإمبراطور والامبراطورة بينما كان الرواق الثاني مستودعًا لخمسة وعشرين خاتمًا يشميا معروضة حاليًا حسب ترتيبها الاصلي.

ويحف بجانبي القصر الداخلي ١٢ فناء، ستة على كل جانب. ولا تزال الاروقة في هذه الافنية تعج بأثاث فاخر من اسرتي مينغ وتشينغ، منقوش نقشًا فريداً أو مطعم بحجارة كريمة. وفي خضم هذا الترف البهيج عاشت مئات من الحظايا الامبراطورية وآلاف من الخدم والحشم.

رواق التهذيب العقلي (يانغ شين ديان) في القصر الداخلي يستحق انتباهًا خاصًا. فهنا عقد اباطرة تشينغ بعد سنة ١٧٢٣ مقابلات خاصة، وتلوا المذكرات والتقارير وأصدروا الاوامر. وهنا عرش في الغرفة الوسطى، وعرشان

في المقصورة الشرقية، واحد وراء الآخر. وكان الامبراطور يجلس على العرش في الواجهة باديًا للعيان، بينما كانت الامبراطورة الأم تسي شي تجلس إلى الخلف وراء الستار. ذلك لأنه ليس من المفروض أن تظهر النساء جهاراً. في واقع الامر، حكمت تسي شي بيد من حديد من عام ١٨٦١ إلى الأيام الاخيرة من الملكية في الصين.

وقد اتخذت كل القرارات الهامة في هذا المكان، ومنها مراسيم امبراطورية خَوَّلت توقيع المعاهدات غير المتكافئة التي فرضتها الدول الاستعمارية على الصين، مما حول الصين إلى بلد شبه مستعمر.

وكانت الحراسة على القصر برمته مكثفة، ومع ذلك تمكن «المتمردون» و«القتلة» من اقتحامه. وكانت أشد عاصفة تعرض لها القصر على يد «المتمردين» الفلاحين بقيادة لي تسي تشنغ، وكانت عاقبتها الاطاحة بأسرة مينغ. ولا يزال رواق الروح العسكرية (وو ينغ ديان) حيث أسس لي تسي تشنغ أول الامر بلاطًا ملكيًا.

ولم تعد «المدينة المحرمة» ممنوعة على عامة الشعب. فمتحف القصر الإمبراطوري القديم، كنز للآثار الثقافية حاليًا، مع أنه ليس قليلاً ما ضاع من النفائس التي جمعتها الأسر الملكية خلال خمسمائة عام من حكمها بسبب النيران، واتون الحروب، والسرقات والتخريب المتعمد. وكان آخر إمبراطور صيني الا وهو بو يي بقى في القصر الداخلي بعد الاطاحة بأسرة تشينغ في سنة ١٩١١.

وما بقى من الأثريات الآن معروض في عدة قاعات. وعلاوة على المعرض العام، هناك معروضات اخرى كالرسوم، والبرونزيات، والبورسلين والخزفيات، والمجوهرات والاحجار الكريمة، والاعمال الفنية والحرفية.

وتعرض قاعة الرسوم قطعًا فنية تعود إلى اسرتي سونغ ومينغ واوائل اسرة تشينغ. والجدير بالذكر ان هنا رسمًا طبيعيًا كلاسيكيًا تحت عنوان «نزهة ربيعية» من عمل الفنان تشان تسي تيشان مر عليه اكثر من ١٤٠٠ عام. وثمة معروضات جذابة في هذه القاعة من اعمال مشاهير الخطاطين منذ القرن الثالث الميلادي.

ويحتفظ متحف القصر ببرونزيات لكثير من الاسر الملكية، واروع انواع البورسلين وكذلك ما لا يحصى من الحلي الذهبية والفضية واليشبية والمجوهرات والاحجار الكريمة والادوات الملكية. ولم يعد القصر يفتقر إلى هذه الادوات منذ أن ولدت الورشة الفنية الحرفية الخاصة به حيث تجمع مشاهير الصناع من عموم انحاء الوطن. وعلاوة على ذلك، للقصر مطبعة ومكتبة خاصتان به.

ولقد رصدت الحكومة، منذ عام ١٩٤٩، مبالغ طائلة لترميم عمائر القصر الإمبراطوري الاسبق والحفاظ عليه. وعهد إلى الاختصاصيين بدراسة التصميم والمواد وتقنية البناء التي جرت في اثناء تشييده، وتلك التي استخدمت في كل اعمال الترميم ومنها النقوش والرسوم.

ان هذا القصر في الوقت الحالي فيه من الجاذبية ما يمتع زواره الذين يقاربون العشرة آلاف شخص يوميًا.

## في بكين القديمة:

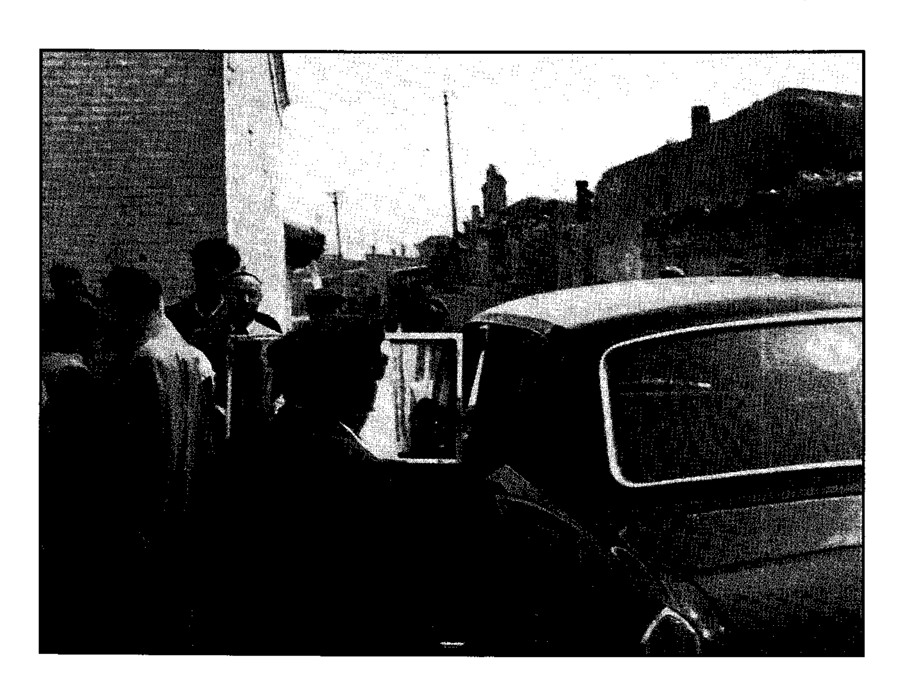
لم يكن الغرض من ذلك ان نزور الجزء القديم من مدينة بكين، وإن كنا نود ذلك غير أنه لم يوضع في البرنامج فمضيفونا يريدون أن نرى ما يرون أنه يهمنا أكثر من غيره وهذا صحيح ولكنهم أيضًا لا يريدون لنا أن نرى ما لا يحبون أن نراه وهذا من حقهم بطبيعة الحال أن يفعلوه، فهم المضيفون ونحن الضيوف و(الضيف في حكم المضيف) كما يقول المثل العامي.

غير أننا مررنا بجزء قديم من مدينة بكين في الطريق إلى مسجد قديم كان حبيسًا بأيدي الشيوعيين المتعصبين من أنصار عصابة الأربعة، ومن الذين قاموا بالثورة الحاقدة التي أسموها الثورة الثقافية.

وقد غلط السائق أو الدليل الذي كان في السيارة الأولى التي تقود الموكب فكان غلطه من الغلط بالصواب إن صح التعبير على حد قول الشاعر.

ياعجبًا من صالح كيف لا يغلط فينا مرة بالصواب

فدخل شارعًا ضيقًا عرف أنه لا يستطيع النفاذ منه فدار ودار معه الموكب. وكانت هذه فرصة لرؤية جزء من المدينة القديمة لا رؤية مرور عابر ولكن رؤية سالك متردد.



في الحي القديم من بكين

أكثر البيوت في هذا الجزء القديم من المدينة مبني بالطين الا أن اساساته من الآجر. وواجهاته مزينة بالجص وقد يكون مزينًا كله بطلاء جصي أو نحوه مثلما كنا نفعل نحن في السابق قبل الرخاء الاقتصادي الأخير في بلادنا.

وأكثر بيوته من طابق واحد، وهي مهملة فلا أثر للعناية فيها أبداً من تعهد بطلائها أو الترميم أو حتى من الاهتمام بالشوارع بل إنك تكاد تقول إذا ما رأيته إنه لم يتغير عما كان عليه في القديم الا انه ازداد سوءاً بسبب مرور الزمن عليه لأن أهله الأولين كانوا يعتنون به على اعتبار انه شيء نفيس لا يملكون غيره ولا تنصرف عنايتهم إلا إليه.

أما الحكومة الاشتراكية الحاضرة فإنها قد أبقت على البيوت الصغيرة فيه التي يملكها أهلها عليهم فيها إذا كان البيت لا يزيد على حاجة مالكه، ولكنها في مقابل ذلك أهملته وصرفت همها كله للاجزاء الجديدة أو التي يراها السائحون الأجانب أو للأبنية الضخمة التي تقيمها لموظفيها وعمالها من شقق ذات غرف تؤجر عليهم حسب دخولهم وحسب عدد أفراد اسرهم.

ولقد كنا نقول: حسنًا فعلت لو أنها أبقت على القديم ولكنها حسنت مظهره بإبقائه على ما كان عليه بأن قاومت فعل الزمن فيه واعتنت بأزقته ومرافقه كما فعلت الحكومة المغربية في إبقائها على الجزء القديم من مدينة فاس على ما هو عليه حتى إنه لا تدخله السيارات، ولكنها حرصت على توفير المرافق اللازمة للحياة فيه طبقًا لما يحتاجه أهله، ولما يحفظه بحالته القديمة ذات الأهمية الأثرية التاريخية.

ولقد تخيلت حينما أمعنت سيارتنا فيه وهي لا تكاد تمر من شوارعه أننا نعيش في قرية من القرى لا في عاصمة دولة من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي وأكثر دول العالم سكانًا ومن الدول التي دخلت نادي الذرة كما يقال.

ولقد حاولت أن أصور بعض أجزائه غير أن الحالة النفسية التي عليها مرافقونا وسائقو سيارتنا والمطر وما معه من نقص في الإضاءة بسبب إظلام السحاب منعني من ذلك.

وخشيت من أن يراني أحد أحاول التصوير لو تمكنت من ذلك فتكون جريرة ذلك ليست عليَّ وإنما على الدليل المرافق الذي ضل الطريق.

## مسجد خواتشي:

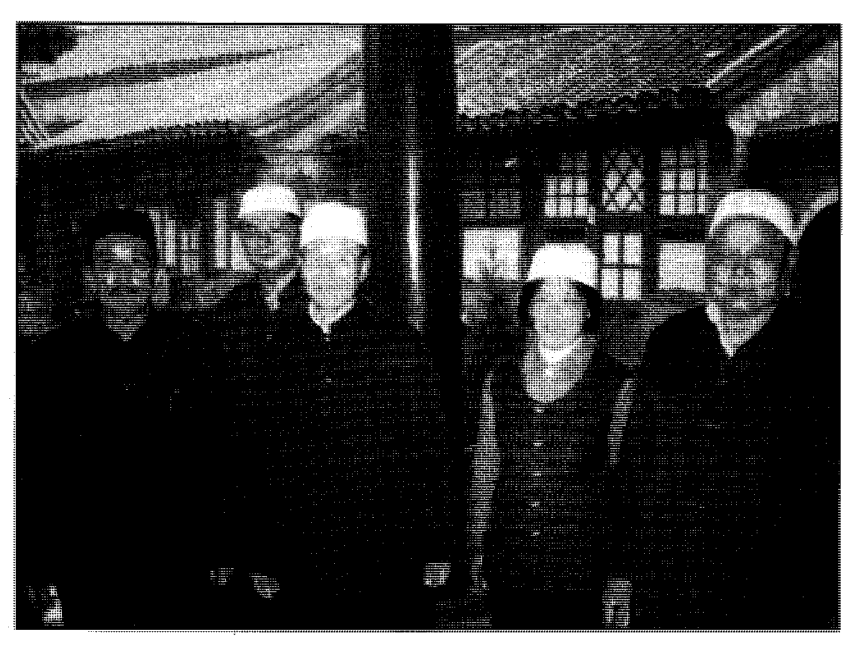
ويقع على شارع (خواتشي) ولذلك نسب إليه من حي جونغ دينغ جو وهو من أحياء بكين القديمة.

عندما وقفت السيارات في الشارع الذي يدخل منه إلى المسجد رأينا لوحة على المدخل من قبل الشارع فيها الآية الكريمة (**ومن دخله كان آمنًا**).

ووجدنا طائفة قليلة العدد من الإخوة المسلمين كانوا في انتظارنا. ومن هذا المدخل سرنا في ممر تابع للمسجد بعضه مسقوف أفضى بنا إلى المسجد الذي يحيط بفنائه الخارجي من الجهات الثلاث الشرقية والجنوبية والشمالية أي غير جهة القبلة التي فيها المصلى الرئيسي غرف تفتح إلى الفناء المكشوف وهي متراصة شاملة للجهات الثلاث كلها كما هي العادة في أكثر المساجد القديمة في الصين القديمة كما شاهدناها بعد ذلك.

ويشغل هذه الغرف جماعة من القائمين على المسجد مثل الإمام الذي يسكن فيه والمؤذن وبعض الخدم ومنهم امرأة رأيناها قد لبست (طاقية) بيضاء وهي تنظف الفناء استعداداً لمجيء الضيوف. فهي بذلك تلبس كما يلبس سائر الرجال من المسلمين رأيناهم كلهم قد وضعوا على رءوسهم الطواقي -القلانس- البيض، ولبس (الطاقية) أصبح شعاراً للمسلمين في كل أنحاء الصين على اختلاف في لونها ولكن اللون الأغلب فيها هو البياض.

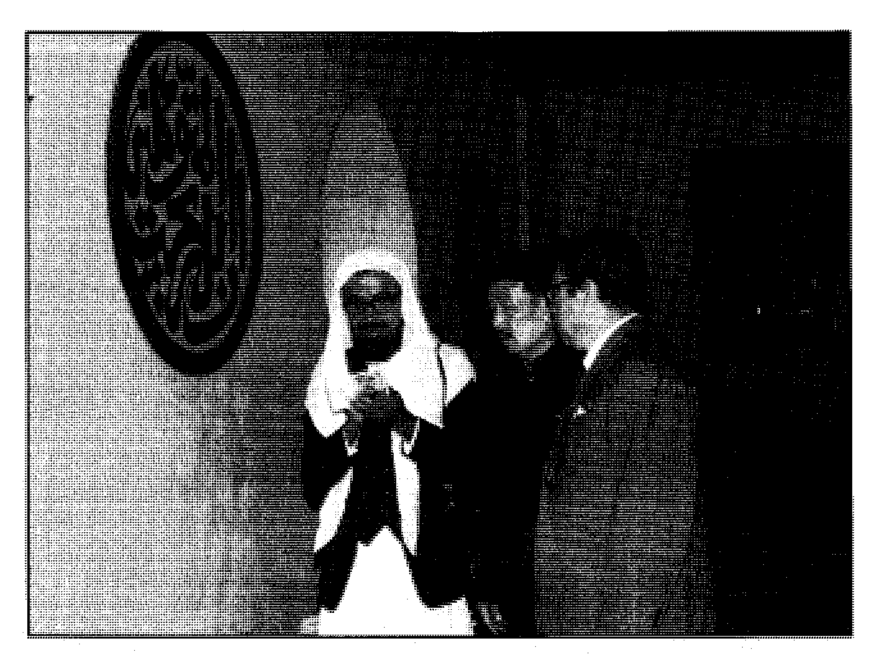
كان على رأس المستقبلين الأخ إمام المسجد (شعيب ما خاو تشن) الذي قادنا إلى غرفة جلوس من الغرف المحيطة بالمسجد وأخذ يقص القصة المؤثرة لهذا البيت الكريم من بيوت الله.



مسلمون في جامع خواتشي ومنهم أمراة مسلمة
على رأسها الطاقية البيضاء

قال الإمام - ونفر من إخواننا المسلمين بني قومه يسمعون:

إن تاريخ بناء هذا المسجد يرجع إلى أكثر من خمسمائة سنة وقد ناله ما نال أكثر المساجد والمؤسسات من أضرار خلال الثورة الثقافية وبقي مغلقًا إلى ما بعد سقوط عصابة الأربعة ولكن إعادة افتتاحه تأخرت إلى ما قبل سنة بل أقل من سنة من الآن حيث فتح للمصلين في أواخر عام ١٩٨٣م.



المؤلف داخل مسجد خواتشي في بكين

ويحتاج إلى ترميم وإصلاح بعد غلقه ونزعه من أيدي المسلمين فترة طويلة نسبيًا. وقال: إن عدد المصلين في الوقت الحاضر يبلغ الثلاثمائة في يوم الجمعة وفي الأوقات الأخرى يكون مابين العشرين إلى ثلاثين. والمصلون في الفجر والظهر أكثر منهم في المغرب والعشاء.

وسألناه عن راتبه فقال: إنه يبلغ تسعين ينًا وإنه يدفع إليه من جمعية إسلامية محلية لا تعترف بها الحكومة. كما أنه قد يتلقى هدايا من المسلمين لانه يؤم في الصلاة، ويعلم الكبار بعد العصر.

وقال عن نفسه: إنه قد تعلم في المساجد في الصين، وذلك أنه مسن يبلغ سنه مابين الستين إلى السبعين.

ثم قمنا بجولة لتفقد المسجد فرأينا بعضه مقامًا من خشب قوي قالوا: يقال له خشب الطاووس لأن الطاووس يقع عليه، وقال بعضهم -ولعل ذلك من باب النكتة- إنه لا يقع على هذا الخشب شيء من الطير غير الطاووس.

وهذا ليس بمهم وإنما المهم ماذكروه من أن هذا المسجد قد عمره الامبراطور (مونغ) للمسلمين لأن ملوك الصين كانوا كعامة الناس هنا يحترمون المسلمين.

## جوارب ومقاعد:

ولفت نظرنا مما رأيناه في المسجد أشياء منها أننا رأينا كومة من جوارب الصوف السميك العالية مبطنة بالفرو موضوعة في المسجد فسألناهم عن الغرض من وجودها.

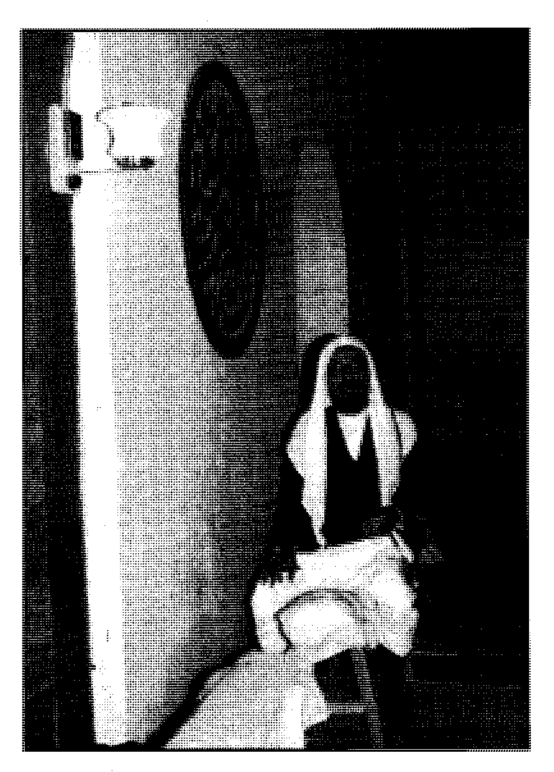
فأجابوا: أن الشتاء بارد عندهم، وبأن المسجد غير دفيء لذلك وضعوا هذه لحاجة المصلين إليها فيضعها من يدخل المسجد في قدميه حيث تمتد إلى ساقيه فتدفئه.

والثاني: كراس موضوعة في جانب من الصف في مؤخرة المسجد غريبة يقرب شكلها من ظهر الدابة التي تركب، قالوا إنها: للعاجزين الذين لا يستطيعون السجود أو الجلوس براحة في الصف.

وهذان الأمران يوحيان بأن معظم المصلين من المسنين وهذا أمر صحيح بالنسبة لمن رأيناهم في المسجد عندما دخلناه، فأكثرهم من المسنين.

والأمر الثالث مما يلفت النظر فيه لا يختص بالمسنين أو الشبان وهو كتابة آيات كريمة كلها فيها ذكر الذين يحبهم الله قد كتبت على هيئة لوحات مستديرة. ومنها: (إن الله يحب التوابين) و(إن الله يحب المحسنين) و(إن الله يحب المتوكلين) و(والله يحب المتقين).

وفي المسجد قسم مفصول تصلي فيه النساء.



المؤلف على أحد المقاعد في جامع خواتشي وعلى الحائط لوحة
(إن الله يحب المتوكلين)

وسقف المسجد من الخشب تحمله خشبة ضخمة معترضة قالوا إنها من خشب الطاووس القوي، وفي السقف قبة صينية الطراز من الخشب أيضًا محاطة دون أعلاها بنوافذ من الزجاج حتى تسمح للنور بدخول المسجد لأنه ليست في حوائطه نوافذ.

احتجنا إلى الوضوء للصلاة فتوضأنا من مكان الوضوء عندهم فوجدناه جيد التنظيم فيه أباريق الوضوء من المعدن النظيف.

## إنهم قوم مجاهدون:

وعجبت من هؤلاء الأخوة الذين هم واقعون تحت طغيان حكم شيوعي ملحد أنكر عليهم حتى حرمة العبادة في المسجد في سنوات غير بعيدة وصادر منهم مسجدهم هذا ولم يأذن بإفتتاحه الا منذ أقل من سنة وهم في ضيق من المعيشة مثل غيرهم من أبناء الشعب بحيث أن دخولهم المالية محدودة مضيق عليهم في أرزاقهم وبعضهم قد صودرت أمواله في أول عهد الشيوعية حتى لم يبقوا منهم ذا يسار. ومع ذلك نجدهم يجمعون المال لراتب الإمام وفي إصلاح المسجد، بل ويسعون إلى جمع المال لإصلاح في المسجد أكثر.

ولقد تأثرت حين رأيتهم وضعوا في مدخل المسجد ورقة كبيرة مكتوبة بالصينية قال إخواننا المرافقون: إنها تبين التبرعات التي يتبرع بها المسلمون للمسجد كما وضعوا صندوقًا للتبرعات في المسجد لمن يريد أن يضع فيه مالا يود أن يذكر اسمه فيه.

وقد عزمنا على تخصيص مساعدة لهم من رابطة العالم الإسلامي سوف ترسل إليهم ضمن ماسيرسل من التبرعات إلى مساجد الصين وإلى المشروعات الإسلامية الأخرى هناك بإذن الله.

هذا وقد كان الحاضرون في المسجد حوالي الثمانية وامرأة واحدة قد وضعت على رأسها طاقية بيضاء مثل الرجال الذين كانوا كلهم بدون استثناء عليهم (الطواقي) أي القلانس البيض.

ومن هذا المسجد الكريم توجهنا إلى تناول الغداء في (مطعم القوميات) الذي تغدينا فيه بالأمس وهو كسائر المطاعم ملك للحكومة التي هي وحدها ذات رأس المال وباقي الناس أجراء عندها أو فقراء سواء كانوا من العاملين عندها أم لم يكونوا.

إلا أن هؤلاء أكثرهم غنى هم الفلاحون الأكثر فقراً من غيرهم في البلدان الرأسمالية لأنهم من ذوي الملكيات الزراعية الصغيرة جداً.

ولا توجد مطاعم لا تملكها الحكومة الا الصغيرة جداً التي يملكها أشخاص ولا تستوعب الا أعداداً قليلة من الناس. وتكون في أمكنة ضيقة.

ومما لاحظناه في الوجبات التي تناولناها عندهم حتى الآن أنها لا يقدم فيها في نهاية الطعام حلوى ولا فاكهة وهذا خلاف ما اعتاد عليه الناس في بلادنا وفي أكثر بلدان العالم من تقديم ذلك في آخر الوجبات.

وذكروا لنا عن تاريخ المسجد أنه قد بني قبل حوالي (٥٠٠) سنة أشرف على بنائه قائد من قواد الجيش الصيني الكبار اسمه (جانغ يو جون) وذلك خلال حكم أسرة (مينغ).

## مع نائب رئيس المجلس الاستشاري:

اسمه ( إبراهيم يانغ تشن رين) وهو مسلم أو لنقل بالمعنى الأصح والأدق: إن أهله من المسلمين فهو رجل دولة والدولة شيوعية ملحدة ولم يكن يتظاهر بالإلتزام بالدين، والله أعلم بما يكنه ضميره من ذلك.

وهو رجل ذو مقام سياسي كبير إذْ كان يشغل وظيفة نائب رئيس حكومة الصين الشعبية أي الحكومة المركزية. واليوم وظيفته النائب الأول لرئيس المجلس الإستشاري الشعبي الصيني وقيل لي: إن رئيس المجلس له خمسة وعشرون نائبًا. هذا هو الأول قبلهم.

ويبلغ أعضاء المجلس المذكور ألفي عضو.

ذهبنا إليه في مكتبه في (قاعة الشعب) في قلب مدينة بكين الفاخر فاستقبلنا عند المدخل الداخلي وبعد السلام الذي كان مصورو التلفزة يصورونه ذهبنا إلى قاعة متوسطة السعة ذات أثاث متوسط أيضًا. وبدا الرجل في

شكل مخالف للشكل الذي عليه أكثر الصينيين غير المسلمين ولا عجب في ذلك فهو من قومية (خوي) التي يراد بها في الصين من يكونون من المسلمين القدماء ويزعمون أنهم من نسل العرب أو الترك أو الفرس فهو بالفعل يشبه العرب أو الهنود البنجابيين، وقالوا: إنه أيضًا وزير لشئون الأقليات في الدولة.

فرحب ترحيبًا متحفظًا في أول الأمر. ثم قال: نحن وأنتم من البلدان النامية ثم قال: لقد جئتم من بلاد بعيدة، وعلى قدومكم جاء المطر بعد جفاف طويل وفرحنا به جميعًا إلا أن المزارعين والفلاحين هم أكثر فرحًا به لأنه يفيد المزروعات. وقال: إنه من عادتي أن أتعشى بقولاً وخضروات ولكنني الليلة سأتعشى بلحم الضأن فرحًا بقدومكم وبسببه.

وقد قال لي الأخوة المرافقون: إن العشاء بلحم الضأن يكون في المناسبات السعيدة عند المسلمين لأنهم يأكلونه في الأعياد والأفراح خاصة، فهو يريد أن يقول: إن مجيئكم من المناسبات السعيدة التي تجعل المرء كأنه في يوم العيد. ثم قال: إننا نرحب بتدعيم العلاقات ما بين الصين والبلدان العربية.وإننا نرجو أن تزداد توثقًا وقوة، وقال: يقول أديب صيني: إن اعظم الفرح هو فرح الصديق بصديقه القادم من بلاد بعيدة.



نائب رئيس المجلس الاستشاري(يانغ تشن رين) في مكتبه بقاعة الشعب على يمينه المؤلف فالاستاذ محمد شاه حبيب الله وإلى الخلف احدى الصحفيات والمترجم.

وقال: إن زيارتكم هذه أفرحتنا ولذا أتمنى أن تزورونا مرة ثانية ليزداد فرحنا.

ثم قال: إن العلاقات ما بين العرب والصين قديمة وإن مدن (زانتو) و(كانتون) تدل على ذلك، ونحن نسعى في إبرازها، حتى أنسابنا نحن ندرسها إذْ ربما يكون البعض يرجع نسبه إلى العرب.

وقد رددت على كلامه بكلمة شكرته فيها على الترحيب بنا وقلت له: إن ذلك يذكرنا بالترحيب الذي كان يلقاه التجار والزوار من البلاد العربية إلى الصين في قديم الزمان. وهناك أشياء كثيرة تدل على العلاقات بين العرب والصين مثل تسمية الخزف بالصيني ولو كان مصنوعًا في أوربا أو البلاد العربية ومثل الصحن الذي تقدم عليه الأطعمة نسميه (صينية) ولو كان مصنوعًا في بلادنا.

بل إنه روي في الحديث: (اطلبوا العلم ولو في الصين)، وهذا قد يشير إلى أن الصين كان من المعروف أن فيها علمًا يرحل إليه.

وقلت له: إننا مثلكم نتمنى أن تزداد العلاقات توثقًا بين الشعب الصيني والعربي، وقلت: ونحن من رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وجئنا لهدف إسلامي نبيل ألا وهو بحث التعاون ما بين الرابطة وبين المسلمين في بلاد الصين ونرجو أن يسهم ذلك في تقوية أواصر الصداقة بين الشعب الصيني والشعوب الإسلامية كلها التي يشترك ممثلون عنها في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة والمجالس الأخرى في الرابطة وقلت له: إنه فيما يتعلق بالبعد والقرب الذي ذكره عن الأديب الصيني فإنه يوجد عندنا قول أديب عربي في شعره:

ما البعد والقرب إلا ... ما كان بين القلوب

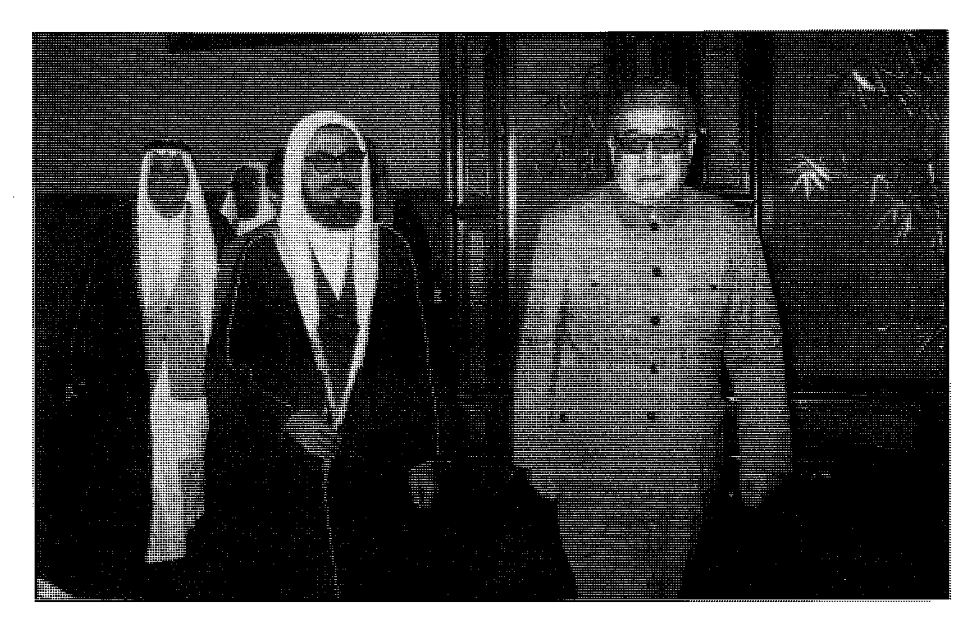


يانغ تشن رين النائب الأول لرئيس الوزراء
في حكومة الصين الشعبية يتسلم هدية من المؤلف في مكتبه بقاعة الشعب

وكان المترجم هو الأستاذ/ لقمان ما شان لي الذي صار مترجمًا ملازمًا لنا كما حضرته صحفية أو من الإذاعة لا أدري ولكنها كانت تكتب كل ما يقال، وصورت المقابلة في التلفزة ثم بثت في مساء هذا اليوم ورأيناها في التلفاز.

وقدم أثناء المقابلة الشاي الصيني الذي يوضع في كوب سميك من (الصيني) عليه غطاء ثقيل ثم يسكب عليه الماء الحار ويترك قليلاً ثم يشرب ولا يزال الشاي في قاع الكوب لذلك يزيدون عليه من الماء الحار كلما نقص الكوب من دون أن تزاد أوراق الشاي وذلك حتى يتركه الضيف وكأنه لم ينقص من كثرة ما يصب عليه من الماء الحار.

وفي نهاية اللقاء كانت حفاوته بضيوفه أكثر إذْ صحبنا إلى باب المصعد وذلك بعد أن طلب منا أخذ صورة تذكارية فالتقط المصورون عدة صور.



النائب الأول لرئيس الوزراء يودع وفد الرابطة

## في مخزن الصداقة:

كانت الفقرة التالية لزيارة نائب رئيس المجلس الاستشاري للشعب الصيني هي زيارة (مخزن الصداقة) وهو متجر حكومي خرجنا إليه من قاعة الشعب وكان المطر لا يزال يهطل وإن كان هطوله يختلف قلة وكثرة الا أنه كثير على وجه العموم.

فسار الموكب المؤلف من أربع سيارات غير بعيد من ذلك المكان حتى وقف عند متجر واسع كان القوم يشيدون به وبما يحويه من بضائع قالوا إنها جيدة ورخيصة.

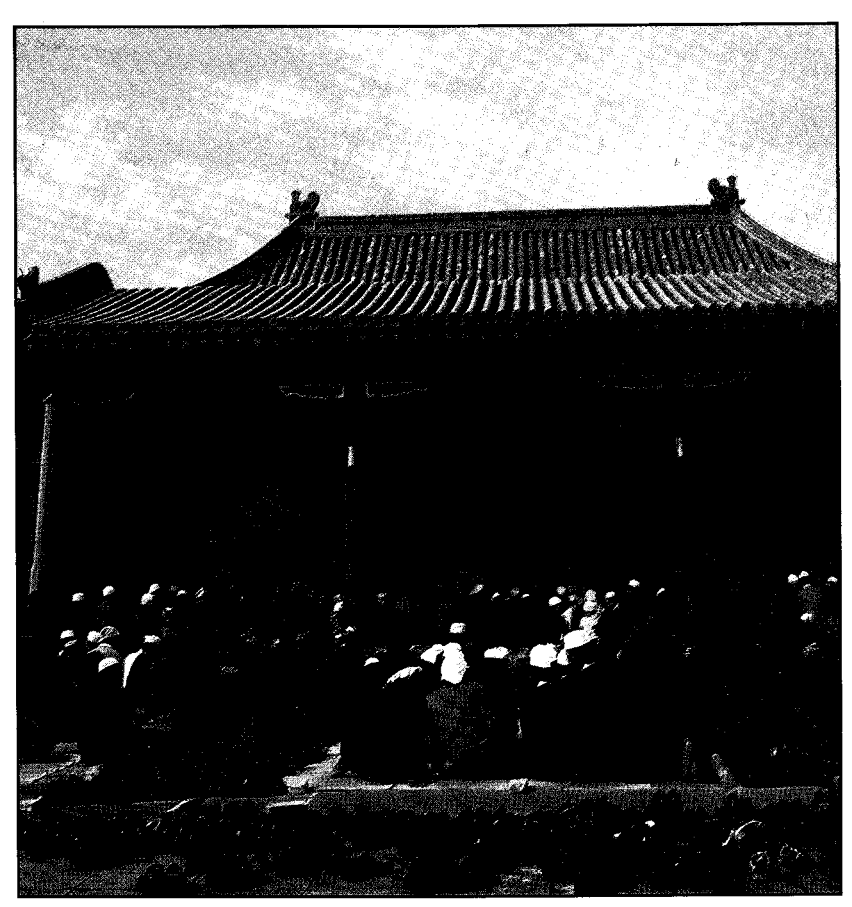
## الصداقة بالعملة الصعبة:

ليس غريبًا أن يكون لحكومة من الحكومات أو حتى هيئة من الهيئات مخزن أو مخازن لبيع البضائع بما تشاءه من عملة محلية أو عالمية، ولكن الغريب أن تشترط على من يشتري من هذا المحل أن يدفع ما يشتريه منه بالعملة الصعبة التي أظهرها، بل أشهرها هو الدولار الأمريكي واكثر المشتريات به، ثم تزعم تلك الحكومة أو الهيئة أنها فتحت ذلك المخزن لأجل الصداقة، وأنها تبيع ما فيه بالدولارات من أجل الصداقة! فهي إذا تكون صداقة لمن يملكون دولارات فقط أما من لا يستطيعون أن يملكوا الدولارات فإنه لا صداقة لهم. بل لا بيع لهم.

ولذلك لا يشتري من هذا المتجر إلا الأجانب الذين يحملون عملة صعبة كما قلت. ولم نر فيه شيئًا يستحق أن يشترى إلا حريراً من الحرير الطبيعي اشتريت منه لأهل بيتي واشتري بعض الإخوة أدوية من أعشاب الصين المشهورة بتقوية الجسم.

## في جامع بكين:

هكذا يسمونه وإذا أطلق هذا الاسم انصرف إليه لأنه هو الجامع الوحيد في بكين الذي لم يغلق إبان الثورة الثقافية، وتسلط من يسمون بعصابة الأربعة. ويقال: إنهم أبقوا عليه بتدخل من رئيس الوزراء السابق (شو ان لاي) وذلك من باب الدعاية أمام سفراء الدول الإسلامية الذين يعملون في الصين فكان بعضهم يصلي فيه الجمعة وكان سائرهم يصلون فيه صلاة العيد.

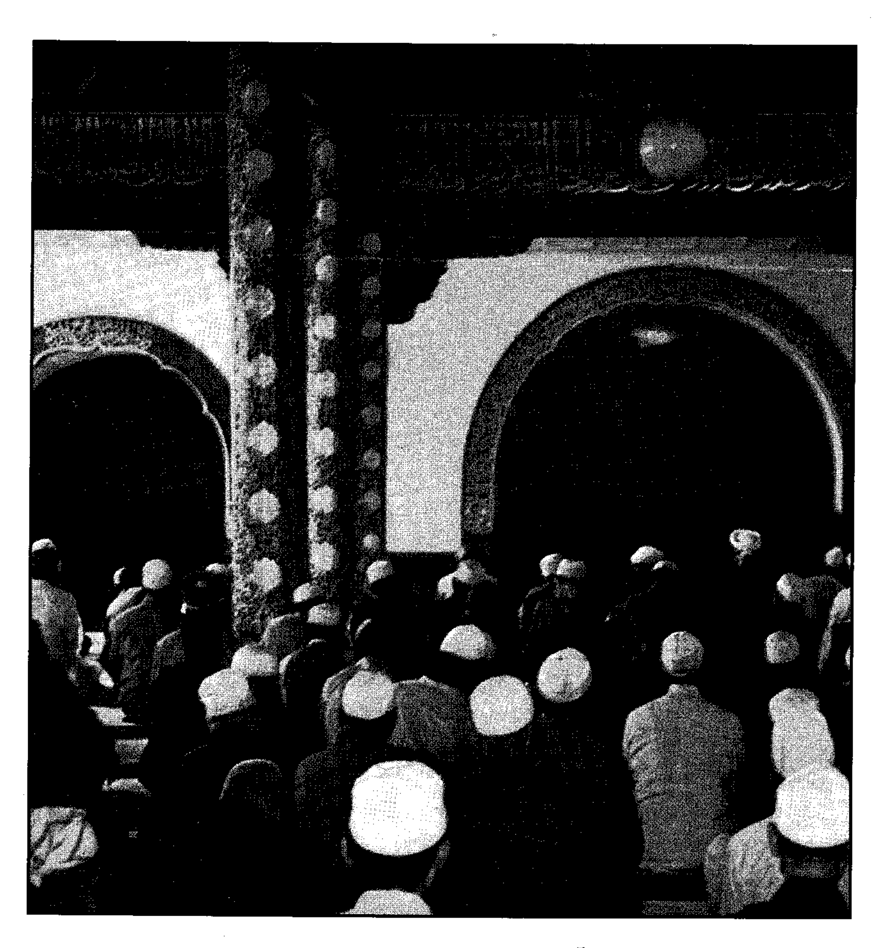


المسلمون الصينيون والاجانب أثناء صلاة العيد في جامع دونغ سي

واسمه مسجد (دونغ سي) بمعنى المسجد الشرقي وقد سمي بهذا الاسم لوقوعه على مقربة من أقواس تسمى (دونغ سي باياو) أي الأقواس الشرقية الأربعة.

ويقع في حي (دونغ سي) أي: الحي الشرقي من مدينة بكين القديمة.

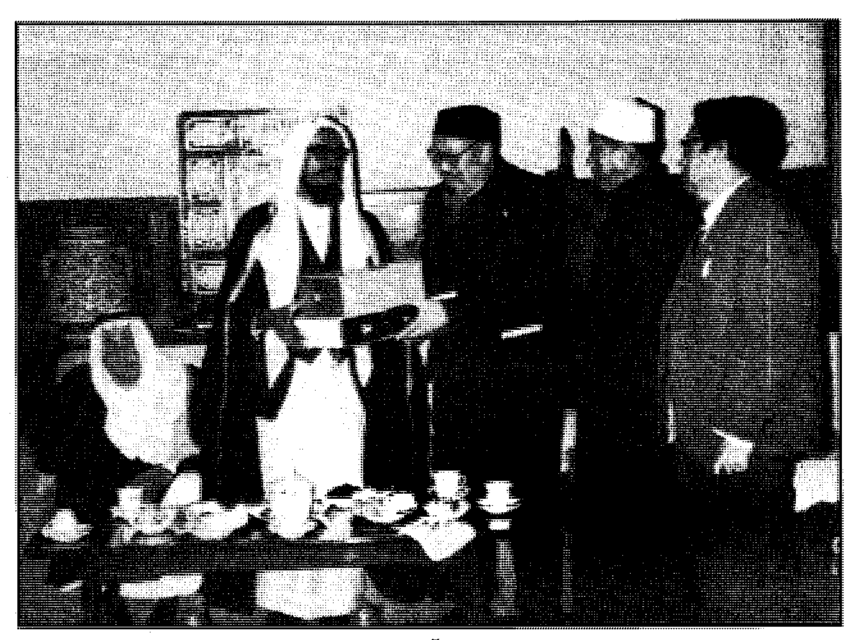
استقبلنا في المسجد إمامه الشيخ صالح آن شي وي والشيخ هلال الدين صن قوانغ ان إمام آخر فيه أو مساعد الإمام.



الآيات القرآنية والزخرفة المحلية في جامع دونغ سي

وكان الجلوس أول الأمر في غرفة استقبال من الأبنية المحيطة بالمسجد ما عدا جهته الغربية التي هي تابعة له وفقًا للعادة الصينية في بناء المساجد. وحضر الجلسة عدد من طلبة العلم الذين لبسوا زيًا خاصًا وهم من الشبان ويتراوح عددهم بين عشرة وخمسة عشر شخصًا.

وقد القى الشيخ صالح كلمة ترحيب وتعريف بالمسجد رددت عليه بكلمة مناسبة.



رئيس الوفد يقدم هدية إلى الحاج صالح آن شي وي امام جامع دونغ سي في بكين.
في قاعة الاجتماعات بالمسجد

وذلك بينما كانوا قد أحضروا الشاي الصيني والحلوى والفاكهة المجففة.

وقد أخبروني أن هذا المسجد هو الوحيد الذي بقى مفتوحًا في بكين إبان الثورة الثقافية. وقالوا: إنه يؤدي صلاة الجمعة فيه حوالي خمسمائة من الصينيين والأجانب.

ثم أدينا صلاة العصر معهم في المسجد وحضر حوالي أربعين شخصًا وربما كان اجتمعوا من أجلنا لأن الشيخ صالح. إمام المسجد قال: إن المصلين في الفجر والعشاء أكثر من المصلين في النهار الذين يكونون مرتبطين فيه بأعمالهم ويشق عليهم أن يأتوا من بعيد إلى المسجد.

وبعد الصلاة ألقيت فيهم كلمة بينت فيها سبب حضورنا إلى الصين، وأوضحت فضل الدين الإسلامي وحاجة الناس إليه، وبخاصة في هذا العصر الذي يدعو التقدم العلمي فيه إلى الإيمان.

ثم انتقلنا إلى التجول في المسجد الذي هو على الطراز التقليدي القديم المبني من الخشب السميك القوي، والمطلي بطلاء فاخر حتى تبدو أعمدته الخشبية وكأنها أعمدة من حجارة ملساء لولا الصباغ.

ثم أرونا غرفة فيها مخطوطات أكثرها بالعربية ومصاحف كريمة مخطوطة ولكن أغلبها من أوقات متأخرة ثم مكتبة صغيرة فيها كتب مطبوعة صينية وعربية ومنها كتاب (أسماء الله الحسنى) بالصينية والعربية.

وعرفنا منهم أن هذا المسجد بني عام ١٤٤٧م على يد قائد عسكري كبير من المسلمين اسمه (تشن يو) وأن هناك صندوقًا للتبرعات لإعماره وإبقائه على حالته الزاهية من المظهر الصيني المعتنى به فأسقطنا في الصندوق خمسمائة دولار أمريكي تبرعًا من الوفد له.

## حفلة شئوون الأديان:

قبل حلول الساعة السادسة بقليل غادرنا جامع بكين إلى قاعة الشعب للقاء رئيس إدارة شئون الأديان وهي إدارة حكومية لها رئيس في مرتبة وزير ومررنا بشارع مهم اسمه (نان خو ين) وإن كان من الشوارع القديمة ولاحظنا أنه قد وقفت فيه سيارات صغيرة اكثر من الشوارع الأخرى وعرفنا بعد ذلك أن بعض هذه السيارات أوقفت في هذا الشارع الذي يمر به الضيوف في العادة ووصلنا إلى ميدان (تيان آن مون) اي: باب السلام السماوي لأنه في مكان باب للمدينة يسمى بهذا الاسم في القديم حيث كانت للمدينة ثمانية أبواب. منها باب السلام السماوي هذا، وباب السلام الأرضي. وفي هذا الميدان الواسع تقام الاستعراضات والاحتفالات، لأنه قلب المدينة.

استقبلنا رئيس الإدارة (رن، أو، رو) وهو برتبة وزير وغير مسلم وإدارته مهمتها العناية بالشئون الدينية عامة وليس بالدين الإسلامي، بصفة خاصة.

وكان الاستقبال في غرفة استقبال كبيرة غير التي استقبلنا فيها نائب رئيس المجلس الاستشاري للشعب الصيني ظهر اليوم، رغم أن القاعة هي القاعة نفسها، الا أن غرفها في طوابق متعددة، ورئيس الشئون الدينية غير مسلم، أوهو بالتعبير الصيني الدارج من قومية (خان) وهذه تعني الصينيين غير المسلمين وهم الأكثرية من بين السكان كما هو معروف.

والرجل ضئيل الجسم. ربما خيل إليك إذا رأيته أنه معتل الصحة لنحافته أو أنه هندي من البنغال ولكنه حينما تكلم أبان عن تفكير عميق، فقد رحب بنا ترحيبًا حاراً وذكر صداقة الصين للعرب.

ثم قال الرجل وهو يتحدث عن الدين في الصين: إن في الصين الآن اثنين وعشرين ألف مسجد، ونحن نهتم بالأديان، ونشجع المسلمين.

فرددت عليه بكلمة مناسبة كان أهم ما فيها أن المعاملة الحسنة التي يلقاها المسلمون هنا في الصين تعتبر في الحقيقة معاملة حسنة موجهة نحو المسلمين جميعًا وبخاصة نحونا نحن في رابطة العالم الإسلامي التي تمثل الشعوب الإسلامية وتتخذ من مكة المكرمة منطلق الدعوة الإسلامية مقراً لها.

**أمر له معناه:**

سألته في معرض الحديث حول الأديان في الصين عن الدين الأول في الصين؟ فأجاب من موقع المسئولية المباشرة عن الأديان في البلاد أن الدين الأول في الصين هو الإسلام.

وكان قد قال قبل ذلك: إن عدد المسلمين في الصين هو خمسة عشر مليونًا، فقلت له: إننا نعرف أن سكان الصين بلغ عددهم ما يزيد على ألف مليون نسمة فماذا عن بقية العدد في السكان وبخاصة من كانوا منهم من البوذيين؟

فأجاب إنهم غير ملتزمين بالدين، ولذلك لا نعدهم من أرباب الأديان.

واتضح ما يقصده بقوله: إن الدين الإسلامي هو الدين الأول في الصين وهو أن الأكثرية من السكان لا دين لهم وحتى الذين كانوا يدينون بالبوذية وهم كثير في الماضي فانهم قد أصبحوا غير متدينين وبذلك صاروا لا دين لهم.

بعد هذه المقابلة التي أكثر المصورون من أخذ الصور لها انتقلنا إلى موائد العشاء وهي الصينية التقليدية وليس المراد بالصينية تلك التي يقدم فيها الطعام وإنما المراد بذلك أنها ذات طراز صيني.

وقد وجدناهم وضعوا عليها أنواع المقبلات أو المقدمات وهي مآكل قليلة المقدار، غريبة الأنواع.

ثم كانت صحون المائدة أغرب أيضًا من ذلك لحم الماعز البري. والسرطان الذي هو (أبو جلمبو) باللغة الدارجة المصرية أو (أبو قفص) كما يسميه أهالي جدة.

ونوع من السمك قد وضعوا عليه السكر حتى صار حلواً.

ثم أحضروا نوعًا قليلاً من الحلوى على هيئة حلوى مجمدة «آيس كريم».

وقد فرغنا من المائدة بعد الثامنة بقليل. وعندما عدنا نخترق ضواحي العاصمة في الطريق إلى الفندق وجدنا الشوارع تكاد تكون خالية في هذه الساعة المبكرة من الليل، وذلك أن الناس هنا ينامون مبكرين لأنهم ليس لديهم الوقت ولا الإمكانات المادية للسهر. ولأن المكفيين الذين قد توجد أعداد منهم في البلاد الرأسمالية وهم في العادة المترددون على الملاهي لا يوجدون هنا بل على الشخص من الصينيين أن ينام مبكراً ليصحو مبكراً فيذهب إلى عمله لكي يحصل منه على القوت الضروري.

هذا وقد حضر الحفلة عدد من الإخوة العاملين في الجمعية الإسلامية وغيرهم من الرسميين الصينيين.

وقد زرنا مدينة أورومسي عاصمة إقليم سينكيانغ أو شينجاك و هو (تركستان) الشرقية وتجولنا في ذلك الإقليم فكتبت في ذلك كتابًا مستقلاً عنوانه «في مهد الترك».

وبعد الانتهاء من زيارة هذا الإقليم عدنا إلى مواصلة الجولة في أنحاء الصين.

# إلى مقاطعة كانسو



**مقاطعة كانسو:**

تقع مقاطعة كانسو في المجرى الأعلى للنهر الاصفر في شمال غرب الصين. وأرضها طويلة ضيقة تمتد أكثر من الف كيلو متر في عرض ضيق مثل عاصمتها لانجو تزيد مساحتها على ٤٥٠,٠٠٠ كم مربع وعدد سكانها ١٩,٨٨ مليون نسمة فيهم مليونا مسلم ومنهم ١٦,٣١ مليون يعيشون في الريف وفيها ١٤ جمعية إسلامية فرعية و١٤ محلاً لبيع الكتب الإسلامية.

وتكثر في كانسو الهضاب الطينية المسماة هضاب اللوس ومعدل ارتفاعها ١٠٠٠ - ٣٠٠٠م فوق سطح البحر. ويجرف النهر الأصفر وروافده القسم الشرقي من كانسو الذي يتكون من هضبة اللوس المتموجة، وبه إمكانات كبيرة لتنمية الطاقة الكهرومائية.

وهناك نهرا هيخه وشوله وغيرهما من انهار داخلية في ممر كانسو بين جبال تشيليان ولونغشو وخ لي.

ومع أن القسم الاعظم من الممر عبارة عن صحراء أو شبه صحراء والمناخ جاف، فان هناك واحات يتصل بعضها ببعض، تستفيد من الثلوج الذائبة من جبال تشيليان لتنمية الزراعة والثروة الحيوانية. وقد كان ممر كانسو ممراً طبيعيًا من قلب الصين إلى سينكيانغ (تركستان الشرقية) وآسيا الوسطى في قديم الزمان، ويخترقه اليوم خط سكة حديد لانجو - سينكيانغ.

**المناخ:** مناخ كانسو موسمي معتدل مع خاصية الانتقالية الواضحة للمناخ القاري. ومعدل درجة الحرارة السنوي يتراوح من صفر سئوي إلى ١٥ درجة مع اختلاف كبير بين الشمال والجنوب، ومعدل التساقط السنوي للمطر ٣٠ - ٨٦٠ ملم ويتناقص من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي.

والزراعة في كانسو أغلبها في هضاب اللوس حيث يزرع القمح والذرة والدخن والقطن وبذور الكتان.

وتشتهر المنطقة حول لانجو بزراعة الشمام والفواكه ؛ والحيوانات الرئيسية فيها: الأغنام والابقار والخيول إلى جانب الخنازير التي يقبل كفار الصين على أكلها.

**الصناعة**: يوجد في كانسو ٦١ نوعًا من الخامات المعدنية اشهرها النيكل والنحاس والرصاص والزنك، وتعتبر جينتشانغ الواقعة في شمال محافظة يونغتشاغ بمر كانسو اكبر قاعدة بالصين في إنتاج النيكل. كما يوجد الحديد والكروم والزئبق في عدد من المناطق، ويوجد الفحم الحجري في أكثر من ٥٠ موقعًا. وقد بدأ التعدين منذ زمن في المناجم الرئيسية.

**مدينة لانجو**: حاضرة المقاطعة وتقع في وسط كانسو ويخترقها النهر الأصفر وسكانها مليونا نسمة منهم(٢٠٠) الف مسلم داخل المدينة و٦٠ الف مسلم في أريافها وفي في مدينة لانجو ٤٨ مسجداً وقد كانت هذه المدينة ولا تزال مركزاً هامًا للمواصلات يربط داخل الصين بشمالها الغربي.

وهي مدينة صناعية تنهمك أساسًا في صناعة تكرير النفط والكيماويات والآلات الميكانيكية والمعادن غير الحديدية والمنسوجات الصوفية.

## يوم السبت ١٤٠٤/٧/٢٧هـ ١٩٨٤/٤/٢٨م
## من أورومسي إلى لانجو:

خرجنا من دار الضيافة في ضاحية مدينة (أورومسي) عاصمة منطقة سينكيانغ التي كانت تسمى (تركستان الشرقية) ونحن لا نكاد نصدق أننا سننطلق بالفعل في سفرنا إلى مدينة لانجو عاصمة مقاطعة (كانسو) التى

تشتمل على ما يسمى بطريق الحرير القديم. وذلك أننا جربنا الخروج للمطار في محاولة للسفر مرتين لم ننجح في واحدة منهما بسبب العواصف أو عدم ملائمة الطقس وفي المرة الأخيرة كان السبب أن الطائرة التي كان من المقرر أن نسافر عليها لم تنزل في مطار أورومسي بسبب سوء حالة الجو.

ثم قيل لنا: إننا سنسافر بالقطارإلى هناك مع أن المسافة بين المدينتين تتجاوز الفا وثمانمائة كيلو متر والقطار بطيء يسير على الفحم.

مما حمل مضيفينا على العدول عن السفر به وانتظار الطائرة هذا اليوم.

وفي المطار وجدنا جمعًا من الإخوة المسلمين في التوديع على رأسهم (يعقوب دامالا) رئيس الجمعية الإسلامية في المنطقة الا أن عددهم كان أقل من عدد المودعين في المرتين السابقتين اللتين خرجنا فيهما للمطار ثم لم يكتب لنا فيهما السفر.

وقضينا بعض الوقت في قاعة كبار الزوار في المطار التي هي قاعة مريحة نظيفة على خلاف القاعات العامة فيه، ومن أهم مزاياها وجود حمامات مناسبة فيها بخلاف الحمامات التي في قاعة المسافرين العامة فانها على غاية من الإهمال وعدم النظافة فأبوابها لا تغلق من الداخل وليس فيها ورق ولا ماء لغسيل الأيدي فضلاً عن أن يكون فيها مرآة.

وهذا من الأمور التي أثارت عجبنا في هذه البلاد الشيوعية. فقد كنت أظن من قبل أن الحكومة الشيوعية التي تدعي أنها تخدم عامة الشعب، تهتم بالمرافق العامة التي يحتاج إليها جمهور الناس أكثر مما تهتم بالأماكن التي تستعملها الصفوة من الموظفين وذوي النفوذ والتي يرتادها الزوار الأجانب ولكن ثبت العكس مع أنهم يدعون انهم جاءوا لمنفعة سواد الشعب وهذا أمر عرفته في كثير من الأماكن في الصين، وفي غيرها من البلدان الشوعية.

وعند الدخول إلى قاعة المغادرة تكرر التفتيش الدقيق على الركاب وإبراز جوازات السفر أو البطاقات الشخصية وكأنما هم يريدون السفر إلى دولة أخرى.

وحتى نحن أعضاء الوفد الرسمي الذي تستضيفه الحكومة الصينية قد تكرر التدقيق معنا في هذا الأمر ولم تنفع وساطة المرافقين حتى كان الموظفون المكلفون بالتفتيش يدققون في مطابقة الصور التي في الجوازات على وجوه حامليها أما تفتيش حقائب اليد فإنه يتم كهربائيًا ويدويًا ثم يعلقون في الحقيبة ورقة صغيرة مختومة تمر بعدد من الجنود الذين يتأكدون من وجود الختم عليها.

وعند الصعود إلى الطائرة كان هناك ثلاثة جنود يتأكدون من (هوية) المسافرين.

## إلى لانجو:

صعدنا إلى الطائرة التي لم تكن نفاثة، كما قد توقعنا رغم بعد المسافة وإنما هي مروحية كبيرة ذات أربع محركات وقد ذكرني مرآها بعهد في بلادنا والبلدان العربية قديم كانت فيه أمثال هذه الطائرات المروحية هي الشائعة في الركوب ونسيت الآن ونسي عهدها حتى أصبح الجيل الجديد لا يعرفها.

ولكنها هنا في الصين موجودة ومستعملة بل إنها ربما كانت تتجدد لأنهم يصنعون الطائرات الصغيرة ذات المحركين المروحيين في بلادهم ويستعملونها في المسافات غير الطويلة وهنا ولهذه المناسبة التافهة وردت على ذهني العبارة التي يطلقها بعض الشيوعيين واليساريين ويقولون عن أنفسهم والبلاد التي تأخذ بالنظام الاشتراكي أنهم تقدميون وعن أهل بلادنا المحافظة ومن يشابهونهم أنهم رجعيون؛ فجعلت أسأل نفسي عن التقدمية والرجعية في هذا الأمر و لماذا لا يكون العكس هو الصحيح؟

كادت هذه الطائرة تمتلئ بالركاب لأن السفر بالطائرة قد تعطل منذ ثلاثة أيام فجميع الركاب الذين كانوا ينتظرون السفر بالطائرة طيلة تلك الأيام قد تجمعوا الأن للسفر لأنه لا وسيلة أخرى للسفر بالطائرة إلى لانجو الا هذه بسبب قلة السفر بالطائرات أولاً ولأن السبب كما يقولون هو الطقس في (أورومسي).

وكل الركاب من الصينيين ما عدانا نحن.

أما المضيفات فإن عددهن كبير وهن من الفتيات اللاتي جرى اختيارهن بعناية وأما لباسهن فإنه كلباس المضيفات الأرضيات لأن الجميع ينتمي إلى شركة الطيران الصينية الشعبية ولباسهن ذو لون بهيج فهو أزرق مؤلف من قميص طويل الكمين وسروال واسع الا أنه دون سعة سراويل الباكستانيات ولم يراع فيه الإغراء أو الجاذبية كما تكون عليه السراويل عند الأوربيات.

ولا مساحيق أو أصباغ على وجوه هؤلاء المضيفات الصينيات.

وبعد أن أخذ الركاب مقاعدهم في الطائرة جعل الموظفون والمضيفات يعدونهم بالإشارة بأيديهم وعقد أصابعهم كما كان يفعل الناس في القديم، في عد المواشي والأمتعة وقد استغرق هذا بعض الوقت.

ليس في الطائرة درجة أولى ولكن فيها جزء خلفي منفصل مفضل أجلسونا فيه ومعروف أن الطائرات المروحية تكون مؤخرتها أفضل من مقدمتها بخلاف الطائرات النفاثة.

تحركت الطائرة الساعة العاشرة والدقيقة الثامنة والثلاثين وأعلنت المضيفة بالصينية ثم بإنكليزية ضعيفة أن المسافة ما بين مدينتي (أورومسي) التي تركناها ولانجو التي نقصدها هي الف وسبعمائة وخمسة وعشرون كيلو متراً وأن مدة الطيران ستكون ساعتين ونصفًا، على ارتفاع ثمانية آلاف قدم.

وقد أعادت أصوات المحركات المروحية إلى ذهني ذكريات قديمة لعالم الطيران في بلادنا مضى عليها أكثر من ربع قرن وكدت استغرق فيها لولا أن حركة المضيفات اللائي هن مثل سائر الركاب من الصينيين ذوي الشكل المميز والخاطر الملح المفرح الذي جعلني أتذكر أننا مسافرون إلى مدينة (لانجو) عاصمة مقاطعة (كانسو) التي كان يمر بها طريق الحرير القديم العظيم لم تترك فرصة الاستمرار في ذلك التذكار إلا أنني ذكرت أنني رأيت الليلة البارحة مع غروب الشمس طائفة من المواطنين يقلعون الحجارة للبناء من أرض حجرية غير بعيدة من دار الضيافة التي كنا نسكنها في أورومسي وهم يضربون الحصا بالعتلة الضخمة كما كان الأولون عندنا يفعلون.

الا أن الطائرة وهي مروحية ظلت فترة وهي تبدو كأنها مشدودة إلى الأرض لأنهالا ترتفع بسرعة كما تفعل الطائرات النفاثة. وحتى عندما تستوي في الجو فإنها لا تكون على ارتفاع شاهق.

وقد جاءوا بالضيافة في علب من الورق المقوى الخفيف (الكارتون) وهي محزومة بخيط تأتي بها المضيفة بين يديها بعضها فوق بعض. وهذا أيضًا مما ذكرني بماضي بلادنا عندما كانت طائراتنا تقدم فيها الوجبات بهذه الطريقة التي استبدلت اليوم بالمائدة المفتوحة المرتبة في صحون وأطباق نظيفة.

وفي هذه العلبة بيضتان وقطعتان من الخبز غير الجيد وقطعة من البسكويت وكيس من حبات الفول السوداني الذي تنتجة الصين وقطعة من (الشوكلاته). وقد كتبوا على هذه العلبة بالإنكليزية (صندوق الغداء) ورسموا فيها صورة خرافية كثيراً ما يستعملونها رمزاً للصين وهي صورة فتاة مجنحة أطرافها السفلى كأطراف التنين الذي هو رمز الصين القديمة.

ويقولون: إن من خرافات الصينيين أنها تصعد بالشعب إلى السماء، تفعل كما يفعل الملاك أو القديس.

وبعد الغداء وزعوا الشاي الصيني الخفيف الخالي من السكر وهو ليس بالشاي الأسود الذي نعرفه ولا هو بالأخضر وإن كان قريبًا منه إلا أنه أخف منه.

ويكاد هذا الشاي يكون هو المشروب الوحيد الذي يقدم في الصين ولهم بشربه ولع عجيب وأعجب من ذلك طريقة تقديمه وهي أنهم يضعون قليلاً من أوراق الشاي في كوب من الخزف أو الصيني ثم يصبون فوقه الماء الحار ويظلون يترشفونه وكل ما نقص ماؤه زادوه ماءً حاراً من دون أن يزيدوا في أوراق الشاي.

الا أنهم هنا في الطائرة عرضوا القهوة أيضًا وهي خفيفة جداً حتى تكاد تكون ماء حاراً مائلاً إلى الحمرة فيه شيء من السكر على عكس الشاي الذي لا يقربه السكر أصلاً.

## المضيفات يأكلن وسط الركاب:

في أثناء تناول الركاب غداءهم وكانت المضيفات قد أسرعن في تقديمه وهو لا يكلفهن وقتًا ولا جهداً لأنه مجرد توزيع علب مغلفة جلست المضيفات بعد ذلك في الطائرة في الممرات التي تفصل بين مؤخرتها المفضلة وبين القسم الرئيسي منها ومعهن كراسٍ صغيرة متنقلة كالتي تستعملها المرأة في المطبخ أو التي تستعمل في المقاهي الشعبية وجعلن يأكلن ويتحدثن وهن جالسات من دون أن يبالين بالركاب.

وهذا مثلما حدث في الطائرة النفاثة التي أقلتنا من بكين إلى أورومسي حيث جلست المضيفات في مقاعد الدرجة الأولى معنا يأكلن ويتحدثن وكأنهن من الراكبات ولسن من المضيفات الموظفات.

وكان منظرهن مستغربًا هنا إذ رأيتهن يتحدثن بصوت عال ويتضاحكن وكأنهن في جلسة خاصة في بيت إحداهن وبعضهن جلسن حتى بعد الانتهاء من الطعام وهن يأكلن الفول السوداني علي حين أن الركاب لا يزالون مشدودين إلى مقاعدهم وأمامهم علب الطعام وبعضهم قد يحتاج إلى المزيد من الشاي أو القهوة.

كان الجو صافيًا وكان الجبل السماوي الذي يمتد خلال أراضي تركستان الشرقية أو (سينكيانغ) كما أصبح الصينيون يسمونها يبدو كالحائط الطويل الذي قد زين أعلاه بالجص الأبيض.

وجصه ثلوج عظيمة كان الشتاء قد حمل على ظهره منها أحمالاً لا يخفف منها إلا حر الصيف حيث تتسرب من أعاليه على هيئة جداول وينابيع وأحيانًا على هيئة أنهار صغيرة تروي أراضي تركستان المسلمة واسم الجبل تيان شان بمعنى الجبل السماوي.

ولم آكل طعام الطائرة فهو يبدو غير جيد، وربما كان قديم الصنع وقد تناولنا في دار الضيافة في صباح هذا اليوم إفطاراً شهيًا جيداً كان نجمه اللامع العسل الطبيعي الذي لم تشبه شائبة في أصله ولا في طعام نحله.

ومنظر الأرض من الطائرة يبدو كمنظر الصحراء لولا هذه الجبال التي نشرت عليها أردية من الثلوج بيض.

ولقد زاد من شبه المنظر بالصحراء أن الشتاء رغم أنه قد انقضى عنها منذ مدة فإن فصل الربيع هنا يكون شاتيًا ثالجًا مثل فصل الشتاء الا ما كان في أواخره في شهر مايو (أيار).

ثم أخذت الجبال الثلجية تبتعد وسميناها جبالا ثلجية مع أنها جبال حجرية لكون الثلوج تركبها وخلفتها في المنظر تلال متطامنة ليس عليها ثلوج ولا

حتى عليها خضرة من اعشاب وحشية أو من زراعة بل إنها بدت لي من بعيد وكأنها الكثبان الرملية في الصحراء فهي جرداء من النبات دهماء اللون أو بنية كما يقول عوام الكتاب وهي مكومة تكويمًا بمعنى أنها ليست تلالاً جبلية منقادة كما تنقاد الحيطان الطويلة.

واحتاج أحدنا إلى دخول الحمام في الطائرة فرآه خاليًا من الورق أو المناديل غير نظيف، وقبيل الإعلان عن الوصول وزعت المضيفات هدايا على جميع ركاب الطائرة التي ليس فيها درجة أولى بل جميع مقاعدها سياحية وهديتهم معاليق جمع معلاق للمفاتيح وهذه هي الهدية التي سبق أن أعطونا مثلها في رحلات الطائرات الأخرى وعليها شعار شركة الطيران الصينية.

وقد أداروا المسجل في الطائرة على غناء صيني أصيل.

والغناء الصيني الأصيل هو فن قائم بذاته لم تدخله الموسيقى الغربية ويتميز غناؤهم في أكثر الأحيان بما يتميز به الغناء العربي القديم الذي يمثله الغناء العراقي في الوقت الحاضر والذي يبدو عليه طابع الحزن والشكوى وتكثر فيه التأوهات.

والغناء الذي أكثر ما يقوم به النساء يبدو بأصوات رقيقة الطبقة أو يغلب عليها الترقيق كالغناء الهندي الذي يكون بأصوات دقيقة ولو كانت المغنية ذات جسم كبير.

إلا أنني لاحظت على الغناء الصيني في التلفاز أن المغنية تحرص على أن تعبر بعضلات وجهها ما تعجز عن التعبير عنه بصوتها ولاحظت أن المصورين يقربون منها مصوراتهم ويحرصون على تصوير كل خلجة من خلجات وجهها التي كثيراً ماتكون تعبيرات عن السرور مع أن صوتها يوحي بالحزن.

## فوق مطار لانجو:

بدأت الطائرة بالنزول في جو صحراوي المظهر تمامًا تسوده هضبات تبدو كالهضبات الجبلية الجرداء من النبات.

والمنطقة رغم وجود النهر الأصفر فيها فانها تكاد تكون ذا طابع صحراوي ظاهر.

وقد زاد من الشعور بالمنظر الصحراوي وجود قتام صحراوي وهو ما يشبه الضباب أو الغبار الخفيف العالق في الجو والذي يكون موجوداً في جو الصحراء في وسط النهار في بعض الأحيان وهو هنا أحمر اللون ربما كان ذلك بسبب ميل لون الأرض ذاتها إلى الحمرة. وأخذت الطائرة تهبط وهي تهتز وتضطرب بسبب ذلك.

ولا أثر يرى للنبات أو الزراعة في مجموعة التلال التي تطير فوقها الطائرة الا في بعض الوديان الضيقة بينها.

وظهرت المنازل في الريف طينية كاملة أي لا يخالط طينها مخالط من مواد البناء الأخرى. وهي ذات لون غير بهيج.

## في مطار لانجو:

حطت الطائرة في مطار لابأس بسعته يقع في واد أرضه طينية مما أنزلته الأمطار من التلال الضخمة المحيطة به التي تبين أنها طينية وليست حجرية.

ويسيطر الجو الصحراوي الجاف على منظر المطار وإن كانت توجد حوله بعض الخضرة.

وكان هبوط الطائرة في الساعة الثانية إلا الربع ظهراً فوجدنا في استقبالنا حشداً من الإخوة المسلمين في المقاطعة على رأسهم رئيس الجمعية الإسلامية في مقاطعة كانسو الشيخ (نصر الله ماجونغ يونغ) وهم:

الشيخ نصرالله ماجونج يونغ/

رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة كانسو.

الشيخ سعيد ماروين/

نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة كانسو.

الشيخ محمد بشير ماه لن/

نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة كانسو وإمام جامع خوين تاى

الشيخ محمد ادريس ماوين جنغ/

رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة كانسو.

الشيخ محمد يونس يانغ شن/

نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة كانسو.

الأستاذ موسى ماوه شنغ/

نائب رئيس الإدارة الدينية لمقاطعة كانسو.

الاستاذ سليمان مافو/

نائب رئيس قسم الشئون الإسلامية في الإدارة الدينية لمقاطعة كانسو.

الشيخ محمد خالد مافو شنغ/

نائب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة كانسو.

إلى جانب بعض الموظفين الرسميين العاملين في الحكومة وفي مطار لانجو خاصة. وأكثر المستقبلين يبدون من كبار السن وبعضهم كالشيوخ المتقاعدين عن العمل ولكن تبين أن الأمر ليس كذلك في أكثرهم فرغم كونهم من ذوي الأسنان العالية فهم لا يزالون يعملون ويواصلون أعمالهم كما يعمل الشبان على أن فيهم من هم في سن الكهولة أو متوسط العمر. وفي الصين خاصة يعتبر ابن الستين في هذه السن التي هي سن الكهولة أو منتصف العمر.

وهم في ملابس فضفاضة تقليدية وألوانهم تشبه ألوان أهل نجد فهم أقل بياضًا من أهل سينكيانج (تركستان الشرقية) وذلك لموقع بلادهم الصحرواي إلى الجنوب من سيكنيانغ إضافة إلى أنهم من عنصر غير العنصر التركي الذي يتألف منه سكان سينكيانغ.

وبعد السلام الذي كان مصافحة ومعانقة انتقلنا إلى قاعة كبار الزوار في المطار فأدير الشاي الصيني المعتاد. وقدم رئيس الجمعية الصينية المستقبلين إلينا كما قدمت إليهم أعضاء وفدنا.

وكنت أثناء ذلك أتأمل ساحة المطار من النافذة للمقارنة ما بينها وبين (أورومسي) التي قدمنا منها فأجد ساحة المطار هذه مبلطة تبليطًا جيداً والأشجار التي ترى على قلتها خضر أو لنقل إنها أكثر خضرة من أشجار أورومسي التي لا تزال هامدة بسبب البرد.

ثم قدموا موكب سيارات مخصصة للوفد وأهمها السياراة السوداء المخصصة لرئيس الوفد (كاتب هذه السطور).

وقد ركب معي فيها رجل أمن بمثابة الحارس ورئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة كانسو الشيخ (ماجو نغ يونغ) واسمه الإسلامي نصرالله كما وزعوا بقية المستقبلين على الركوب مع بقية أعضاء الوفد،وفي الأمام سيارة عسكرية.

وأخبرونا أن المطار بعيد عن المدينة إذ يبلغ بعده عنها سبعين كيلو متراً.

سار الموكب مع طريق مزفلت زفلتة متوسطة تحف به أشجار قد أورقت بعد أن كان البرد جردها من أوراقها ولكنها لم تستكمل خضرتها كلها.

ومر الطريق بين التلال العجيبة التي كنت رأيتها من الطائرة وأشكل عليّ أمرها ولم أعرف ما إذا كانت تلالاً جبلية أم طينية وقد ظهرت الآن على جليتها فإذا بها تلال طينية عظيمة عالية يعجب المرء بل يطول عجبه من كونها قد تماسكت ولم تنجرف مع الأمطار طيلة القرون.

والمنطقة ريفية جميع بيوتها وهي ليست كثيرة فيما قرب من المطار هي من الطين الذي هو من لون هذه التلال وهو أحمر غير قانٍ.

وأكثرها مبني بما نسميه في بلادنا بالعروق وهو البناء بغير اللبن. وإنما بالبناء بالطين رأساً على الجدران بحيث يبني البنائون ما يرتفع حوالي نصف متر تقريباً ممتداً مع امتداد الجدار ثم يتركونه يجف حتى إذا جف بعد يوم أو أيام وضعوا عليه مثله وهكذا حتى يتم الجدار.

وأكثر ما يستعمل هذا عندنا في حيطان المنازل والأسوار التي يراد لها أن تكون منيعة.

وقد لاحظت بعد أن أمعنت السيارات في الطريق أن التلال جرد وأنه لا خضرة الا خضرة ما كان مزروعاً، فسألت رئيس الجمعية الإسلامية عن ذلك؟ فقال: إن المطر هنا قليل. وإن هذه المزروعات يجلب إليها الماء من النهر الأصفر.

ورئيس الجمعية الإسلامية الشيخ (نصرالله) أو (ما جونغ يونغ) هوفي الثالثة والثمانين من عمره ويتمتع بعقلية نيرة إلا أنني لاحظت انه لا يفهم الحكمة من كثرة الأسئلة التي أطرحها عليه وهو معذور في ذلك من دون شك.

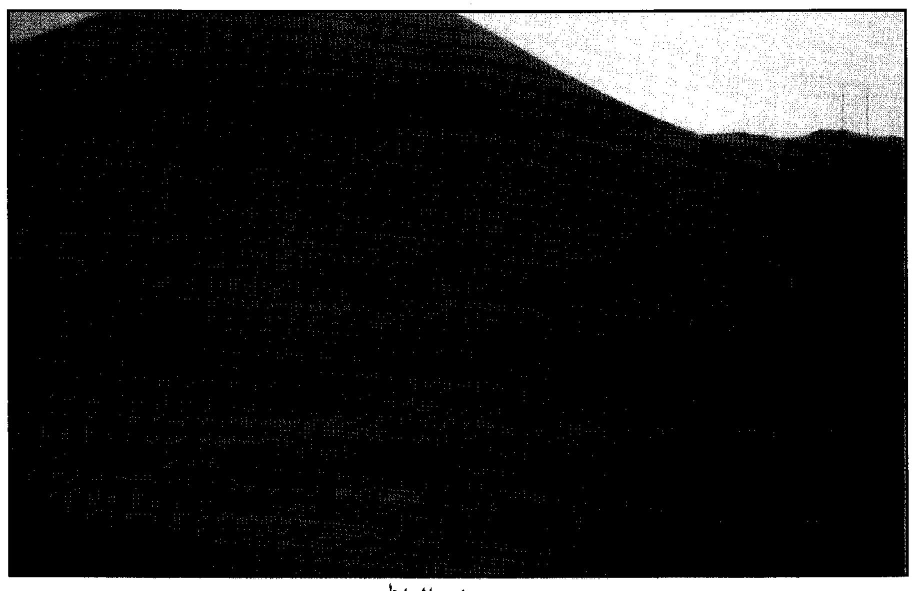
ومعظم الزراعة على الطريق هي أحواض صغيرة من القمح يسمونه الشتوي فهذا هو أوان اخضراره كما تقدم.

وقد اتسع الوادي الذي يسير فيه الطريق فاتسعت مزارع القمح وقالوا إنهم يواجهون مشكلة في نقص المياه لأنهم يحصلون عليها من النهر الأصفر مع أننا لم نشاهد النهر هنا حتى الآن.

## بيوت التلال:

رأينا في الطريق ما يشبه الغيران -جمع غار- ولكنها منحوتة في التلال الطينية المتماسكة التي تحف بالطريق فسألت عنها المرافقين فقالوا: إنها في الأصل أماكن أخذ منها الطين لوضعه على الأرض المزروعة بغية إخصابها وإن بعض الناس يستعملونها الآن بمثابة أماكن لخزن الأعلاف أو إيواء الماشية في الشتاء، وقد رأيت بعضها بمثابة الغرف.

وهذا أيضًا مما يثير العجب من تماسكها وبالتالي عدم خوفهم من انهيارها.



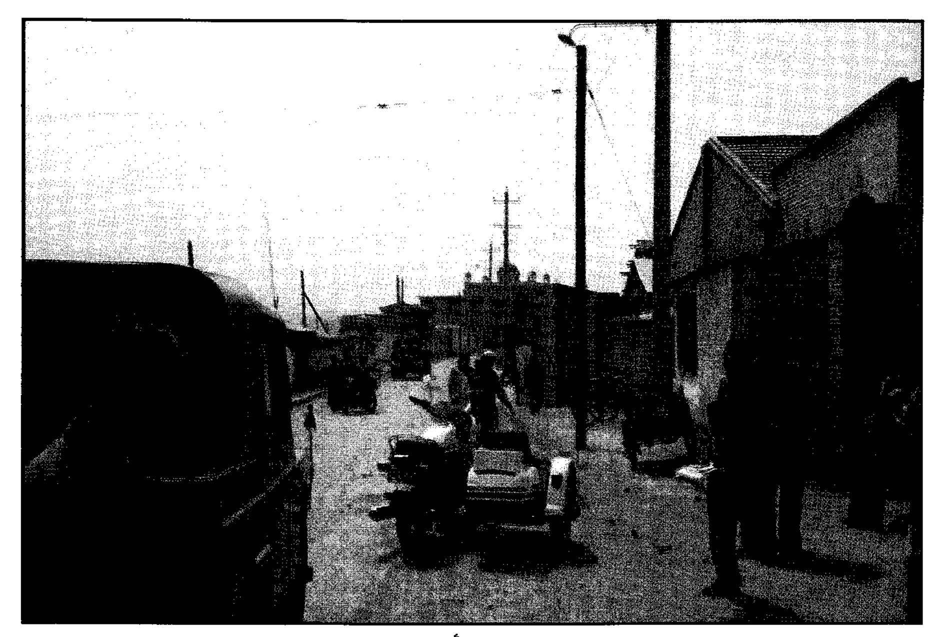
بيوت في التلال

والجو الآن معتدل خالٍ من الشعور بالبرد وليس كجو أورومسي البارد حتى في هذا الفصل من السنة.

ومما شدني إلى ذكريات قديمة أن جميع بيوت الفلاحين والقرويين التي مررنا بها حتى الآن مبنية بالطين ويرى المرء بجانب كل مجموعة من البيوت حفرة في الأرض كنا نسميها (المطينة) أي المكان الذي يؤخذ منه الطين عندما كنا مثلهم نبني بيوتنا من الطين قبل أن نتجاوز ذلك إلى البناء بالبيوت الأسمنتية الحالية.

وكثيراً ما شاهدت هنا إلى جانب (المطينة) أو إلى جانب البيوت أكوامًا من لبن الطين الذي جفف في الشمس وأعد للبناء.

وأما المنظر المألوف في قرى الصين وهو منظر رجال عدة يحرثون أرضًا صغيرة ومنظر فتيات يركبن الدراجات التي هي الوسيلة الآلية الوحيدة الشائعة للركوب في الصين فإن ذلك كثير.



شارع في حي شعبي في أطراف مدينة لانجو

وقد كثرت رؤية بيوت الطين التي تشبه بيوت الطين عندنا في القرى والأرياف لولا أن أسطحها هنا ممالة إلى جانب واحد وليست مسطحة السقوف كما هو عليه الحال عندنا ولا هي مسنمة كما هو عليه الحال في البلدان الاستوائية الممطرة.

فهي ممالة إلى جهة واحدة وذلك ليسهل انزلاق الثلج عنها في الشتاء لأن المنطقة تنزل عليها الثلوج في الشتاء بصفة منتظمة.

وما يزيد البيوت الطينية هنا شبهًا بالبيوت التي كانت موجودة عندنا أن واجهات بعضها مطلية بمادة بيضاء تشبه الجص الذي كنا نطلي به البيوت الطينية لتجميلها.

والمناظر هنا تشعرك بأنك في بلد محافظ على القديم رغمًا عنه بل هو متأخر عن اللحاق بركب الزمن رغم ما يدعيه أهل الشيوعية والمفتونون بها من أنهم التقدميون الذين يحاربون الرجعية والرجعيين.

ولا ترى فيها هنا الا ما يشعرك بذلك حتى المصنع الذي رأيت دخانه هنا تبين أنه مصنع للآجر وهو الطين الذي يحرق ثم يبنى به بديلاً من لبن الأسمنت.

ولكن المنظر بحق يستحق أن يرحل إليه ويرى لغرابته لاسيما مع استمرار هذه التلال الطينية العالية المتماسكة التي يخيل إليك أنها قد نثرت في الأرض نثراً من دون أن تتخذ شكلاً معينًا من الأشكال المعهودة.

والشيء البهيج هنا هو منظر أشجار الطريق التي كانت خضرتها تزيد كلما كانت بقرب الأماكن المزروعة. وإن كانت هذه الأشجار أقل كثافة هنا من الأشجار التي رأيناها في الطريق ما بين المطار وقلب مدينة بكين أو ما بين المطار وقلب مدينة أورومسي في سينكيانغ (تركستان الشرقية) ورأيت هنا ما

رأيته في ضواحي بكين من وجود عاملات في الطرق والزراعة وهن يرتدين ملابس نظيفة بعيدة عن ملابس العاملات غير النظيفة، وذلك مثلما أن العمال من الرجال تراهم في العمل في الطرق وفي المزارع وهم يرتدون ملابس نظيفة لا يكون مثلها على العمال أثناء العمل في العادة.

وبجانب الطريق أخاديد عميقة سألت رئيس الجمعية الإسلامية عن أسبابها فقال: إن المطر إذا جاء قويًا كثيراً من هذه التلال المرتفعة فإنه يشق تربة الوادي الطينية المنحدرة ويحدث هذه الأخاديد.

هذا وكلما قربنا من المدينة حسن المنظر قليلا من حيث نضارة المزروعات بسبب كوننا نقترب من مجرى النهر ومن حيث جودة البيوت.

حتى وصلنا مصنعًا قالوا لي: إنه مصنع للألمنيوم.

وبهذه المناسبة أخبرونا أن مدينة (لانجو) التي نقصدها والتي هي عاصمة مقاطعة (كانسو) تعتبر مدينة صناعية.

## في مدينة لانجو:

قربنا من الوصول إلى النهر الأصفر وذلك دلالة الوصول إلى مدينة لانجو لأن هذه المدينة ممتدة على هذا النهر امتداداً، وهكذا رأينا أول ضواحي المدينة.

وكنت أتطلع إلى سرعة الوصول إلى الفندق لكي أجد فرصة سريعة لرؤية المدينة غير أن القوم أخبرونا أن برنامج الزيارة يقتضي أن نزور أحد المساجد وأن نلتقي بعدد من الإخوة المسلمين قبل الوصول إلى الفندق.

فتجاوزنا النهر الأصفر مع جسر معتاد على ضفة النهر الغربية منه مصنع كبير للمواد الكيماوية تبين أنه جزء من المنطقة الصناعية في المدينة.

واخترقنا ضاحية فيها تسمى (لانغ خوي) فسرنا مع شارع يحفل براكبي الدراجات وتكثر فيه السيارات العسكرية وبعض سيارات الجيب التي تبدو كالسيارات العسكرية مع أنها ليست كذلك ولكنها أعدت للسير في المناطق الوعرة ذات الطرق غير المسفلتة التي هي كثيرة في الصين.

هذا وقد جعل سائق السيارة العسكرية التي تتقدم موكبنا يواصل إطلاق بوق سيارته حتى يشعر السيارات الأخرى بموكب الضيوف الرسمي فيفسحوا له الطريق.

مع أن الحقيقة أن الزحام في الشارع ليس شديداً والسيارات بطبيعتها ليست كثيرة في مدن الصين وبخاصة هذه المدن المتوسطة.

إلا أن سائقي السيارات لم يتعودوا على المرور بهدوء من الطريق بسبب عدم تعودهم على كثرة السيارات في الطرق ولأن السيارات الموجودة لديهم وأكثرها من صنع بلادهم ليست في مرونة الحركة في صنعتها مثل السيارات الأمريكية واليابانية فيصعب على السائق أن يوقف سيارته أو ينحرف بها بسرعة فائقة لذلك تجده يحرص على إطلاق البوق أو التأني الشديد في السير .

هذا والمنازل في ضواحي المدينة بعضها مبني بالآجر إضافة إلى أكثر المنازل الخاصة المبنية بالطين.

غير أن عدداً قليلاً من الأبنية شيدوه بالأسمنت وواضح من هيئته أنه بناء حكومي أو تابع لإحدى المؤسسات الحكومية التي استولت على جميع الأبنية الكبيرة إبان الثورة الشيوعية ولم تترك للمواطنين إلا المنازل الصغيرة.

ورأينا عدداً من الأبنية (العمارات) الحكومية المتعددة الطوابق وكلها مبنية على طراز حديث وتقيمها الحكومة لتؤجرها شققًا على موظفيها وعمالها بأجور رخيصة.

ومررنا بميدان جيد لم أر فيه حافلات عامة رغم وجودها في أكثر مدن الصين لأنها هي السيارات العامة المتوفرة في الصين حيث لا يجد المرء سيارات الأجرة (التاكسي) في المدن الصينية التي رأيناها وإنما رأيت هنا بغالاً تجر عربات وعدداً من المشاة إلى جانب المنظر المعتاد وهو منظر راكبي الدراجات.

وقد رأيت وعاء كبيراً على إحدى عربات البغال وهو ما نسميه بالبرميل لا أدري ما فيه ثم قابلنا عدد من سيارات الحافلات العامة بعد ذلك.

وأينما التفت في هذه الضاحية رأيت مداخن المصانع ومداخن أخرى ذكروا لنا أنها مداخن المدافئ أو ما يصح أن يسمى بمداخن صرف الغازات الناشئة عن إحراق الفحم الحجري للتدفئة وللطبخ إذ يجعلون ذلك في مداخن عالية جداً حتى لا يلوث جو المدينة.

وقد ذكرني ما حدث للموكب هنا بالهند وسائقي السيارات فيها، وذلك أن شاحنة كانت تسير مصادفة أمام هذا الموكب الرسمي أبت أن تفسح الطريق أو أن تسرع سرعة السيارات الصغيرة التي معنا فأخذ سائق السيارة العسكرية التي تتقدم الموكب يلح بنفير سيارته عليها مدة خمس دقائق مما ضايقنا وكنت أود الا يسرع الموكب حتى تنبه سائق الشاحنة إلى ذلك وأزاح سيارته عن طريق الموكب وهو يسير.

هذا وكنا عندما اجتزنا فوق النهر الأصفر قادمين من جهة الشمال إلى الضفة الجنوبية من النهر حيث تقع ضاحية (لانغ خوي) ثم استمر سيرنا جنوبًا شرقًا.

وقد أخذ الموكب الآن يسير شرقًا مع أبنية هامة أكثرها مبني بالآجر ثم وصلنا إلى حي شعبي فيه البيوت الطينية الجيدة القديمة. وفيها طوائف المشاة وراكبي الدراجات.

ولاحظت هنا كثرة عادة عند النساء وهي جعل الشعر ضفيرتين اثنتين خلف الرأس أكثر مما عليه الحال في بكين.

وهذه هي عادة صينية قديمة حيث لا يكون ذلك إلا على رؤس الفتيات اللائي يحرصن على إبقاء شعورهن طويلة.

ورأيت في هذا الحي بقرة تجر عربة عليها فلاح مع أمتعته وحماراً رديئًا صغير الحجم يجر عربة أيضًا، وهذا إلى جانب شيء لافت للنظر وهو أن هيئات راكبي الدراجات، بل وسائر الناس الذين رأيتهم هي هيئة جيدة فالملابس نظيفة والأجسام ليست هزيلة بل ولا نحيلة. مع أن ركوب الدراجات للبالغين في البلاد العربية وأمثالها توحي إلى المرء بأن الذين يركبونها لا يكونون بهذه المثابة لأنها لا يركبها إلا المحتاجون بل أحيانًا لا يركبها إلا المعدمون.

ولكن الأمر هنا في الصين مختلف لأن الناس هنا يعتبرون من غير الموسرين أو على الأقل كثرتهم الكاثرة تعتبر كذلك.

## شارع غرب المدينة:

طال السير في هذا الشارع حتى عجبت من ذلك وسألت عنه رئيس الجمعية الإسلامية والمرافقين فقالوا: إنه يسمى شارع غرب المدينة.

فقلت: كيف يكون كذلك ونحن الآن قد قطعنا فيه أكثر من عشرة كيلو مترات ولا نزال حسب تسمية الشارع في غرب المدينة؟

فقالوا إن هذا الشارع يمتد مع امتداد المدينة في هذا الوادي الضيق الذي يجري النهر الأصفر في الجهة الشمالية منه وهو الشارع الرئيسي في المدينة كلها ولذلك يمتد مسافة أربعين كيلو متراً لأن المدينة كلها ممتدة عليه.

فسألتهم عن سكان المدينة كلهم فقالوا: إنهم مع ضواحيها يبلغون مليونين. اما الذين في المدينة الأصلية فقط فإنهم مليون.

واسم هذا الشارع بالصينية (شي دونغ سي دوغ) ويذكر بهذه المناسبة أن اللغة الصينية هي الشائعة وحدها في هذه المدينة بل في هذه المقاطعة (كانسو) كلها بخلاف مقاطعة سينكيانغ التي قدمنا منها فاللغة الشائعة هي التركية التي يسمونها (الإيغورية) نسبة إلى قبيلة (إيغور) إحدى قبائل الترك الأصيلة المشهورة.

وتمتد على هذا الشارع في هذا الجزء الذي يقارب أن يصل إلى قلب المدينة الأبنية الحكومية الجيدة من أبنية الإدارات وغيرها بخلاف العمارات السكنية التي هي كلها حكومية بطبيعة الحال .

والعناية في الشارع ظاهرة فقد شجروه في أكثر المواضع وغرسوا الزهور في بعض الأماكن المتسعة المحيطة به.

وقد كثرت سيارات الشحن والحافلات العامة في قلب المدينة.

وقد دخلنا المدينة القديمة من دون أن نحيد عن هذا الشارع الطويل بل هو أفضى بنا إليها لأنه يشق المدينة كلها كما قدمت.

وسألتهم عن شق هذا الشارع أهو قديم أم حديث؟، فقالوا: إنه قبل التحرير. وهذا معناه أنه قبل أن تسود الشيوعية في الصين لأن عبارة التحرير معناها الشيوعية فهو إذا قد صار على ماهو عليه من الطول والامتداد قبل الحكم الشيوعي في البلاد.

وفي قلب المدينة كان هناك ميدان جيد تحف به من أكثر جهاته عمارات سكنية حكومية عامة. تحتها حوانيت كبيرة والحوانيت الكبيرة كلها حكومية

وإنما الخاص من الحوانيت يكون صغيراً في مساحته فقيراً في بضاعته ويكون قليلاً أيضًا في الأسواق الرئيسية.

## حي بوابة المدينة:

من هذا الميدان اخترقنا النهر الاصفر ثانية ولكن من جهة الجنوب إلى الشمال على جسر حديدي قديم ولكنه في حالة جيدة من حيث الصيانة والعناية.

وسألتهم أين نحن ذاهبون؟، فقالوا: إلى «مسجد فوق الماء» وهذه عبارتهم بالعربية التي قالوا: إنها ترجمة حرفية للتسمية بالصينية.

وبدت الضفة الشمالية من النهر التي نحن مقبلون عليها مغلقة لأنها واقعة تمامًا في لحف تلة جبلية ترتفع مباشرة من النهر وعليها حي قديم بل إن مظهر بيوته مظهر الموغلة في القدم حتى أزقتة كذلك وهي تتلوى وتنهض في غير استقامة صاعدة مع صعود ضفة النهر على الجبل واسمه حي (بوابة المدينة) وبالصينية (تشن تشن وانغ).

وهو حي يكاد يكون إسلاميًا لأن المسلمين أكثرية بين سكانه كما أخبرونا، وكانوا كذلك منذ عهد قديم.

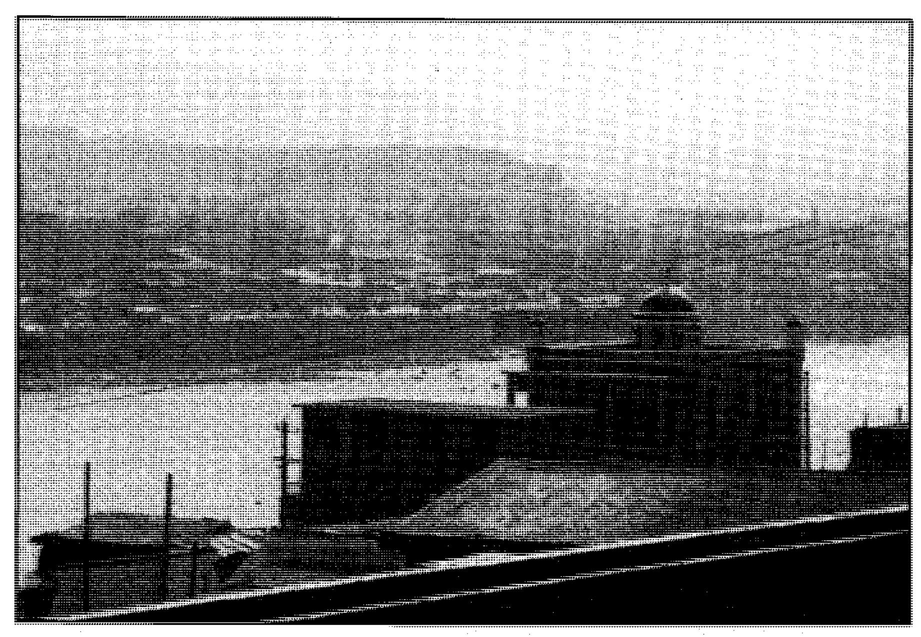
## مسجد فوق الماء:

وقد دخلت السيارات مع شارع رئيسي غير واسع تجمهرت فيه طائفة من السكان انتظاراً لقدوم الضيوف لأن رجال المرور كانوا قد وصلوا إلى المنطقة قبل وصولنا للمحافظة على الأمن وتسهيل مرور سياراتنا فيه.

وأقبلنا على مسجد بارز من بين الأبنية على شاطئ النهر المرتفع مباشرة فأشاروا إليه وقالوا: هذا هو (مسجد فوق الماء)، و(فوق الماء): ترجمة اسمه

خه تن سي. وكان فوق الماء مباشرة وليس هذا هو بالمهم لنا وإنما المهم أنه في مكان بارز يرى على البعد من مسافات بعيدة فيشهد بأن هذه المنطقة من مناطق المسلمين.

وصلنا المسجد فوجدنا حشداً بل حشوداً من إخواننا المسلمين فيه قد ضاق بهم شارعه والمنطقة المحيطة به وأكثرهم عليه شعار المسلمين وهو الطاقية فوق الرأس وشيوخهم وكبار السن فيهم عليهم الملابس القديمة وعلى رءوسهم العمائم البيض.



موقع مسجد فوق الماء(خه تن سي) في لانجو

والتأثر ظاهر على وجوه الجميع من شبان وشيب غير أن الشيب قد اغرورقت أكثر أعينهم بالدموع وقد تزاحم الجميع على موكب السيارات كل منهم يتمنى أن يملأ عينه برؤية إخوته المسلمين القادمين من بلاد الحرمين الشريفين ولكن رجال الأمن كانوا يحولون بين الناس وبيننا بحجة المحافظة على سلامتنا.

ولو ترك العنان لهؤلاء الإخوة كلهم للسلام لضاق الوقت عن ذلك فضلاً عن انفراط الأمن بلا شك لما هم عليه من عواطف جياشة.

ولقد انتظموا في صفين طويلين على جانبي الشارع خلف كل صف كتلة هائلة من البشر من ذكور وإناث وكبار وصغار.

وبعد الترجل من السيارات ومصافحة زعماء المسلمين أسرعوا بنا إلى الذهاب إلى المسجد بين جماهير أخرى كادت تغلق الطريق لكثرتها لولا أن رجال الأمن وزعماء المسلمين يمنعونهم من ذلك فدخلنا المسجد ولا يزال غاصًا بالمستقبلين الذين بدت طائفة منهم بلباس طلبة العلم وهو جبة سوداء تحتها سروال واسع وفوق الرأس عمامة وأخبرونا أنهم بالفعل من طلبة العلم هنا.

لم نقف في فناء المسجد المزدحم ولم نستطع مصافحة الإخوة كلهم لأن ذلك يعني وقتًا طويلاً قد يؤثر على سير البرنامج فصعدنا مع درج ضيق إلى قاعة متوسطة السعة في الطابق الثاني من بناء في مؤخرة المسجد أي في شماليه الشرقي والقبلة إلى الجنوب الغربي.



من الشرفة في مسجد فوق الماء (لانجو)

ووجدناهم قد أعدوا في القاعة موائد خشبية عليها المكسرات، والأشياء الخفيفة التي عرفنا بعد ذلك أن من عادة الصينيين وبخاصة أهل الشمال والشمال الغربي أن يقدموها للضيوف قبل الأطعمة الأخرى إذا كانت الدعوة على غداء أو عشاء فتكون بمثابة المقدمات والمقبلات وقد يقدمونها لتكون كالأشياء التي تقدم عندنا في حفلات الشاي إذا لم تكن الدعوة على غداء أو عشاء.

ومع هذا المكسرات والمقدمات الحلوى والتفاح الذي يكاد يكون الفاكهة الوحيدة المتوفرة في المناطق الشمالية الباردة من الصين في هذا الفصل من السنة. وفي المكسرات الفول السوداني والزبيب وبزر البطيخ الأصفر (الحبحب) وبزر القرع إلى جانب الشئ اللازم الملازم لجميع الضيافات وهو الشاي الصيني الخفيف الساذج الخالي من السكر وغيره فهو عندهم مثل القهوة عندنا لابد من تقديمها للقادم في أي وقت من أوقات الليل والنهار.

كانت العواطف الجياشة التي استقبلنا بها هؤلاء الإخوة مما لا يستطيع القلم أن يصفه. فكانوا لذلك يحاولون أن يتكلموا فتختنق الكلمات في حلوقهم من فرط التأثر.

وعندما جلسنا في قاعة الاجتماع هذه حول موائد المكسرات والمقبلات التف حولنا زعماء المسلمين من علماء وكبراء وقالوا إنكم أول وفد إسلامي يصل إلى بلادنا وإننا مهما فعلنا فإننا لا نستطيع أن نعبر لكم التعبير الكامل عما تكنه قلوبنا وقلوب إخوانكم المسلمين لكم من محبة وإكرام لقد قالوا ذلك ولم يكونوا في الواقع بحاجة إلى أن يقولوه لأننا نشاهد ذلك واضحًا على قسمات الوجوه وفي نظرات العيون وفي أمارات التأثر الظاهرة.

لم يرض إخواننا من زعماء المسلمين أن يشاركونا حتى الجلوس إلى الموائد وإنما جلسوا على مقاعد بجانبها فعزمنا على كبرائهم ومنهم رئيس الجمعية الإسلامية في مقاطعة كانسو الشيخ (نصر الله) والشيخ (محمد يونس يانغ شن) إمام مسجد فوق الماء هذا الذي نحن فيه أن يجلسوا معنا.

وحدثونا عن هذا المسجد العامر بأن بناءه الحالي كان في عام ١٩٤٦م، وكان الوقت ضيقًا قبل صلاة العصر لإستكمال البرنامج فتقرر أن نؤدي الصلاة ثم نعود إلى إتمام الاجتماع.

وما لفت النظر أنه عند إرادة الوضوء في الحمامات التابعة للمسجد تبين أنها فوق الماء بالفعل فهي ليس لها قاع وإنما يسقط ما يكون من المتوضئين أو غيرهم من فضلات على مياه النهر مباشرة التي هي بعيدة ربما تساوي في عمقها ارتفاع خمسة طوابق أو اكثر.

وقد تفرق أعضاء الوفد للوضوء لأننا كنا قد غادرنا دار الضيافة في أورومسي في وقت مبكر على محلات الوضوء فكان أن تحلق القوم جزاهم الله خيراً على أعضاء الوفد كل واحد منهم يريد أن يقدم مساعدة وأكثرهم يريدون أن يقتبسوا ما حسبوه علمًا أو هديًا إسلاميًا من إخوتهم القادمين من بلاد الحرمين الشريفين فقد أحسنوا الظن بنا إحسانًا لا نطمع في عشر معشاره عند أهلنا وبني قومنا.

## الصلاة والموعظة:

أدت صلاة العصر في هذا المسجد جموع كبيرة لا يكون مثلها الا في يوم الجمعة أو أكثر من ذلك وقد غص المسجد بالمصلين ولا ندري ماذا فعل الذين لم يتسع لهم. فقد كنا في المقدمة وبعد الصلاة القيت في هذه الجموع كلمة من مكبر للصوت حييتهم فيها باسم إخوتهم في المملكة العربية السعودية وباسم

رابطة العالم الإسلامي التي تضم في مجلسها التأسيسي ممثلين للمسلمين من كل أنحاء العالم.

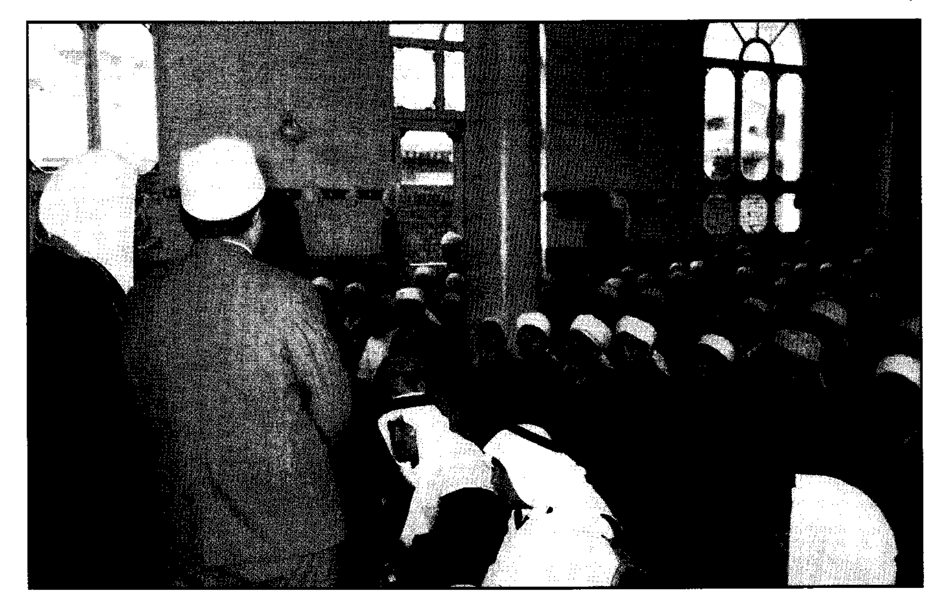
وقلت لهم: إننا جئنا هنا لا لغرض سياسي ولا لمطمع اقتصادي وإنما جئنا لغرض إسلامي نبيل ومن أهم ذلك أن نشعركم أيها الأخوة الكرام أن إخوتكم في الإسلام لم ينسوكم وإنني هنا أعلن عليكم جميعًا أن أهم ما نسعى إليه هو التعاون معكم على البر والتقوى وعلى إقامة المشروعات الإسلامية ونحن مستعدون لتقديم العون المالي في هذا الأمر ولا أقول المساعدة لئلا يفهم بعض الناس منها أنها كالمساعدة التي تقدمها أقطار أجنبية إلى أقطار أجنبية أخرى فهدفنا ليس هذا وإنما هو التعاون مع المسلمين على البر والتقوى فنحن إذا قدمنا دعمًا ماديًا لمشروع إسلامي هنا وليكن مسجداً على سبيل المثال فإن التعاون هنا حاصل من الطرفين نحن بتقديم الدعم المالي وأنتم بإكمال ذلك والقيام على المشروع فأنتم في الواقع قد ساعدتمونا على القيام بواجبنا تجاه إخواننا المسلمين وتجاه ديننا الإسلامي الحنيف.

ثم أخبرتهم بأننا قد بحثنا مع الجمعية الإسلامية المركزية في بكين ومع المسئولين في الجمعيات الفرعية في المقاطعات ذلك وإننا نستطيع أن نقدم الدعم المالي لتعمير المساجد ونقدم الكتب الإسلامية، ونطبع ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية.

وكذلك طبع المصحف الشريف هنا في الصين كما أنه يمكننا أن نبحث معكم موضوع تيسير الحج إلى بيت الله الحرام سواء من حيث التأشيرات للدخول أو من حيث تسهيل استضافة الحجاج عندما يصلون إلى مكة المكرمة.

كما أننا أيضًا مستعدون لتقديم منح دراسية لأبناء المسلمين هنا متحملين كل المصاريف المترتبة على ذلك من تذاكر السفر ومصاريف الدراسة حتى

التخرج وقد ضمنت كلمتي توصيتهم بتعليم أولادهم تعليمًا إسلاميًا وقلت لهم إنكم مسئولون أمام الله سبحانه وتعالى عنهم فهم أمانة في أعناقكم.



الصفوف في مسجد فوق الماء(لانجو) تستمع إلى كلمة المؤلف

وكان الشيخ (لقمان ماشان لي) يترجم كلمتي للصينية التي زادتهم تأثراً على تأثر.

ثم غادرنا المسجد مشيعين بهالات بعدها هالات من هؤلاء الإخوة الكرام جزاهم الله خيراً حيث عدنا إلى قاعة الاستقبال في الطابق الثاني في مؤخرة المسجد حسبما رأوه وإذا بهم كانوا قد أعدوا لنا عشاء كبيراً ذبحوا فيه خروفا وذبح الخروف في الصين يساوي ذبح بعير عندنا لأن الشيوعية قد أفقرت الناس ثم إن الحكومة كانت في وقت من الأوقات لا تسمح لأحد بذبح الخراف إلا بإذنها لئلا يستغل ذلك بزعمهم في بيعه بغير السعر الذي حددته الحكومة.

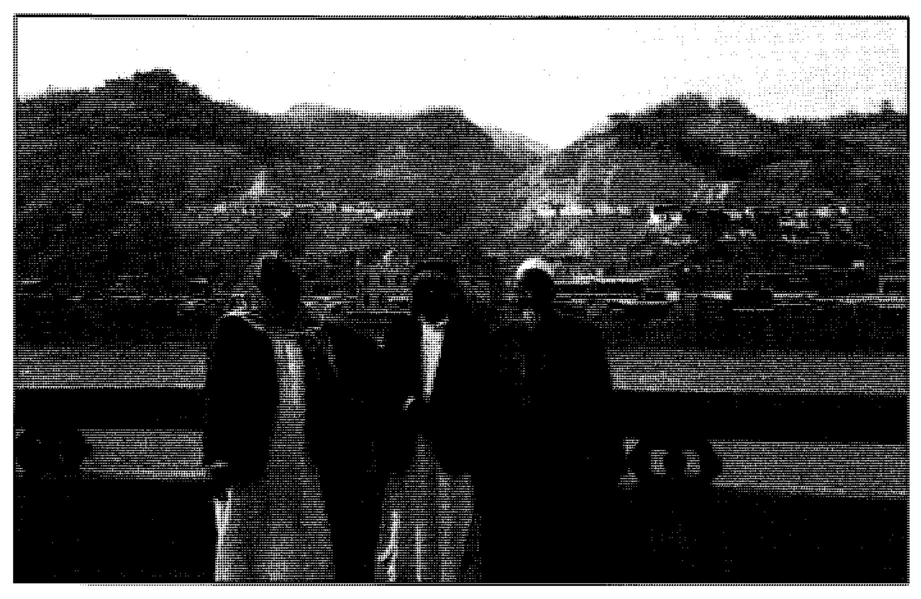
ولما كانوا قد أخبرونا أن هناك حفلة عشاء رسمية بعد قليل فقد حاولنا الاعتذار غير أن إخوتنا المرافقين نصحوا بأن نطعم شيئًا قليلاً ففعلنا وجاءوا

بأنواع منوعة من الأطعمة يعاقبونها وفيها لحم الضأن والدجاج والبقر وبخضرات كثيرة مطبوخة فيها اعواد من الثوم مطبوخًا وأطباق من الخيار المطبوخ بطريقة خاصة.

وكان الأخ الشيخ (محمد يونس) إمام مسجد فوق الماء يلقي كلمة بالعربية أثناء الطعام تتضمن الترحيب بالوفد باسم جماعة المسجد والجمعية القائمة عليه، فهو يعرف قدراً جيداً من العربية الفصحى ولكن أذنه لم تتعود سماع الكلام من العرب لذلك يصعب عليه متابعة ما نقوله الا إذا كان بلغة فصيحة واضحة وبطريقة متمهلة متأنية.

وعندما قلت لهم إننا إخوانكم ولانرى أنه من المناسب أن تتعبوا أنفسكم في الاستعداد لنا أجابوا قائلين بتأثر: إننا ننتظركم منذ ثلاثة أيام، وقد ذبحنا عدة خراف وأكلناها عندما تأخرتم.

وكان الانتظار صحيحًا بسبب العوامل الجوية كما سبق.



اخوان من وفد الرابطة مع امام مسجد فوق الماء

وكنت أتأمل هذا البيت من بيوت الله (مسجد فوق الماء) فأجده فوق النهر الأصفر مباشرة بالفعل ولكنه يبدو أعلى من ذلك بكثير لأن ضفة النهر مما يليه على حافة جبل مرتفع وهو نفسه طابقان والثالث جعلوا فيه المنارة فبدا شامخًا يرى من البعد بل يرى من مسافات شاسعة وأما الحي الذي تقطنه أغلبية إسلامية فإنه كذلك واقع على ضفة جبلية هي ضفة النهر الأصفر الشمالية.

وللنهر الأصفر هذا مكانة في نفوس الصينيين وأثر بارز في تاريخهم يكاد يعادل أثر النيل في ثقافة المصريين وتاريخهم وهو أحد نهرين هامين كبيرين في الصين والآخر هو نهر (يانقتسي) وذلك رغم وجود عدد من الأنهار الأخرى في الصين وبخاصة في منطقة الجنوب.

إلا أن هذا الحي الإسلامي -إن صح التعبير- قد بقي محافظًا على ما كان عليه في القديم فلم تدخله المدنية الحديثة سواء في أبنيته أو في أزقته الضيقة التي لا تستطيع أن تسميها شوارع لأنها ضيقة متعرجة ولأنها في لحف الجبل تتلوى فيه وتتبعها البيوت صاعدة مع صعود الجبل.

وزاده مظهراً غير مناسب أن الوقود فيه كما في سائر المدن الصينية الشمالية هو بالفحم الحجري الذي هو متوفر بكثرة في أراضي الصين ولكنه يخلف فضلات سوداء لأنه لا يحترق كله فيؤثر في نظافة المنطقة إذا لم يتعهدها أولو الأمر فيها بالتنظيف وإبعاد تلك النفايات، وعند انصرافنا من المسجد كان التزاحم على أشده من الجماهير بل كان أكثر من التزاحم عند القدوم حتى اضطر رجال الأمن إلى إبعاد الناس بالقوة.

وقد حاولت أن أهدئ من خوفهم مما قد يحصل لأعضاء الوفد من هذا التزاحم فقلت إنهم إخوتنا يحبون أن يقتربوا منا لتحيتنا ونحن نحب ذلك مثلهم غير أنهم قالوا: إن المهم لديهم هو المحافظة على سلامتنا.

## في فندق الصداقة:

نزلنا في فندق يمكن أن يكون من فنادق الدرجة الأولى غير الفاخرة لو وفر له الأثاث الفاخر ولكنه بحالته الحاضرة يعتبر من فنادق الثانية الجيدة وهو أحسن فندق في هذه المدينة.

وعادة الحكومة أن تنزل فيه ضيوفها مثلنا كما أنه مسموح للسياح الأجانب أن ينزلوا فيه بأجر مناسب.

وأصله فيما أخبرونا كان بناء يملكه أحد الأغنياء الذين يسمونهم البرجوازيين فصادرته السلطات الشيوعية مثلما صادرت غيره من الممتلكات الزائدة عن الحاجة الفردية لسكن صاحبها واتخذته فندقًا أسمته (فندق الصداقة) لأن غالب نزلائه من ضيوف الحكومة الذين استضافتهم من أجل الصداقة معهم أو مع دولهم.

وقبل الدخول إلى غرفنا في الفندق اجتمعنا إلى عدد من كبار المسلمين وزعمائهم في المدينة وبخاصة من الإداريين السابقين ورجال الحكومة وجدناهم قد اجتمعوا في قاعة في الطابق الثالث من الفندق في انتظار الوفد. ومنهم رئيس حكومة مقاطعة كانسو كلها في السابق واسمه (إسماعيل وو ان بل) وهو الآن عضو في مجلس الشورى المركزي ونائب رئيس مجلس الشورى الشعبي في هذه المقاطعة (مقاطعة كانسو) وعمره الآن اثنان وثمانون سنة وقد جلس بجانب رئيس الجمعية الإسلامية لمقاطعة كانسو الذي يبلغ عمره ثلاثًا وثمانين سنة كما قدمت.

وقد جرى نقاش عميق معهما ومع بقية الحاضرين الذين هم من كبار المسلمين وبعض أئمة المساجد استغرق بعض الوقت.

وعندما ذهبنا إلى غرفنا كانت تتقدمنا مضيفة ظننتها من الفندق لأنها هي التي كانت تعد الغرف وتتأكد من استكمال ما ينبغي أن يوجد وتبين بعد ذلك أنها موظفة في حكومة المقاطعة ولقد لازمتنا طول وجودنا في مقاطعة كانسو ولكنها لم تتكلم بكلمة واحدة مع أحد من أعضاء وفدنا طيلة المدة بل كانت تتحاشى حتى الإجابة على سؤال أو كلمة صباح الخير أو مساء الخير مع اجتهادها التام في عملها والدأب الذي أظهرته في إنجازه.

وهي بهذا يمكن أن يضرب بها المثل للموظف التقليدي في الأنظمة الشيوعية ذلك الموظف الذي يعمل كما تعمل الآلة بدون أن يظهر لمن يراه أنه يحفل بأي شيء غير عمله الخاص حتى نفسه يظهر للناس أنه قد نسيها أو تناساها حتى ينساها.

ومثلما أن عمل هذه الموظفة غريب فإن مظهرها غريب على أعيننا وإن كنا رأينا له مماثلاً في رجال ونساء من أهل هذه المقاطعة. ويتميزون بالعيون الصغيرة والوجنات السائلة أي غير المرتفعة التي تميز وجوه أكثر الصينيين، وهو وجه فيه استطالة خلاف المألوف الغالب على وجوه أهل الصين في استدارة الوجوه.

ومن الغريب أنها كانت تخرج من جيبها مفاتيح الغرف وتقول للمترجمين هذه غرفة فلان أو فلان ثم تفتحها وتنصرف من دون أن تلقي نظرة إلى أحد.

وانزلوني في غرفة مؤلفة من قسمين أحدهما قسم استقبال والآخر للنوم فيه سريران وفي قسم الاستقبال على المائدة وضعوا الشاي الأخضر في علب صغيرة ومعه الماء الحار في أواني حفظ الحرارة (الزمزميات) وقطع صغيرة من سكر النبات لا شك في أنهم خصوا بها أعضاء الوفد لأن الصينيين لم يتعودوا على وضع السكر في الشاي وفي الغرفة أيضًا تفاح من إنتاج المنطقة وهو تفاح كبير الحجم أحمر ويبدو في منظر التفاح اللبناني الأحمر وحجمه ولكن شتان ما

بينهما في الطعم فالصيني أقل جودة من اللبناني بكثير. أو هذا ما انطبع في ذوقي.

وفي الغرفة كثير مما يكون في غرف فنادق الدرجة الأولى رغم كون هذا الفندق ليس فندقًا من فنادق الدرجة الأولى مثل التلفاز وفرشاة الشعر وفرشاة أخرى لتنظيف الحذاء ومكتب كبير عليه مصباح خاص للقراءة وأقلام من الرصاص وفي الغرفة خزانتان خشبيتان قديمتان لحفظ الأشياء.

ولكن الغرفة نفسها تحتاج إلى ترميم في طلائها وتجديد لأثاثها وبعض صنابير الماء في الحمام ليست منضبطة.

ومن أهم ما يميزها وجود أنابيب تدفئة المياه وهي لاتعمل الآن لحلول فصل الدفء وإنما وضعت فيها لأن الشتاء يكون قارس البرد في المقاطعة فهي شمالية وتكاد تكون صحراوية لولا وجود النهر الأصفر فيها ولذلك يكون الجو قاريًا تختلف فيه درجات الحرارة ما بين الليل ووسط النهار.

**مأدبة الجمعية الإسلامية:**

أقامت الجمعية الإسلامية في كانسو مأدبة عشاء للوفد دعت إليها عددًا كبيرًا من وجهاء المسلمين وكبرائهم إلى جانب بعض المسئولين في الدولة من غير المسلمين ومنهم عبدالكريم ماني يي رئيس مجلس النواب لإقليم لن تشا والسيد حبيب مازولي عضو المجلس الاستشاري لمقاطعة كانسو وعمره الآن ثمان وسبعون سنة.

وذلك في مطعم متصل بالفندق ولكن تفصل بينه وبين الفندق مساحة من الحدائق وأشجار الفاكهة وشيء أخر لافت للنظر وهو أكوام من الفحم الحجري الذي يستعمل في الوقود وكان يستعمل في التدفئة أيضًا أثناء البرد.

وقد ألقى كلمة الداعي رئيس الجمعية الشيخ (نصرالله) الأخ (سعيد ماروك كين) وعمره أربع وسبعون سنة ويعتبر شابًا بالنسبة إلى كثير من المستقبلين وقد ألقاها بالنيابة عن رئيس الجمعية الذي كان حاضراً معنا ولكن شق عليه إلقاء الكلمة وهي بالصينية.

تضمنت بأن عدد المسلمين في مقاطعة كانسو يبلغ مليون ومائتين وخمسين ألف نسمة ومن ست قوميات إسلامية لهم ٢٥٠٠ مسجد في المقاطعة أما عدد المسلمين في مدينة لانجو فهو (٧٠) سبعون الفًا لهم أكثر من ٥٠ مسجداً.

فأجبت على كلمة رئيس الجمعية الإسلامية بكلمة مرتجلة بدأتها بحمد الله تعالى وشكره الذي قدر هذا الاجتماع المبارك، ثم ذكرت أننا وصلنا هنا ونحن متأثرون بماضي هذه المنطقة في خدمة الإسلام والتمسك به فإذا بنا نرى ما يجعلنا نؤمن أن مستقبل الإسلام هنا سيكون مستقبل خير إن شاء الله، وقلت لهم: إذا كان طريق الحرير الذي تشتهر به هذه المقاطعة قد انقطع وأصبح تاريخًا يروى فإننا نرجو أن يعقبه طريق الهداية الإسلامية بحيث تنطلق الدعوة من هذه المنطقة مرة أخرى وإلى سائر أنحاء الصين.

## كف الجمل وجناح السمكة:

عند أهل الصين عادة يحرصون عليها رأيتها جيدة مناسبة وهي أنهم في المآدب الرسمية يكتبون قائمة بأسماء أنواع الطعام التي ستقدم على المائدة للضيوف وذلك حتى يعلم المدعوون عدد تلك الأنواع وصنفها من أجل أن يختاروا ما يحبون الأكل منه أكثر من غيره.

ولكنهم يأتون بها مكتوبه بالصيني، فيترجمها لنا المترجم المرافق (لقمان ماشان لي) وفي هذه المرة أخذ الأخ لقمان يستعرض أنواع الأطعمة التي ستقدم

الليلة وعددها اثنا عشر صنفًا فذكر منها (كف الجمل) و (جناح السمكة) على حد تعبيره.

ولما كان الأمر يحتاج إلى إيضاح لأن الجمل ليس له كف والسمكة ليس لها جناح فقد طلبت منه أن يريني هذه الأنواع إذا جاءت.

ومن عادتهم أن يطبخوا الأطعمة بطريقة عجيبة معقدة بحيث لا تكاد تعرف بعضها إلا إذا أخبرك مخبر عنه لأنهم يخلطونها أحيانًا بأعشاب وخضرات أو يغمسونها في أنواع من المرق ويقطعونها قطعًا تبعد بها عن أصلها الذي تعرفه.

فلما جاء (كف الجمل) كما قال أخونا لقمان رأيته عجبًا وهو (خف البعير) الذي نعرفه ونحن في بلادنا نرميه الا ما كان فوقه فإن بعض بني قومنا من المحتاجين يطبخونه كما يطبخون باقي عصب قوائم البعير ثم يأكلونه.

وقد أتوا بالعصب اللين الذي يكون فوق خف البعير تحت كعبه وهو عصب فيه دسومة وقطعوه قطعًا صغيرة وطبخوه في مرق لذيذ فغدا بين العصب والشحم وهو إلى الأول أقرب إلا أنه لذيذ الطعم ينزلق من الحلق بدون إذن.

وقد أحضروه من باب الاشتهاء والاستطراف بتقديم أنواع من الطعام لا يوجد في المحلات العامة ولا يتيسر في بيوت الداعين.

والبعير الذي قدم ما فوق خفه هنا هو الموجود في بلاد الصين وبخاصة في هذه المقاطعة التي تضم جزءًا صحراويًا فيها رغم وجود النهر الأصفر أي مقاطعة (كانسو) وهو الجمل ذو السنامين الذي تشتهر به.

ولذلك كانت أهم المحطات في طريق الحرير القديم الذي كان ينقل على ظهور هذه الجمال ذات السنامين.

وأكلت (كف الجمل) وربما يكون (كف ناقة) على حد تعبيرهم فوجدته مستطرفًا شهيًا ولو لم يكن فيه من الطرافة إلا كونه من بعير ذي سنامين لم نذق لحمه في بلادنا مع كوننا كنا أكلة لحوم الإبل إلى عهد قريب، وقد نوه الإخوة الحاضرون بأن الجمل ذا السنامين يأكله المسلمون هنا وذلك أمر له مغزاه إذ لا يكفي أن يقال إن الناس هنا يأكلونه لأن الأغلبية من الصينيين الكفار يأكلون أكثر الأحياء بل تكاد تقول: إنهم قد يأكلون عند الحاجة وإن لم تصل الضرورة كل شيء وأما في الأحوال المعتادة فإنهم يأكلون أشياء مستنكرة مثل الخنازير والفئران والقرود وأنواع من الزواحف والحشرات.

ورفع خدام المائدة (كف الجمل) وليس ثقيلاً كما قد يوحي هذا اللفظ بل هم جاءوا به قطعًا صغيرة في صحون (صينية) ملس.

ثم رأوا اهتمامي بنوع من المقبلات أو الخضرات الكثيرة الأنواع عندهم وهو نبات يسمونه الشعَري بفتح العين نسبة إلى الشعر لأن شكله على شكل شعر بني آدم ولكنني استطبت مذاقه فزادوني منه.

وقالوا إنه يوجد في جبال هذه المنطقة ويأكله الناس في الشتاء حيث يصعب عليهم الحصول على الخضروات التي تزرع لبرودة المنطقة إلا ما كان منها محميًا بخيام من اللدائن (البلاستيك) ثم جاءوا بـ (جناح السمكة) وهو في الحقيقة زعانف السمكة وهي سمكة لا كالسمك وإنما هي من وحوش الأسماك وهي القرش المفترس فرأيتهم قد قطعوا هذه الزعانف قطعًا صغيرة جداً وقد أخذوا ذلك من داخلها الخالي من الصدف وإن لم يكن لحمًا خالصًا فجاء أيضًا مما يؤكل لاستطرافه ولغرابته.

وقالوا: إنه يؤكل أيضًا لشيء آخر فهو معروف بأنه مقو يؤكل لما يؤكل له السرطان الذي تسميه العامة في مصر أبو جلمبو وبالإنكليزية (لوبستر).

ولم أمعن فيه أكلاً كما فعلت بخف البعير وذلك أنني لم أستطع لأنهم جاءوا به غارقًا في مرق مليخ فيه لزوجة.

ولم تكن هذه الأشياء المستغربة هي كل ما يستحق الذكر من هذه المائدة الحافلة. بل كانت هناك أنواع أخرى مستطابة مثل أنواع الأربيان (الروبيان) المطبوخ بالمرق.

ومن المعتاد الذي تكرر في المآدب الرسمية الصينية التي دعينا إليها بعد ذلك أن خدم المائدة يعاودون ملء الأكواب التي قدموا فيها الأشربة الباردة مثل الكوكاكولا والميرندا وهما موجودان عندهم رغم أصلهما الأمريكي العريق وكذلك شراب غازي عندهم مثلهما مصنوع في الصين من أنواع من النبات فالخدم يملأون الأقداح وإن لم يطلب الآكل ذلك بحيث لابد من أن يكون كوبه مليئًا بها دائمًا حتى يفارق المائدة.

يفعلون ذلك كما يفعلون بأقداح الشاي الصيني الشبيه بالأخضر و يرون أنه من إكرام الضيف أن يكون قدحه مليئًا بالشاي حتى يترك المائدة أو مكان الاجتماع سواء أطلبه أم لم يطلبه وكلما نقص الكوب زادوه من عندهم.

ومن بين الأطباق المستطرفة أيضًا لحم رأس الغنم، وكل ذلك بمقادير محدودة لأن الأنواع كثيرة فلابد من أن يكون الأكل من كل نوع منها قليلاً مناسبًا لذلك.

ومن الغريب أنهم جاءوا بالحلوى في وسط الطعام فأهل الصين ليسوا كغيرهم من الذين يأكلون الحلوى قبل الطعام أو بعده وإنما يأكلونها في وسط الطعام وقد جاءوا بها هنا عشرة أنواع.

وهذا غريب من العادات ولكن الأغرب منه في هذا المجال أنهم جاءوا بنوع من خشب البامبو اللين مقطعًا قطعًا صغيرة وقد طبخوه في المرق وهم يأكلونه وهو صلب تحت الأضراس إلا أنه مع المضغ يمكن أكله وازدراده.

وقد سبق أن شرحت تقديم البامبو للأكل وأنهم يستعملونه لما تستعمل له الخضرات المسماة بالخضار.

فقلت لهم: أنتم اخترعتم من المأكولات ما لا يقل غرابة عن الاختراعات في بعض الصناعات. وإنه لو كان اختراع الصينيين في الصناعة وإتقانها في مثل عملهم في الطعام لكان هذا كافيًا لتكون لكم السيادة في الصناعة في العالم.

ومما يذكر أن الصينيين معروفون بالاهتمام بموضوع الأكل حتى على غير مائدة الطعام فهم في بعض المقاطعات إذا التقى الواحد فيهم بالآخر وأراد أن يسأله عن صحته أو عن حاله قال له: كيف أكلك؟! وكيف تأكل؟ بمعنى كيف حالك مثلما يقول بعض الناس: وش لونك؟ أي ما لونك؟ بمعنى كيف حالك؟ وأصل هذه الحالة من كون بعض البلاد تنتشر فيها الحمى التي تجعل اللون يبدو أصفر فالسؤال عن اللون هو السؤال عن الصحة التي هي السؤال عن الحال

وبعد الحلوى قدموا الفاكهة وكلها محلاة محفوظة وليس فيها ما هو طازج.

ثم العجب أنهم بعدها جاءوا بالمحشي الصيني الذي هو رقاق من الخبز اللين الأبيض يحشونه بلحم مفروم وغيره ثم جاءوا بخبزهم الصيني الأبيض الذي يجعلونه على هيئة الكرات غير المتساوية ولا أستسيغه لأنه يبدو كالعجين.

وفي آخر المائدة كان الأرز الأبيض الطازج في أوانٍ (صينية) صغيرة وقبل الختام كان السمك المحلى بالسكر.

وأما الختام فكان نوعين أحضروهما معًا أصداف بحرية بمقادير قليلة والثاني وهو الأخير هو الحساء أو الشربة التي يقدمونها في آخر المائدة خلاف ما نفعله من تقديم الشربة في أول الطعام.

## حالة الأمن:

بعد انقضاء المأدبة ودعنا هؤلاء الأخوة الكرام شاكرين وصعدنا غرفنا في الفندق فوجدناها مفتوحة على مصراعيها مع أن أمتعتنا ونقودنا موجودة فيها فسألت الأخوة المرافقين فقالوا: إن الأمن مستتب هنا وإن النزيل لا يخشى سارقًا ولا منتهبًا وإن هذه حالة عامة في الصين ليست خاصة بضيوف الحكومة أو بهذه الفنادق التي هي حكومية معتنى بها من الحكومة.

وقالوا: إن السبب في ذلك أن الحكومة تشدد في عقاب السارقين كما أن مثل الشعب الصيني وأعرافه المتوارثة تمقت السرقة وهناك شيء ثالث مهم وهو أن الفقر هو المسيطر ولا توجد طبقات ثرية موسرة يسهل الحصول على ما يكفي من الغنم للمخاطرة بالسرقة منها فقلت في نفسي إن لله جنوداً من فقر..!

## يوم الأحد ١٤٠٤/٧/٢٨هـ ١٩٨٤/٤/٢٩م

شعرنا بالبرد الشديد هذا الصباح رغم كوننا في فصل الربيع وذلك أنهم لم يشعلوا المدافئ كما كان أهل دار الضيافة في مدينة أورومسي عاصمة مقاطعة سينكيانغ التي كانت تسمى تركستان الشرقية يفعلون وقد اكتفوا بالأغطية السميكة الموجودة على سرر النوم وهي لحاف يشبه المرتبة فهو ثخين جداً مؤلف من قماش بين طبقتيه قطن كثير وتحته غطاء خفيف وفوقه بطانية صوفية.

وكان هذا الإحساس بالبرد فجر هذا اليوم عكس الإحساس بالدفء عصر أمس عندما قدمنا لهذه البلاد وذلك أنها ذات جو قاري كما تقدم.

كان موعد الإفطار في الساعة الثامنة صباحًا وهذا شيء لم نعهده عند أهل بكين وغيرها الذين كان موعد الإفطار عندهم في السادسة لا يقبل التغيير.

ولكن خادمات الفندق طرقن الأبواب قبل الثامنة وذلك ليغيرن الماء الحار الموجود في الزمزميات بماء غيره أكثر حرارة من أجل أن يصنع منه من أراد من الضيوف بنفسه شايًا قبل الإفطار لأنهم لا يقدمون الشاي مع الإفطار في العادة إلا إذا طلبه الضيف اعتماداً على وجود الشاي في غرفته.

## جولة في مدينة لانجو:

كتبنا اسمها هكذا مع أن الجيم فيه ليست الجيم القرآنية الفصيحة وإنما هي معطشة بلفظ بين لفظ الجيم والشين والسين لا نظير له في لغتنا وهكذا أكثر الأعلام للبلدان والأناسي في الصين.

كانت (لانجو) تعرف باسم (تنك جن) التي معناها المدينة الذهبية وهذا أيضًا هو معنى لانجو أي المدينة الذهبية والذي يسمع كونها ذهبية وفي ذهنه أن الذهب هو رمز الغنى في القديم فيرى حالتها الحاضرة يتملكه العجب، فالشعب بها محدود الدخول رغم كون المدينة وما حولها غنية بمواردها الزراعية والمعدنية.

ويبلغ تعداد سكانها مع ضواحيها مليونين من الأشخاص فيهم مئتا ألف مسلم من قومية (خوي) وهم المسلمون الصينيون الأصلاء كما أن فيها سبعة آلاف مسلم من قومية الإيغور الذي هم من سينكيانغ التي كانت تسمى تركستان الشرقية ويرجعون إلى أصول تركية. وفي لانجو (٤٨) مسجداً وأما

المساجد التي لا تزال مغلقة بعد أن صادرها الشيوعيون في عهد عصابة الأربعة فإن رئيس الجمعية الإسلامية ذكر أنه لا يعرف عددها.

و(لانجو) مستطيلة الشكل يبلغ طولها شرقًا وغربًا (٤٠) كيلو متر ولكنها ضيقة العرض يبلغ متوسط عرضها كيلو مترين اثنين.

ويشقها النهر الأصفر بما يحمله من خصب يتمثل بالطمي الأصفر الذي يحمله إليها من الهضاب الطينية التي تكثر في هذه المقاطعة وقبلها من مقاطعة تشنغهاي التي ينبع منها.

واللغة فيها هي الصينية ولا لغة غيرها إلا أنها لهجة شمالية فيها فروق كبيرة عن اللغة الصينية المحكية في جنوب الصين.

حتى قال الشيخ نصرالله رئيس الجمعية الإسلامية هنا: إننا نفهم الصينية التي يتكلم بها أهل الشرق والشمال وأما أهل مدينة شنغهاي وأهل الجنوب فإننا لا نفهم لغتهم.

هذا مع أنهم يتكلمون الصينية ولكنها لهجات اختلفت في القدم ثم تباعدت حتى صعب على أهل الجهات المتباعدة أن يتفاهموا بها. ولذلك أخذت الحكومة المركزية تعتمد على لهجة بكين وقد يسميها بعضهم بالمندرين مع أن بينها وبين (المندرين) فرقا.

والجولة في المدينة مقصودها الأعظم هو الاطلاع على المساجد مع الاطلاع على بعض معالم المدينة.

## زيارة المساجد:

قد تبدو زيارة المساجد بمعنى الانتقال من رؤية مسجد إلى آخر جزءا من الأمور التي لا تستحق الذكر وقد يقول قائل: إنها لا تستحق مثل هذه

الزيارات أصلاً لأن المقصود من المساجد هو أداء العبادات في أوقاتها والوقت في مثل هذا الصباح ليس بوقت عبادة.

وقد يكون لهذا شيء من الوجاهة. ولكن الأمر مختلف جداً بالنسبة إلى حالتنا هذه فالبلاد بلاد شيوعية والحكومات الشيوعية في العادة تضيق على أهل المساجد إما بمصادرة المساجد أو بعدم السماح باستعمالها للعبادة أصلاً.

وذلك من واقع المذهب الشيوعي الذي يقوم على الإلحاد ولذلك لابد من تفقد المساجد ومعرفة حالها في البلدان الشيوعية إضافة إلى أن المساجد في البلدان الشيوعية تكون هي الجهات الموجودة للمسلمين إذ لا مدارس إسلامية ولا كليات ولا مواطن أخرى لتعليم الدين الإسلامي وقد علمنا أن الحكومة الشيوعية الصينية المتعصبة التي كان يقودها زعيم الصين الشيوعية الهالك (ماوتسي تونغ) وساعده على ذلك عصابة الأربعة كانت في أوج طغيانها قد صادرت عدداً من المساجد وحولتها إلى مصانع أو مخازن وأغلقت عدداً آخر منها لترى رأيها فيه بعد ذلك.

ولكن الشيوعية الحمقاء التي أرادوها شديدة متشددة لم يصبر عليها الشعب الصيني لأنها أفقرت العباد ودمرت البلاد ، وصادرت الحريات، وأتلفت التاريخ فكان أن أسقط تلك الحكومة المتعصبة وجاء بهذه الحكومة الشيوعية الحاضرة التي زعمت لنفسها أنها شيوعية اشتراكية ولكنها ليست طاغية باغية تسلب الناس حرياتهم التي من أهمها لديهم حرية المعتقد وحرية أداء العبادة وفقًا لذلك المعتقد فسمحت للمسلمين ابتداء من عام ١٩٧٩م بارتياد المساجد وأعادت إليهم كثيراً من المساجد التي صادرتها الحكومة السابقة بل إنها كانت ولا تزال تعيد إليهم بعض المساجد التي كانت قد حولت إلى مصانع أو مخازن.



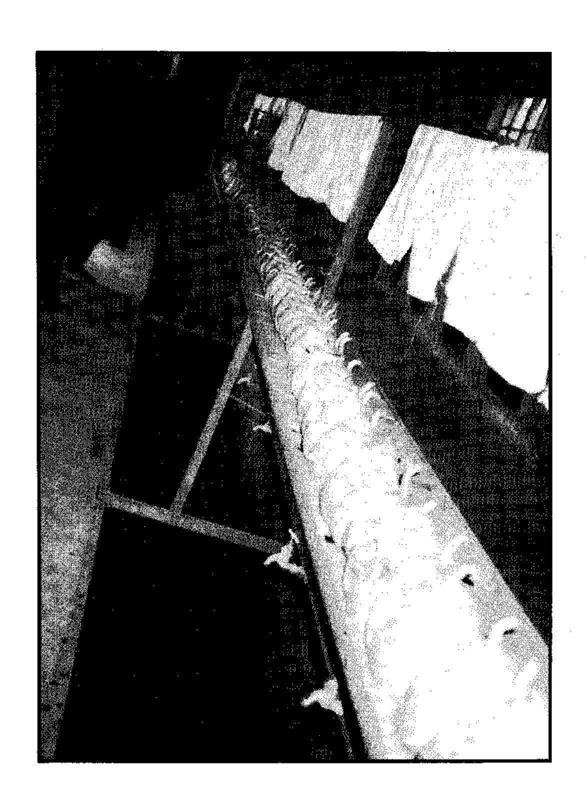
المؤلف يتكلم في احد المساجد في لانجو وعلى يساره المترجم

والأعمق من ذلك أنها أسهمت بنصيب في إعمار المساجد التاريخية القديمة على اعتبار أنها جزء هام من تاريخ الصين الثقافي تجب العناية به في حركة لتصحيح مفهوم الحكومة الشيوعية السابقة التي تريد أن تمحو كل الماضي لتقيم انتفاضة ما تزعمه حضارة شيوعية صينية جديدة. وإن كانت لم تجلب للصين غير الرجوع عن الحضارة والنكوص إلى أعماق الشقاء الإنساني في العصور المظلمة.

لذلك كان من الضروري لنا أن نزور المساجد في الجهات التي نزورها في الصين وأن نطلع على حالتها الحاضرة من أجل معرفة الحالة التي عليها ومن أجل الإسهام في إعمار ما يحتاج منها إلى إعمار.

ويلتقي هدفنا مع هدف الجمعية الإسلامية الصينية التي هي في الواقع مدعومة من الحكومة الصينية الحاضرة وتريد أن تثبت لنا بالمشاهدة أنها قد أعادت كثيراً من المساجد وأنها سمحت للمسلمين بممارسة عباداتهم بحرية.

سـار الموكب المؤلف من خمس سيارات هذه المرة في التـاسـعـة من هذا الصبـاح منطلقًا مع الشـارع الطويل في هذه المدينة من فندقنا (فندق الصداقـة) الذي يقع على الشـارع نفـسـه.



اباريق الوضوء
في أحد مساجد لانجو

## المسجد الكبير:

وقف الموكب عند مسجد حديث البناء يطل على الشارع الرئيسي المسمى (شي جن دونغ)من حي (لي خه) وهو بمنارته المميزة معلم إسلامي بل شاهد عدل واضح على أن الإسلام حي قوي في هذه المدينة لأن المسجد كله حديث أنشئ إنشاءً بعد سقوط عصابة الأربعة التي لم تكن تسمح مطلقًا بإنشاء المساجد لأنها كانت تصادر المساجد القائمة، وتمنع إعمار مالم تصادره منها؛ إذ كان بناءه في عام ١٩٨١م.

لم يقتصر المسجد على كونه معلمًا إسلاميًا عندما زرناه بل كانت الجماهير المسلمة قد تجمهرت حوله في تظاهرة إسلامية كبيرة وكان أكثر المجتمعين من

الإخوة المسلمين يرتدون ملابسهم الصينية الوطنية التي اعتاد المسلمون على ارتدائها ومن أهمها غطاء الرأس ذو العمامة الخفيفة فضلاً عن (الطواقي) جمع طاقية التي تعلو بعض الرءوس.



مسجد شى جن دونغ الواقع على الشارع العام المسمي جن دونغ في لانجو

وكان يتقدم الجميع إلى السيارات عندما وقفت الشيخ (إبراهيم اون شيو) إمام المسجد، وقد أقبلت أفواج المسلمين لتسلم ولكن المرافقين منعوهم حرصًا على الوقت لأنهم لو صافحوا الوفد كله لاقتضى ذلك وقتًا طويلاً غير متوفر.

لذلك تركونا نمر وسط الجماهير الملتفة التي تثبت عيونها وأفئدتها في هؤلاء الأخوة القادمين من بلاد الحرمين الشريفين مهوى أفئدة المسلمين ومقصدهم في عباداتهم.

وجدنا جماعة المسجد قد أعدوا مائدة بها المكسرات المعتادة المؤلفة من بزر البطيخ والفواكه والبسكويت المصنوع في هذه البلدة والفواكه المجففة والشاي الصيني الأخضر.

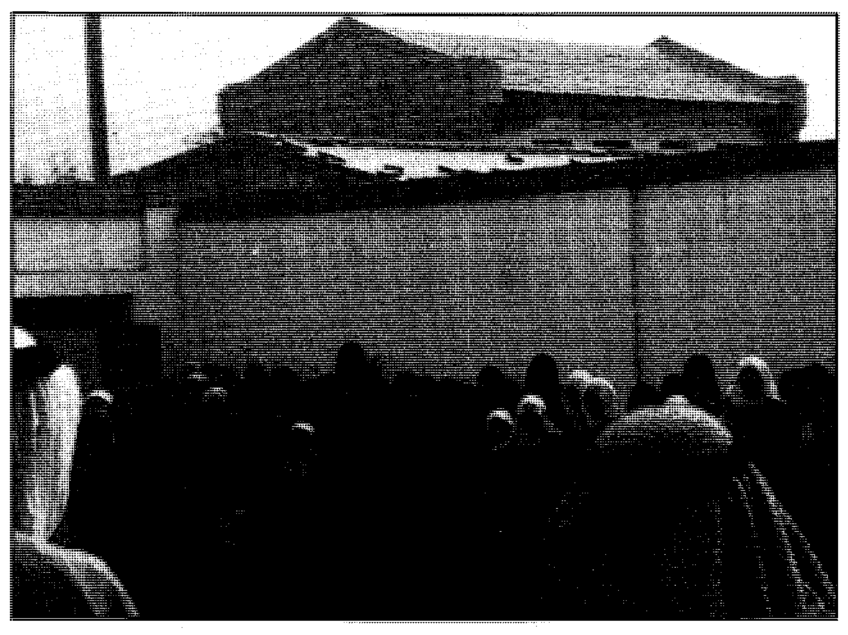
ولم يكن انتباهنا مشدوداً لهذه المائدة التي لابد أنهم كانوا ألقوا لها كبير بال بسبب ضيق اليد عندهم وكون الدخول محدودة جزاهم الله خيراًوإنما اجتذب إنتباهنا نشيد كان يلقيه جماعة منهم عليهم لباس طلبة العلم، علمنا بعد ذلك أنهم من طلاب العلم الذين يتلقونه في هذا المسجد الجديد وكان من أظهر ما فيه كلة (مرحبًا مرحبًا) بالعربية يرددونها شجية طلية وأرادونا أن نجلس إلى مائدة المكسرات أو المقبلات فقلنا: إلى المسجد ندخله ونصلي في أحد أركانه ونصور ما نراه منه بالقلم وبآلة التصوير.

وكان مرافقنا إمام المسجد الشيخ إبراهيم وكبار جماعته وأخبرونا أن المسجد كله جديد وأنهم بنوه من تبرعات المسلمين قليلاً قليلاً لأنه لا يوجد أحد من ذوي اليسار في الصين في الوقت الحاضر وإنما كان تعاون المسلمين وضم القليل إلى القليل منهم كفيلاً بهذا الجامع الذي بنى بالاسمنت المسلح القوي على شارع رئيسي هام.

واخبرونا أنه يوجد عدد من طلبة العلم يبلغ سبعين تلميذاً بين كبير وصغير ولكن لا توجد مدرسة لهم وأنهم بحاجة إلى بناء مدرسة دينية يتعلم فيها أولاد المسلمين أمور دينهم وأنهم يحتاجون إلى من يساعدهم على دفع راتب الإمام والمدرس في المدرسة لأنهم يدفعون للإمام راتبًا شهريا يتراوح ما بين سبعين إلى ثمانين ينًا حسب حالة المسلمين فإذا كان لديهم وفرة من النقود دفعوا له ثمانين ينًا ويساوي ذلك مائة وأربعين ريالاً والا دفعوا له سبعين.

وقد عدنا إلى مائدة المكسرات والمقبلات التي وجدناهم قد نصبوا عليها مكبرات الصوت استعداداً للاستماع إلى كلمة من الوفد فألقيت فيهم كلمة مختصرة ضمنتها إبلاغهم تحيات إخوانهم في المملكة العربية السعودية عامة وفي رابطة العالم الإسلامي خاصة ومن خلال الرابطة أبلغتهم تحيات إخوانهم المسلمين في العالم وقلت لهم: إن المسلمين ينظرون إلى ما تفعلون من بناء

المساجد والمحافظة على الإسلام بالإعجاب والإكبار ولكن من أهم ذلك أن تحافظوا على ناشئة المسلمين فتعلموهم أمور دينهم كما علمكم آباؤكم وأهلوكم الدين الإسلامي الحنيف ونشأوكم عليه من قبل.



التجمع النسوي الإسلامي في مسجد بي شوفانغ في لانجو

وكان الحشد كبيراً يكاد يقترب من الوفد غير أن رجال الأمن و المسئولين في الجمعية الإسلامية كانوا يمنعونهم من الاقتراب الا الزعماء الكبراء منهم.

وكان خلف حشود الرجال حشد لنساء من المسلمات المتسترات اللآتي جئن للمشاركة في استقبال هؤلاء الأخوة القادمين إليهم من مكة المكرمة وهن متسترات لم يبرز من أجسادهن إلا الوجه والكفان.

وقد ودعنا أهل هذا المسجد الكرام الذي أسموه (الجامع الكبير) لأنه كبير وإن لم يكن بالغًا في ذلك ولكن الأهمية له في كونه بعد الصحوة الإسلامية التي أعقبت الطغيان الشيوعي الملحد.

## إلى مسجد آخر:

ومن المسجد الجامع الكبير الجديد الذي يقع على شارع رئيسي عام انتقلنا إلى مشاهدة مسجد آخر جديد يسمى مسجد (تشوفا خانغ) على اسم الحي الذي يقع فيه.

فرأينا المسلمين قد استعدوا لاستقبال الوفد في صفين طويلين جداً بدآ من زقاق بعيد عن المسجد وانتهيا بالمسجد نفسه.

وكان مبدأ هذين الصفين من جمهور غفير من المسلمين في الشارع وانتهائهما بجمهور غفير أيضًا في المسجد واغلبهم على رءوسهم (الطواقي) البيض وبينهم عدد من الشبان الذين ارتدوا ملابس طلبة العلم في هذه البلاد.

ومن الملاحظ أن المسلمين هنا وبخاصة الشبان منهم يراهم المرء بوجوه مشرقة أكثر مما يراه على وجوه بقية الصينيين الكفرة بكثير، ولا شك أن مرآهم ذلك يرجع إلى عدم شرب المسكرات إضافة إلى حلاوة الإيمان. وإشراق الوجوه المؤمنة بالبشر والطمأنينة.

وبعد أن ترجلنا في الزقاق لأن المسجد ليس على شارع هام سرنا وسط هؤلاء الإخوة المسلمين الذين اصطفوا لنا كما يصطف الجنود المطيعون للملك الحازم في القديم غير أن احتفائهم بنا هو لله وفي الله جزاهم الله خيراً.

فكان كل من نمر عليه منهم يبادرنا وهو واقف بقوله: (السلام عليكم) وكنا نبدأهم بالسلام غير أن الصف طويل والجميع يتطلع بحق إلى تحية من إخوتهم الضيوف المسلمين.

كان كبار المسلمين في الحي يتقدمون ومعهم المسئولون في الجمعية الإسلامية حتى وصلنا إلى فناء مكشوف في المسجد يعلوه من جهة المسجد مكان مرتفع

قد وضعوا عليه مائدة عليها مكبر وخلفها عدد من الكراسي في مواجهة جموع المسلمين الذين غصت بهم الساحة وخلفهم تجمهرت النساء في أعداد كبيرة.

وكان في مقدمة أهل المسجد الشيخ (عبدالله ماجنغ رنغ) إمام المسجد فأعجلتهم عن ابتداء البرنامج الخطابي بالسؤال عن هذا المسجد الذي أراه مبنيًا بناء قويًا وبعضه عليه إلى علامات الجدة علامات عدم الاكتمال، فأخبروني أن المسجد قد أنشئ قبل أربع سنوات أي بعد انحسار عصابة الطغيان الشيوعي. وإن بناءه هو من تبرعات أهل الحي والمسلمين في المدينة وإنهم لم يتلقوا تبرعات من خارج البلاد مطلقًا لأنه ليس لهم صلات بالمسلمين في الخارج بسبب القيود التي تفرضها طبيعة النظام الشيوعي.

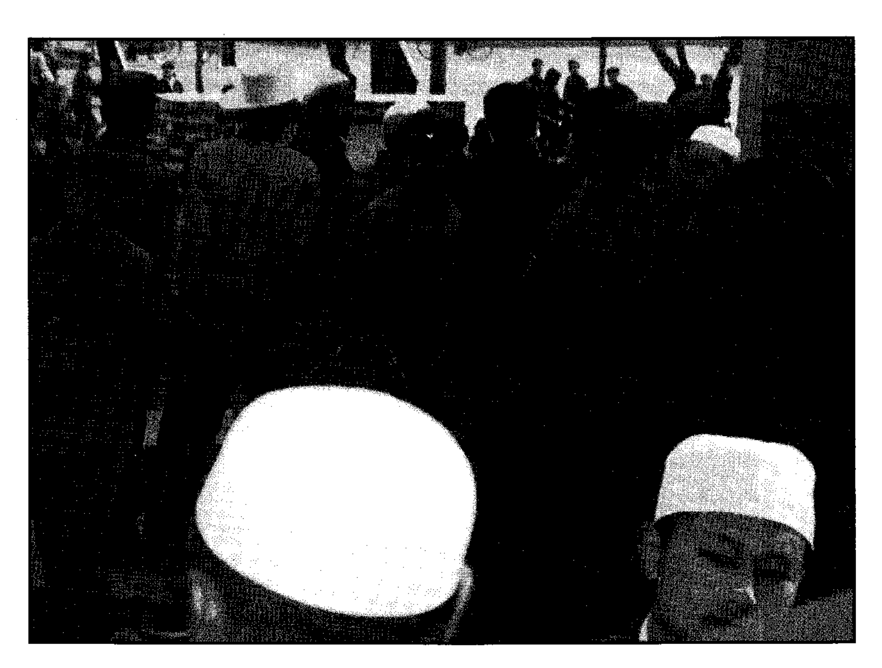
فأخبرهم أخوتنا المرافقون بأن البرنامج يضيق عما أعدوه من برنامج خطابي مطول فاكتفوا بكلمة وجهتها إليهم ترجمها إلى الصينية الأخ الأستاذ (لقمان ما شان لي).

ثم قمنا بالاطلاع على المسجد فألفيناه بني حديثًا بالآجر مسقفًا بالخشب على حين أن معظم بيوت الحي قديمة، مبنية بالطين وبعضها بالآجر مع الطين، ولا يكاد المرء يرى أبنية بالأسمنت المسلح في هذه المدينة بل في مدن الصين كلها التي رأيتها ما عدا الأبنية الكبيرة المتعددة الطوابق التي تقيمها الحكومة أو الجهات التابعة لها لإسكان موظفيها وعمالها.

وفي قاعة في الطابق الثاني من بناء في جهة الفناء من الجنوب كانوا قد نصبوا مائدة عليها الأشياء التي تقدم في الحفلات المعتادة غير مآدب الغداء أو العشاء وهي المكسرات والفواكهة المجففة التي سبق أن وصفت مثيلاتها ومعها الشاي الحار الصيني الخالي من السكر.

وكان الحديث لا يزال متصلاً عن هذا المسجد فقالوا: إن راتب الإمام يجمعونه من المسلمين وإنه ليس له راتب ثابت وإنما هو حسب المتيسر وهو يعرف حال المسلمين لذلك يعذرهم إذا لم يستطيعوا أن يجمعوا له ما يكفيه.

وقالوا: إن المسجد يحتاج إلى بوابة على مدخله الخارجي. وقالوا: إن المسجد بني من تبرعات المسلمين النقدية والعينية مثال ذلك أن يتبرع متبرع من المسلمين بكيس من الأسمنت، وآخر يتبرع بلبنات من لبن الآجر وآخر بأخشاب للسقف.



موقع مسجد تشوفا خانغ في لانجو

ثم ذكروا شيئًا مؤثراً وهو أن أكثر هذه التبرعات العينية للمسجد لا يذكر متبرعوها اسماءهم طلبًا للأجر من الله وحده ولئلا يشوب عملهم شيء من الرياء إذا عرفهم الناس بالتبرع.

وقد أخبروني بأن أغلب سكان الحي هم من المسلمين وقال الإمام: إن عدد الذين يصلون الجمعة في المسجد حوالي خمسمائة مصل وفي أوقات الصلاة المعتادة يتراوح بين مائة ومائة وخمسين.

وقال الإمام: إن المسلمين يزدادون ومنذ وقت قريب أسلمت ثلاث أسر من كفار الصينيين يتألفون من ١٧ شخصًا.

وقد أيده في قوله جماعة المسلمين الحاضرين وقالوا أيضًا: إن أولاد المسلمين أكثر من أولاد الكفار في العادة وقالوا: إننا لدينا طلابًا من طلاب العلم غير أنه لا يوجد لدينا معهد ديني وإننا نرجو أن نجد في مدينة (لانجو) في المستقبل مثل هذا المعهد.

عندما فرغنا من ذلك مررنا بشرفة تطل على فناء المسجد المزدحم فأبصرنا كثرة المسلمين وكيف أن النساء قد شاركت في هذا التجمهر ولكن كن منفردات عن الرجال.

وخرجنا من المسجد وسط الجموع فوجدنا الشارع غاصًا بالناس من مسلمين وغيرهم وإن كان المسلمون هم الأكثر بدليل وجود الطواقي على رءوسهم وبدليل أن أكثر النساء اللاتي كن يقفن بالشارع كن يسترن رؤسهن بما يشبه المناديل السود وذلك أمر لا تفعله الكافرات كما أن المسلمات قد أحضرن معهن أطفالهن.

وحتى أطفال المسلمين الصغار شاركوا في موكب التحية هكذا فكانوا يصفون صفوفًا منتظمة ويحيون.

ومن الأشياء اللافتة للنظر أزياء طلبة العلم المؤلفة من جباب -جمع جبة- سود شديدة السواد وطواق بيض ولا يسمونهم طلبة العلم وإنما يسمونهم (الخلفاء - جمع خليفة) أوالنبلاء بمعنى المعلم.

وكانت جماعة من الشرطة ورجال الأمن يحفظون النظام ووجدناهم قد كانوا في هذا المكان قبل وصولنا وهم الآن عند الخروج ينظمون الناس ويبعدونهم عن السيارات.

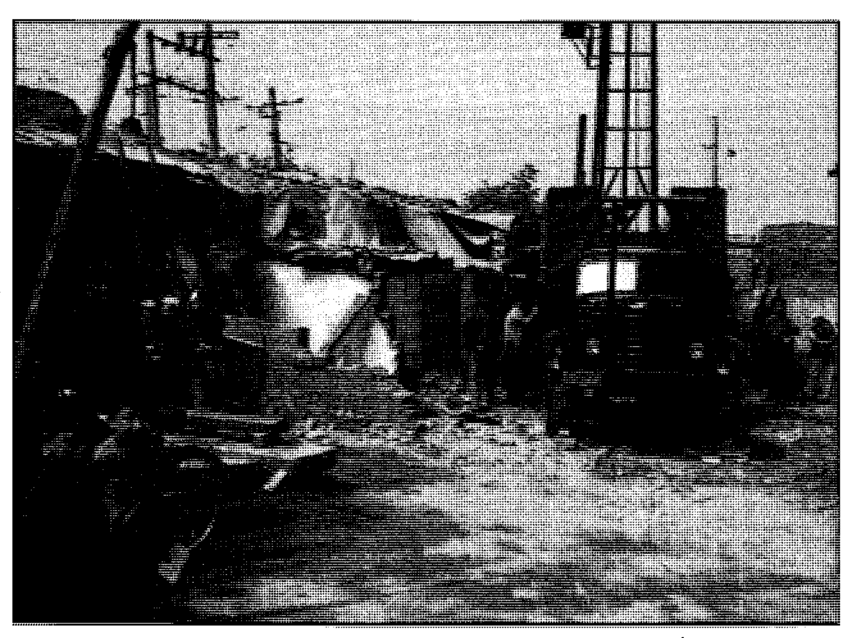
## المسجد الذي خربه الشيوعيون:

قصدنا مسجداً تاريخيًا بل إن بعض المسلمين يشعر بأنه جزء مهم من تاريخ وجودهم هنا ويسمى (جامع شي كوان) على اسم الحي الذي يقع فيه.

وهو مسجد قديم يقولون إن تاريخ بنائه يعود إلى أكثر من ستمائة سنة.

وأخبرونا أن الشيوعيين هدموه أثناء ما يسمى بالثورة الثقافية التي امتدت من عام ١٩٦٦م حتى ١٩٧٦م.

ويريد المسلمون بناءه الآن بل إن بناءه أصبح مطلبًا وطنيًا لهذه المقاطعة يهتم به حتى غير المسلمين من المهتمين بالأمور الثقافية والتاريخية.

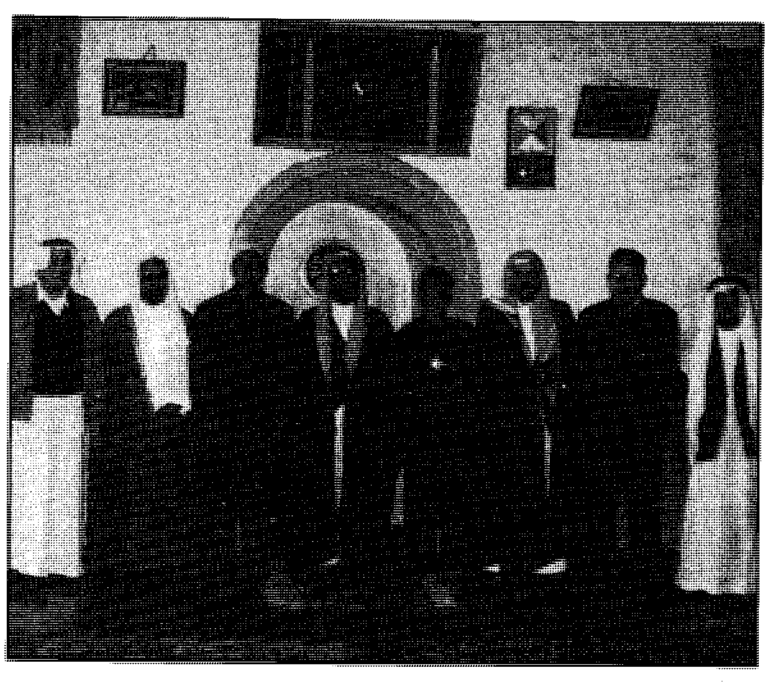


أرض المسجد الضخم الذي خربه الشيوعيون في لانجو

ولذلك أخبرنا إخوتنا المسلمون أنه قد تجمع لديهم الآن لإصلاحه نصف مليون ين وهذا مبلغ كبير بالنسبة إلى الصين ولكن الأخوة المسلمين القائمين على أمره يقولون: إن إصلاحه وإعادته إلى الكيفية التي كان عليها قبل التخريب الشيوعي يحتاج إلى مليون ونصف المليون من (الينات) أي ما يساوي مليونين وستمائة ألف ريال سعودي.

عندما وصلنا إلى المسجد رأينا فيه ما أحزننا إذ لم نر المسجد وإنما رأينا أنقاضه التي أجهز عليها إخوتنا المسلمون تمهيداً لإعادة بنائه.

وهو كسائر المساجد القديمة في مدن الصين لا يعتبر مسجداً منفرداً رغم سعته وإنما تحيط به أبنية ومرافق ومساكن للعاملين فيه تكون تابعة للمسجد ويغلق عليها معه باب عام واحد.



في المصلى المؤقت في مسجد شي كوان
والشيخ محمد ادريس ماوي جنغ إمام المسجد على يمينه المؤلف

أجلسنا إخواننا في غرفة من الطين كانت قد بقيت من المرافق التابعة للمسجد في ركن من أرض المسجد الكبيرة وهذه الغرفة مطلية بالجص كما هي عليه الحال في أكثر بيوت الطين الصينية القديمة التي يطلونها بالجص للتجميل وليس للتقوية كما كنا نفعل في بيوتنا الطينية في القديم.

وبدأت جلسة مباحثات في تلك الغرفة عن كيفية تعمير المسجد ورأس الجانب الصيني في هذه الجلسة الأخ (محمد إدريس) رئيس الجمعية الإسلامية في مدينة (لانجو).

قال الأخ محمد إدريس: إن التبرعات التي حصلنا عليها لتعمير المسجد التي بلغت حتى الآن خمسمائة الف ين كلها من مدينة لا نجو ولم تعطنا الجمعية الإسلامية المركزية أي شيء وكان ممثلو الجمعية معنا حاضرين.

وكان يتكلم وكل جسمه يختلج من فرط الحماس لتعمير المسجد وأخبرنا أن مساحة المسجد هي الفان وخمسمائة وتسعون متراً مربعًا منها سبعمائة متر مربع للمصلى والباقي بيت للامام ومحلات للوضوء. وقال: إننا نعتزم بناء المسجد وسيكون من أربع طبقات اثنتان منها للمصلى، وقال: إن عدد المصلين يوم الجمعة الآن يصل ما بين الف إلى الف وخمسمائة مصلٍ.

وكان هذا المسجد فيما بلغنا قبل هدمه أكبر مسجد في مدينة لانجو.

لقد سرتنا حالة إخواننا المسلمين وإقبالهم على عمارة المساجد في هذه المقاطعة التي يؤلفون فيها أقلية عددية، وذلك بقدر ما أحزنتنا حالة إخوتنا المسلمين فيما يتعلق بتعمير المساجد في مدينة (أورومسي) عاصمة مقاطعة سينكيانغ (تركستان الشرقية) لأن المساجد فيها تحتاج إلى ترميم وبعضها يحتاج إلى تعميره كله لأن الشيوعيين كانوا قد خربوه ولكن المسلمين هناك رغم

كونهم يؤلفون أغلبية عددية فإن جهودهم في ذلك ضعيفة وحكومة المقاطعة الشعبية الاشتراكية رغم وجود شخص مسلم على رأسها هو إسماعيل أحمد فإنها لا تساعد المسلمين في أمور دينهم خشية من أن يفسد جاهها عند الصينيين الشيوعيين .

## في مقر الجمعية الإسلامية:

انتقلنا إلى مقر الجمعية الإسلامية في مدينة لانجو وهو قديم أكثر ما فيه قدما قاعة الاجتماع التي هي كالفصل الدراسي فيها مقاعد من مقاعد الطلبة يجلس عليها الأعضاء بديلة من الكراسي المعتادة.

وحالة المكان سيئة من حيث المظهر والبناء وقد أخبرونا أن السبب في ذلك أن الشيوعيين كانوا قد أخذوه منهم إبان الثورة الثقافية ثم اعادته الحكومة الحاضرة إليهم منذ أشهر فقط قال لنا الشيخ خالد ما فوتن الأمين العام للجمعية الإسلامية في مدينة لانجو: إن الحكومة أعادته إليهم في عيد الأضحى الفائت والبناء من الأبنية الجيدة القديمة مبني بالآجر ومسقف بالخشب وفيه فناءان خارجيان.

وقال الشيخ خالد: إن في مقاطعة كانسو الفين وخمسمائة مسجد كلها تحتاج إلى مصاحف وكتب إسلامية لأن المصاحف تكاد تكون معدومة.

وقال: إننا سنفتح في شهر سبتمبر القادم المعهد الإسلامي وهذا حدث عظيم لأننا نريد تربية رجال الدين الإسلامي ليكونوا علماء في هذه المقاطعة ونتمنى من الرابطة إرسال المدرسين الذين يساعدون على التدريس في المعهد الإسلامي.

فأجبته بكلمة شكرتهم فيها على جهودهم الإسلامية الحثيثة ونوهت خاصة بعزمهم على افتتاح المعهد الإسلامي في سبتمبر القادم وقلت إن هذا سيكون

حدثًا عظيمًا مهمًا بل فتحًا إسلاميًاجديداً لأن أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المسلمون هو نشر الثقافة الإسلامية وتربية أولادهم تربية إسلامية حتى لا يفقدوا التربية الإسلامية فيفقدوا مقومات المحافظة على دينهم .

لأنني قد رأيت أقليات عددية إسلامية في كثير من البلدان قد ذابت ذراريهم في الأكثرية الكافرة بسبب عدم التعليم وإطباق الجهل بالدين حتى فقدت ناشئتهم انتماءهم الديني الصحيح ولذلك صارت فريسة لدعاة الضلال وبالتالي ذابت فيهم.

وقلت لهم إننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون للإسهام في إقامة هذا المعهد سواء من حيث إرسال المدرسين والكتب الدراسية أو من حيث الإسهام في النفقات.

وعلى ذكر النفقات أخبرونا أن الجمعية الإسلامية المركزية في بكين قد أعطتهم سبعين الف ين مساهمة منها في إقامة المعهد وقد التفت إليّ أحد المسئولين في الجمعية فقال علنا: إن ذلك المبلغ هو من المبلغ الذي سبق أن تبرعت به الرابطة للإخوة المسلمين في الصين وقدره خمسمائة ألف دولار.

كما قالوا: إن الحكومة المحلية في المقاطعة قد أعطتهم خمسين الف ين إسهامًا في إنشاء المعهد الإسلامي وهذا أمر عجيب إذْ هي حكومة اكثرية كافرة بل شيوعية ملحدة ولكنها تريد التقرب من المسلمين وتحاول أن تحسن سمعتها في نفوسهم.

ومع هذه التبرعات فإنهم ذكروا أنهم لكي يعيدوا بناء هذا المقر وبناء معهد إسلامي معه يحتاجون على الأقل إلى ما يقارب مليون ين فوعدناهم بالمساعدة على ذلك.

وقد ضمناه تقريرنا الذي وضعناه عن الجهات المحتاجة للمساعدة المالية.

وفي نهاية زيارة مقر الجمعية الإسلامية أحضروا دفتر الزيارات ومعه قلم قديم يكتب فيه من حبر سائل أسود كالذي كنا نستعمله في القديم.

ثم ودعناهم شاكرين داعين لهم بالخير، وكان وداعًا حافلاً التفت حوله جماهير المسلمين والتفت معهم أعداد من غير المسلمين حضروا للتفرج برؤية هؤلاء الضيوف الغرباء الذين يلبسون لباسًا عربيًا غريبًا على أعينهم ويمتطون سيارات صغيرة فارهة لا يركبها من الصينيين الا من هو ذو حظ عظيم وقليل ماهم، أما ملكيتها فإن الصينيين لا يملكها منهم أحد.

## ومسجد آخر هدمه الشيوعيون أيضًا:

تركنا المسجد الذي كان أكبر مسجد في مدينة (لانجو) قبل أن يخربه الشيوعيون وهو يرفرف على مقره العلم الإسلامي أو لنقل شعار المسلمين وهو علم أخضر قد رسموا الهلال والنجمة في وسطه إلى مسجد آخر هدمه الشيوعيون أيضًا إبان طغيانهم في هذه البلاد ولكنه لم يكن أكبر مسجد بل لم يكن من المساجد المشهورة بالكبر. ويسمى (مسجد تشنغ هوتشان) ومعناه زقاق الصين الجديدة وهو بالفعل واقع في نهاية زقاق غير واسع.

وكان مسجداً قديمًا يظنون أنه بنى قبل مائتي سنة فهدم أثناء الثورة الثقافية الشيوعية وقد رأينا مكان المسجد خاليًا تمامًا إذّ أزالوا الأنقاض المهدومة تمهيداً لإعادة بنائه على الطريقة الأصلية التي كان عليها.

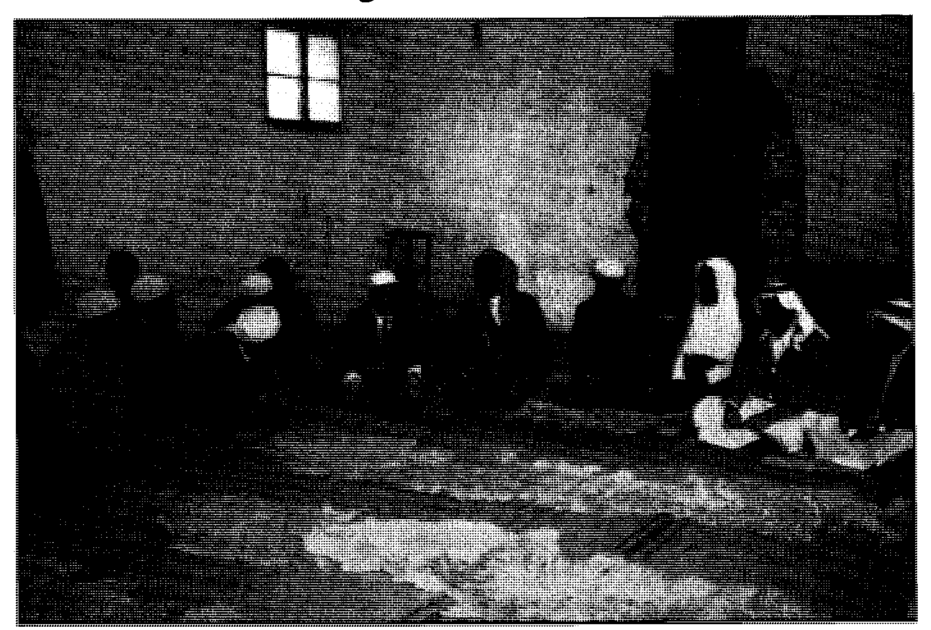
وتألفت لهذا الغرض جمعية من أهل الحي أخذت تجمع النقود بالين الواحد ونصف الين حتى جمعوا بعد جهد جهيد ثلاثين ألف ين من سائر المسلمين هنا فلم تعطهم الجمعية الإسلامية الصينية ولا أية جهة أخرى خارجية أو داخلية شيئًا من المال.

وذكروا أنهم لا يزالون يحتاجون إلى ثمانين ألف ين.

ومن الطريف أنهم وضعوا قائمة طويلة بالمتبرعين نوهوا فيها بأسمائهم والمبالغ التي تبرعوا بها وذلك من أجل أن يحثوا الآخرين على الاقتداء بهم.

فقلت لهم: إنني أرجو أن تضموا رابطة العالم الإسلامي إلى هذه القائمة وإن كنا نعتقد أننا لا نتبرع تبرعًا وإنما نقوم بأداء الواجب الذي نرى القيام به لازمًا لنا.

ثم جلسنا في مصلى مؤقت كانوا قد أقاموه يصلون فيه ريثما يتم بناء المسجد ويقع في جانب من الفناء المكشوف التابع للمسجد.



المصلى المؤقت في المسجد المهدوم كله في لانجو

وهو متواضع يدل على إخلاص العمل مع نقص الإمكانات، من ذلك أن فرش المسجد كلها من جلود وبعضها تحته بعض الأردية المحلية في شكل غير متناسق ولكن هذا هو جهد المقل لهؤلاء الأخوة الكرام الذين هم من الصابرين

المصابرين بل ربما صح القول إنهم من المرابطين لأنهم يدافعون الإلحاد مع الفقر وقلة الإمكانات.

وقد أخبرونا عن المسجد القديم أنه كان مبنيًا بالأخشاب وأنهم الآن يريدون إعادة بنائه بالآجر والأسمنت فدعوت لهم بالتوفيق وشجعتهم على مواصلة العمل فيه وبنيت لهم ما أدخره الله سبحانه وتعالى من الأجر والثواب لمن بنى بيتًا من بيوت الله وبخاصة في هذه البلاد التي تقطنها أغلبية من غير المسلمين ثم قادونا إلى غرفة في المكان هي التي تتخذها جمعية المسجد بمثابة المكتب وقاعة الاجتماع فوجدناهم قد أعدوا المكسرات والمأكولات الخفيفة ومعها الشاي الصيني كالمعتاد ويقع المسجد في حي قديم يسمى (تشنغ أن تشي) أكثر بيوته بالطين والآجر وأزقته ضيقة.

ومع ذلك وجدنا الحكومة قد اهتمت بالأمن وحفظ النظام هنا أكثر ربما من أجل كثرة الجماهير التي لم يكونوا ينتظرونها فأضافت إلى الموكب ضابطًا راكبًا على دراجة نارية وجنوداً يكونون موجودين في المكان الذي نذهب إليه قبل وصولنا لا يفارقونه حتى نتركه.

وفي هذا الحي حوانيت في شارع فيه عام لا يتسع لأكثر من سيارتين وهي حوانيت متوسطة أخبرونا أنها كلها مملوكة للحكومة.

وأكثر المواصلات شيوعًا فيه بل هي الوسيلة الوحيدة هي الدراجات الهوائية المعتادة لذا رأينا راكبي الدرجات من الرجال والنساء عندما يرون هذا الموكب المؤلف من عدة سيارات صغيرة يقفون بدراجاتهم وينظرون إليه بشيء من الفضول ولكن بهدؤ ونظام كما هو الغالب على حالتهم لأنني لم أر في هذا الحي كله أية سيارة غير سياراتنا إلا واحدة.

## حالة مؤثرة:

لقد كان الإخوة الذين يقومون على تعمير المسجد قومًا من ذوي الدخول المحدودة إن لم يكونوا من الفقراء تدل على ذلك مظاهرهم من ثياب رخيصة قديمة وفرحهم وتأثرهم من أي مبلغ يضم إلى مالديهم للمسجد ولو كان قليلاً.

ومع ذلك يصبرون ويصابرون على جمع المال على أمل أن يروا هدفهم في تعمير المسجد قد تحقق.

لقد قال الإخوة المرافقون من الصينيين: إن كثيراً من المسلمين لا يجدون كفايتهم من الطعام ومع ذلك يتبرعون للمساجد.

وهذا أمر صحيح عرفته من حال الصين في قلة الأجور وإغلاق أبواب الأعمال الحرة التي قد تزيد من الدخول المحدودة حتى يعتبر الشعب بحق كله من الفقراء ماعدا قلة من المسئولين الحكوميين الذين يكونون أكثر ترفا وإن لم يكونوا من أصحاب الثراء.

وتذكرت ما نحن فيه من النعم كما تذكرت أقوامًا من بني قومنا العرب في ديارنا وفي خارج ديارنا عندهم فضول من المال لا يدرون كيف يصرفونها فتجد بعضهم يصرفها في الملذات المحرمة وفي الأشياء المباحة التي لا يحتاجها وقلت: ماذا لو تضامن هؤلاء جميعًا وأنشأوا صندوقًا خيريًا لدعم الإخوة المسلمين الذين يرزحون تحت كابوس الشيوعية أو يئنون تحت ثقل الفقر والحاجة يساعدونهم على بناء المساجد وافتتاح المعاهد الإسلامية؟ وثِقل ذلك على نفسي رغم ما أراه من مظاهر الفرح والابتهاج البادية على وجوه إخوتنا المسلمين هؤلاء.

وعندما ذكرت أن المملكة العربية السعودية هي أكثر دولة تقدم العون والتعضيد للإخوة المسلمين في أنحاء العالم وأنني بنفسي كنت واسطة لإيصال العدد الكبير من هذا الدعم إلى المسلمين سواء بما اقترحته من مساعدات حازت الموافقة أو بما قدمته مباشرة من أموال فوضني المسئولون بتقديمها للمسلمين سُرّي عني قليلاً فحمدت الله وشكرته.

ثم عدنا إلى الفندق سائرين مع الضفة الجنوبية للنهر الأصفر مع الشارع المسمى بشارع الكورنيش وهو شارع واسع جيد قد اعتنوا به عناية خاصة غير أن هذه العناية مقصورة على الضفة الجنوبية التي تقع في ضاحية واسعة وتقطنها أغلبية من غير المسلمين أما ضفة النهر الشمالية التي يقع عليها الحي الإسلامي فإنها لم تمسها يد الإصلاح والتعمير وربما كان السبب في ذلك ضيقها حيث أنها تنهض مباشرة مع نهوض الجبل من ضفة النهر.

ويذكر بهذه المناسبة أن النهر الأصفر الذي هو من أهم الأنهار في الصين تقع أول مدينة مهمة عليه هي هذه المدينة (لانجو).

## استئناف الجولة على المساجد:

تناولنا الغداء في الفندق في الوقت المحدد الذي لا يتغير في كل أنحاء الصين وهو الثانية عشرة ظهراً ثم استرحنا قليلاً وكانت الجولة في الصباح على مساجد كلها واقعة في الضفة الجنوبية من النهر الأصفر أما هذه المرة فقد اجتزنا النهر الأصفر في الساعة الثالثة ظهراً من الجنوب إلى الشمال قاصدين الضفة الشمالية من النهر.

## مسجد منصة السماء:

واسمه بالصينية (مسجد خوتين تاي) قالوا، إن معناها (مسجد منصة السماء) والسبب في ذلك أنه مرتفع في الجبل الواقع على الضفة الشمالية من النهر.

رأينا المنظر المتكرر وإن لم يتكرر الناس فيه وهو منظر الجماهير المحتشدة من المسلمين التي اصطفت في صفوف منتظمة مفسحة الطريق إلى المسجد وذلك بتنظيم من رجال الأمن ومن زعماء المسلمين فأوقفنا السيارات في شارع ضيق في أول الجبل ثم أخذنا نصعد على الأقدام إلى الجبل مع أزقة غير واسعة بعضها فيه درج وبعضها مرتفع ارتفاعًا متدرجًا يصعب السير فيه وذلك كله بين صفين طويلين من صفوف المستقبلين حتى قال لي أحد المرافقين وهو يرفع رأسه إلى الأعلى هنا بوابة المسجد فرأيت بوابة عالية عليها أزج أي عقد يشبه الهلال المسترخي وهو على غير بناء وإنما وضعوه يدل على حد الأرض التابعة للمسجد وهو قديم.



طريق الوفد إلى مسجد منصة السماء بين صفين من المسلمين

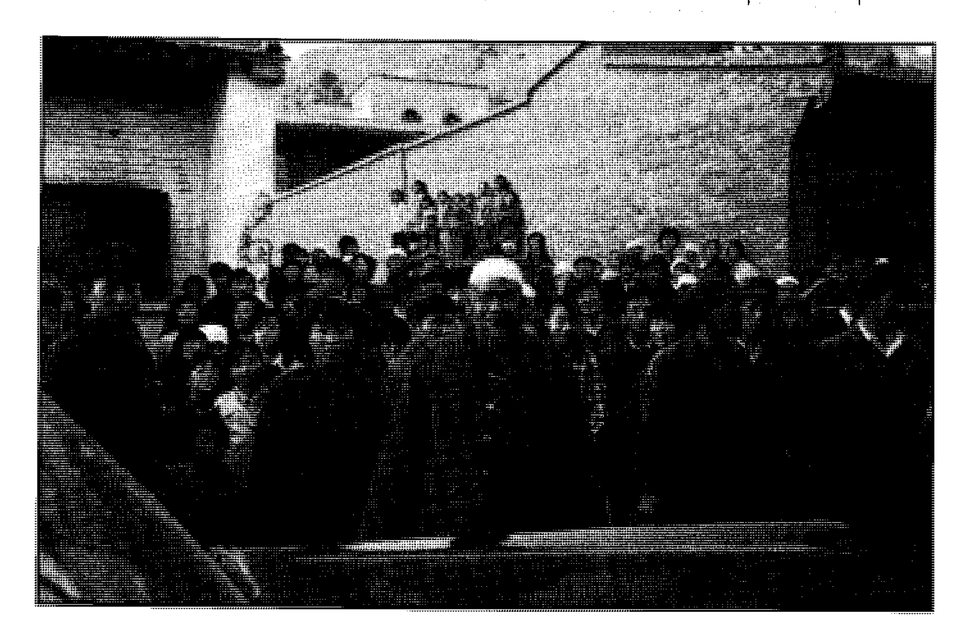
وجدنا الزحام على أشده عند باب المسجد واستقبلونا بنشيد بالصينية قال لنا المترجمون إنه نشيد الترحيب ثم كان الاجتماع في غرفة من بيت ملحق بالمسجد لأن المسجد هنا مثل سائر المساجد القديمة في الصين تتبعه ملاحق

ومرافق وقد وجدناهم نصبوا مائدة مستطيلة حافلة بالأطعمة الخفيفة الجافة مع الشاي الصيني المعتاد والتفاح الذي تنتجه المقاطعة.

كان يتزعم الحاضرين ويتصدر الحديث إمام المسجد الأخ (محمد بشير ماه لين).

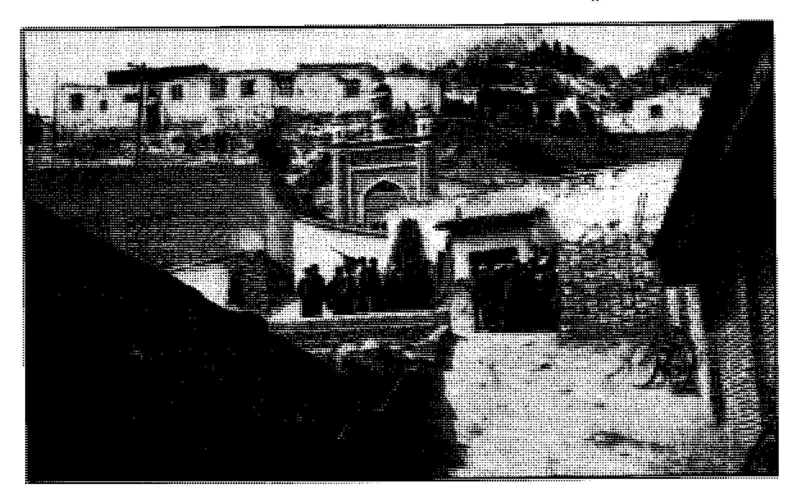
حدثونا عن المسجد وهم جماعة كبيرة فقالوا: إنه مسجد قديم يرجع تاريخه إلى ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين سنة وأنه خرب بل هدم إبان الثورة الثقافية الشيوعية وهم لا يصفون الثورة الثقافية هذه بإنها شيوعية لأن هذا الوصف ينطبق أيضًا على الحكومة الحاضرة التي أعادت المساجد للمسلمين وإنما يصفونها بأنها من تدبير عصابة الأربعة.

قالوا: إن لهذا المسجد أهميته التاريخية في نفوس المسلمين ولحاجتهم للصلاة فيه في الوقت الحاضر لهذا أعيد المسجد إلى المسلمين في أوائل عام ١٩٨٠م ولكنه لم يبق فيه مكان يصلى فيه لأن الشيوعيين خربوه كله.



الاستقبال في حي (منصة السماء) في لانجو

فتألفت جمعية من أهل الحي أخذت تجمع التبرعات وبدأت في ذلك فوراً غير أنها بعد جهد جهيد ووقت عدته طويلاً استطاعت أن تجمع من أفراد المسلمين مبلغًا قليلاً لا يكفي تعمير المسجد فقررت أن تضع برنامجًا لتعميره مقسمًا على أربع سنوات وأنجزت المرحلة الأولى في حينها. وما زالت حتى الآن تجمع التبرعات وتوالي التعمير.



بوابة مسجد منصة السماء

وأخبرونا أن الحي الذي يقع فيه المسجد فيه أربعة مساجد وكلها قديمة وتحتاج إلى تعمير وهو قريب من المسجد الأول الذي زرناه أمس في طريقنا من المطار إلى الفندق المسمى (بمسجد فوق الماء).

وقالوا: إنهم يقدرون النفقة اللازمة لإكمال تعمير المسجد بعشرين الف ين أي أربعة وثلاثين ألف ريال سعودي. وقد وعدناهم بالإسهام العاجل في ذلك كما وعدناهم بتقديم مبلغ أخر أكثر وأجل من ذلك.

كما وعدناهم أيضًا بالإسهام في فرش المسجد لأنهم لم يجمعوا شيئًا لذلك على اعتبار أن المهمة الأولى هي التعمير وفرش المسجد في الأماكن الباردة أمر

مهم جداً لأن المصلين لا يستطيعون في الأيام الباردة أن يصلوا على بلاط أقرع أو حتى على فراش خفيف بخلاف البلاد الدفيئة أو الحارة.

كان الجميع يتكلمون ويردون على الأسئلة غير أنني أردت أن أرى الرجل الذي يرأس جمعية المسجد فسألتهم عنه قالوا: إنه الأخ (محمد عوض) واسمه الصيني (تشيانغ جي فوا). فقدموا رجلاً صموتا يغلب عليه الخجل قدرت عمره في حدود الخمسين. فقلت له كيف توفق بين العمل في رئاسة جمعية المسجد وكان العمل قائمًا بالفعل في المسجد ونحن فيه وبين عملك الأصلي؟.

فأراد أن يتكلم غير أن القوم سبقوه قائلين: إنه عامل متقاعد.

فقلت له: إذاً كم عمرك؟ فأجاب: إحدى وثمانون سنة!

فعجبت من هذا الذي قاله ووافقه عليه الجميع الذين قالوا: إنه تقاعد عن العمل منذ ست وعشرين سنة ولكنه لم يتقاعد عن العمل الصالح في إصلاح هذا المسجد وتعميره.

## المسلمون يعمرون أكثر من غيرهم:

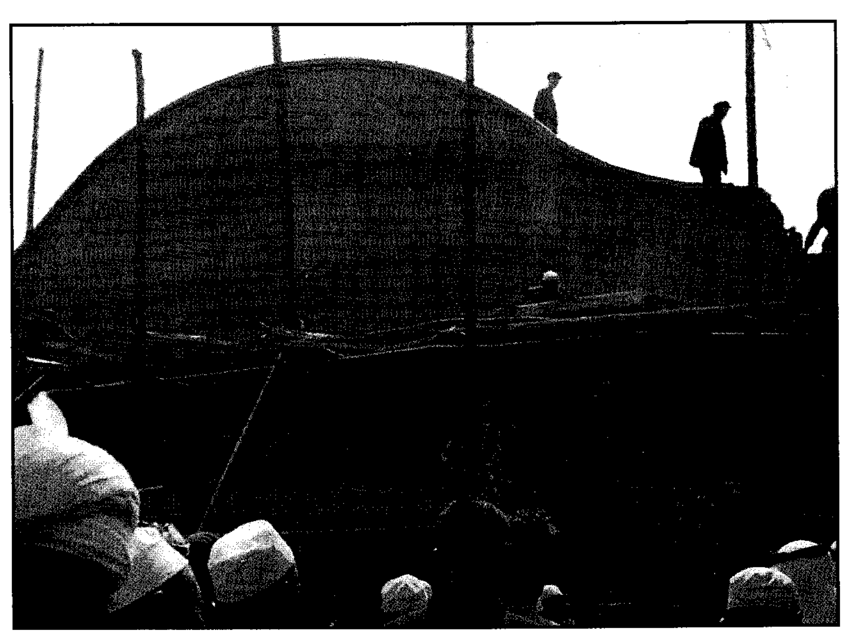
عندما أبديت عجبي من حال هذا الأخ الكريم الذي لا شك في أن سبب نشاطه وعدم ظهور أثر الثمانين سنة على وجهه هو إيمانه العميق قال لنا إخواننا المسلمون الحاضرون: إن المسلمين يعمرون طويلاً في الصين وإن كون ابن الثمانين يعمل كما يعمل الآخرون أمر معتاد ولا يلفت النظر وقال أحد المثقفين الحاضرين: لقد نشرت مؤخراً دراسة قام بها جماعة من الباحثين الصينيين من غير المسلمين وتناولت دراسة حال اثنين وعشرين شخصًا من المعمرين الذين تجاوزت أعمارهم مائة سنة فوجدت أن واحداً وعشرين شخصًا منهم من المسلمين وواحد فقط فيهم من غير المسلمين. كما وجدوا أن عشرين شخصًا منهم من

أهل الريف واثنين فقط ممن كانوا يعيشون في المدن.

وقالوا: إن الباحثين قالوا: إنه ربما كان سبب طول أعمار المسلمين عدم أكل لحم الخنزير الذي هو مشبع بالدهن وعدم شرب الخمور إضافة إلى الطمأنينة النفسية التي يوفرها الإيمان.

وعلى أية حال فإن القرويين من المسلمين مشهورون بطول الأعمار في الصين.

وبعد حديث طويل مع الإخوة المسلمين انتقلنا إلى مشاهدة المسجد فوجدناهم قد أعادوا بناءه واسعًا مبنيًا بالآجر والأسمنت ومسقفًا بالخشب والحديد على هيئة السنام القوي المتقن. ومفروش الآن بجلود من جلود الغنم ربما كانت عارية من بعض المحسنين. وهي في الصفوف المتقدمة التي يصلى عليها في الأوقات المعتادة وفي الجزء الأمامي من المسجد فقط وليست شاملة له.



مسجد منصة السماء (تحت البناء)

وقد شجعناهم على مواصلة العمل ودعونا لهم دعاءً جماعيا كانوا يؤمنون عليه وللأخ الكريم المعمر في الخير/ محمد عوض رئيس لجنة إعمار المسجد بصفة خاصة.

## حديقة العيون الخمس:

ودعنا هؤلاء الإخوة الكرام وداعًا مؤثراً ثم انطلقنا نازلين مع أزقة هذا الحي المتعرجة المتدرجة في النزول وسار الموكب تتقدمه دراجة نارية بثلاث عجلات فيها ضابطان من ضباط الشرطة فاجتزنا الجسر الذي يعلو النهر الأصفر قاصدين جهته الجنوبية فدخلنا المدينة التي تقع في معظمها على الضفة الجنوبية من النهر محصورة في واد مستطيل بين جبلين كما تقدم.

وكانت الفقرة التالية في زيارة الوفد حسب البرنامج الموضوع هي زيارة حديقة (موتشوان) ومعناها: العيون الخمس، والمراد بالعيون هنا عيون الماء لأن فيها عيونا تنبع من لحف الجبل الذي تقع فيه الحديقة.

وجدنا باب الحديقة مغلقًا دون السيارات لأنه لايسمح بدخولها ولأنه لا توجد سيارات وإنما وجدنا بديلة عنها آلاف الدراجات التي أوقفها أربابها في الخارج ودخلوا الحديقة بأعداد كثيرة لأن اليوم هو الأحد وهو يوم العطلة الوحيد في الأسبوع لأن العمل في الصين يستمر ستة أيام بدلاً من خمسة أيام كما هو عليه الحال في بلادنا وفي أكثر البلدان المتقدمة في الاقتصاد والصناعة.

ففتح باب الحديقة لسيارات الموكب التي هي خمس غير دراجة الشرطة ثم أخذت السيارات تصعد مع طرق مسفلتة في وسط الحديقة الواقع في لحف الجبل حتي انتهى بها الصعود في ساحة مرتفعة مبلطة. ولم يبق أمام من يريد

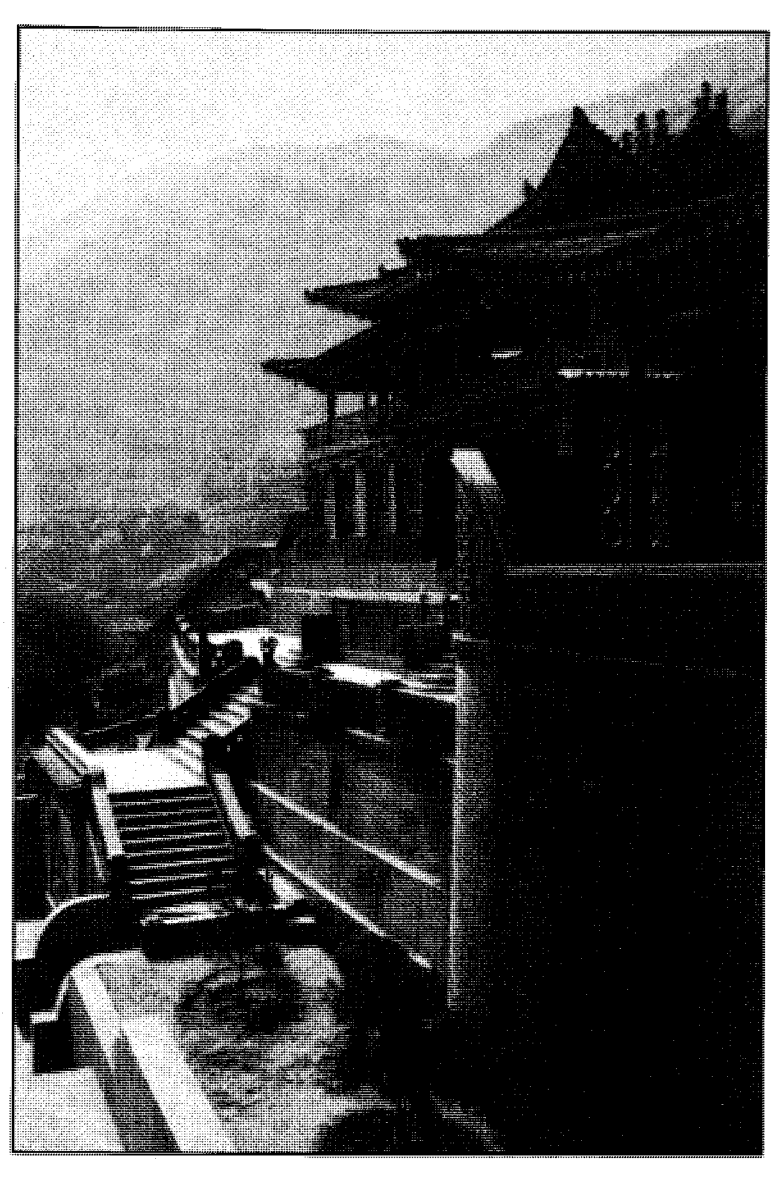
المزيد من الصعود في الجبل الا أن يرقى مع درج صخري صاعد في الحديقة الصاعدة في الجبل. فصعدنا على أقدامنا درجا فوق درج حتى وصلنا إلى بناء صيني في قمة الحديقة ولكنه دون منتصف الجبل الذي تقع الحديقة في لحفه ابتداء من سفحه حتى حوالي ربعه فأشرفنا من هذا المكان المرتفع على إحدى العيون الخمس التي سميت الحديقة على اسمها وهي في الحقيقة عيون صغيرة أو منابع للمياه وهي قليلة المياه.

واستقبلنا مدير الحديقة الذي كان في الانتظار بموجب أمر من السلطات الرسمية وهو غير مسلم ذو ملامح صينية كاملة ليس فيها من وجاهة الملامح الصينية التي على وجوه المسلمين شيء واسمه (فونغ تشان يان).

قال: إن رواد الحديقة في هذا اليوم يبلغون ثلاثين ألفا وفي أيام الأعياد يبلغ العدد سبعين ألفًا. وهم يتسلمون رسمًا مقداره خمسة أجزاء من مائة جزء من الين عن الشخص الواحد.

وقال: إن الحديقة بهيئتها الحاضرة أي بكونها حديقة عامة لم توجد الا في عام ١٩٥٣م ، أي في زمن الحكم الشيوعي غير أن الأبنية قديمة. ولا أشك في أن كل هذه الأشياء التي رأيناها فيها قديمة ما عدا الملاجئ التي سيأتي الكلام عليها.

والأبنية التي فيها هي على هيئة أبنية القصور الصغيرة التي كان يسكنها المترفون والأثرياء والنبلاء في القديم وكلها من الخشب المزوق بالحفر والنقش والتزيين وفق الذوق الصيني التقليدي المعروف، ولكن أكثر هذه الأبنية قد أصبح في حاجة إلى طلاء أو ترميم.



حديقة لانجو

ومن الغريب الذي كان مفاجئًا لي أن هذا الجبل العالي الذي تقع الحديقة في لحفه هو من التراب الصلب الذي يختلط بالحجارة بنسبة ضئيلة جداً. وكان منظره على البعد يوحي بأنه جبل من الصخر لأنه واقف ويبدو ذا هضاب

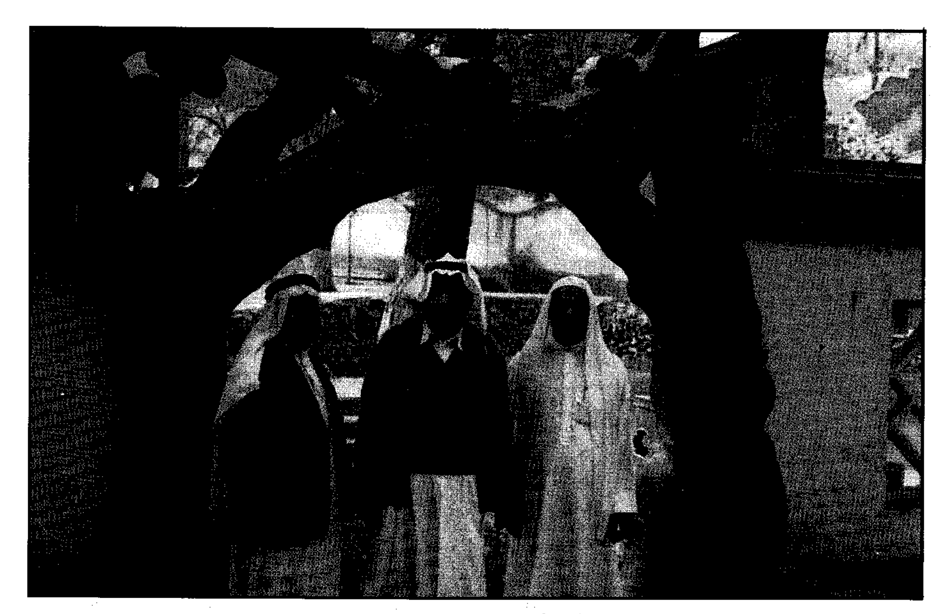
متعددة. وهو واحد من الهضاب التي تؤلف الحد الجنوبي للوادي الذي تقع فيه مدينة لانجو ويسير النهر الأصفر في شماليه.



في حديقة العيون الخمس في لانجو

تقدمنا مدير الحديقة في جولة على الأبنية الموجودة في أعلى الحديقة تخللتها وقفات في أماكن تشرف على مناظر معينة رائقة فيها. إذ يشاهد المرء منها الحديقة العالية تحته وجزءاً كبيراً من مدينة لانجو والتلال العالية التي تؤلف الضفة الشمالية من وادي (لانجو).

ثم دعانا إلى الجلوس في قاعة للجلوس ذات أثاث غربي حديث لا طعم له عندنا لأنه مألوف لنا مملول من أنظارنا ثم أحضروا المشروبات الغازية أيضًا التي هي الكوكاكولا ونحوها وكان الأنسب لنا لو كان الأثاث صينيًا خالصًا والشراب صينيًا محليًا وجاءوا كذلك بالشاي الصيني الساذج الخالي من السكر.



ثلاثة من الزملاء تحت قوس من أغصان الشجر المعمر في حديقة العيون الخمس

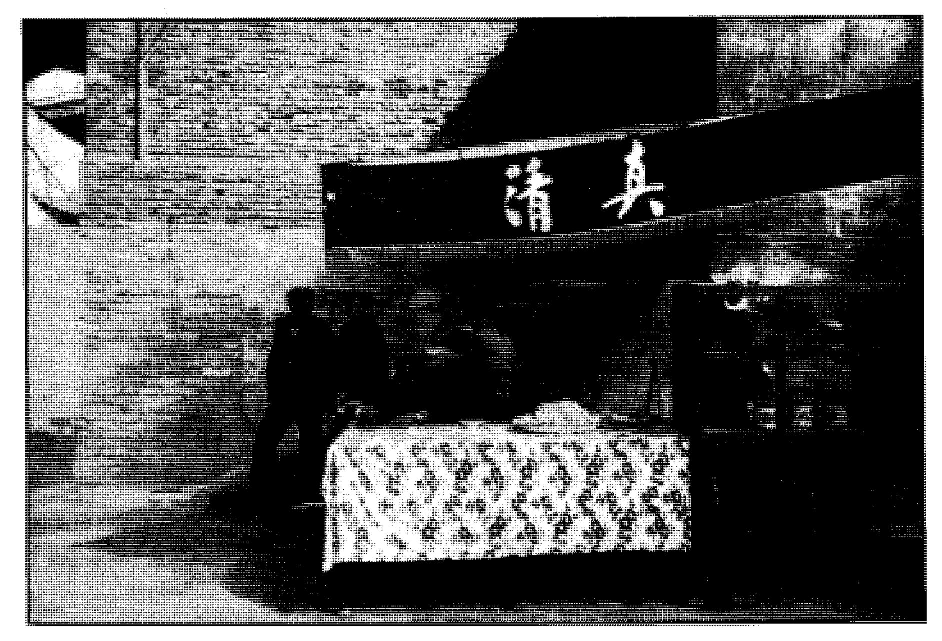
ثم انحدرنا مع مدير الحديقة وباقي المرافقين لمشاهدة الحديقة فوقفنا عند إحدى العيون التي هي على هيئة بئر تصب تفيض في بركة بجانبها.

وكان الانحدار على الأقدام مع درج يكون حاداً في بعض الأحيان.

## مطعم المسلمين:

لم نفقد أثر المسلمين في الحديقة رغم قلتهم في العدد إذ وجدنا مطعماً مكتوبًا عليه بالصينية (تشن دن) وهو الاسم الشائع في اللغة الصينية للدين الإسلامي ومعناها النقاء الخالص، أو الاكثر صفاءً.

وقال مدير الحديقة إن في الحديقة مطعمين لعامة الصينيين ومطعمًا واحداً للمسلمين هو هذا.




مطعم المسلمين في حديقة العيون الخمس

وقد رأينا الطعام في المطعم الإسلامي أغلبه من اللحم المفروم والمكرونة الصينية.

وواصلنا الإنحدار مع درج منحوت في أرض الحديقة التي هي في سفح الجبل حتى وصلنا.

## الملجـــأ:

وهو ملجأ أقامته الحكومة الصينية عندما اشتد النزاع ما بينها وبين الاتحاد السوفييتي وخشيت أن يتطور هذا النزاع إلى حرب بين البلدين فأنشأت هذا الملجأ تحت سطح الأرض الذي هو في الحديقة جانب من سفح هذا الجبل الطيني الصلد.

ولكنهم عندما أكملوه لم يدعوه بدون استغلال فجعلوا فيه من المناظر ما يغري بالزيارة وفرضوا رسمًا على من يدخلونه فجنوا منه من المال أضعاف ما أنفقوا عليه، ولا يزالون يستغلونه حتى الآن دخلنا إلى هذا الملجأ خلف مدير الحديقة التي يتبعها الملجأ في الإدارة لأنه واقع في وسطها فنزلنا مع درج في الأرض مضاء بالكهرباء.

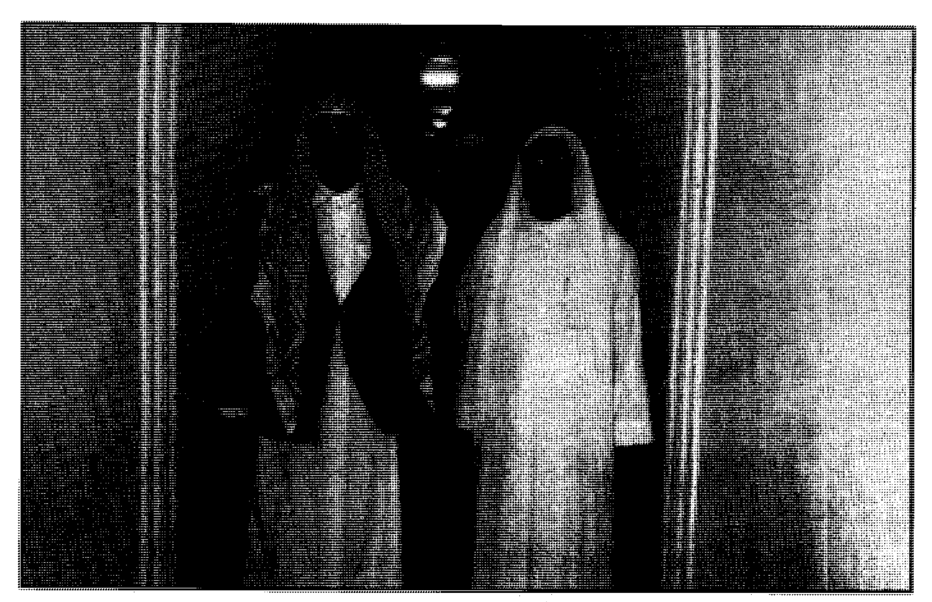
وقد أفضى هذا الدرج النازل إلى الأسفل إلى قاعة انطلق منها ممران متشابهان ثم تفرع كل ممر إلى ممرات عدة ولكي يعطوا المرور شيئًا من الحياة أو المتعة عرضوا رسومًا ولوحات وأحيانًا نماذج من المصنوعات المحلية الجميلة في أماكن متفرقة.



تمثال عروس البحر في حديقة العيون الخمس

ومن طرائف المعلومات عنه ما أخبرنا به مدير الحكومة من أنه ينقص ثلاث عشرة درجة عن الخارج في شدة البرد والحر فتكون درجة الحرارة فيه في شدة الصيف أقل من الخارج ثلاث عشرة درجة وتكون في الشتاء أعلى بثلاث عشرة درجة.

ثم أوغلنا في سردايب نظيفة مضاءة كان من أطرف ما رأينا في آخر أحدها منظراً طبيعيًا مجسمًا فيه تماثيل لضفادع تسمع نقيقها مسجلاً وكأنما هي ضفادع حقيقية ومثلها طيور سجلوا أصواتها أيضًا وهي كلها تماثيل جامدة.



الشيخ عبد الرحمن المنيعي والشيخ عبد الرحمن بن عوين يخرجان
من الملجأ في حديقة العيون الخمس

وقد خرجنا منه نهتدى بمدير الحديقة لأنهم يقولون: إن الخروج منه من غير دليل أمر صعب وذكروا أن اسمه (الملجأ الشعبي) وانه توجد عدة ملاجئ مثله في المدن الرئيسية في الصين.

وقد ابى مدير الحديقة الا توديعنا عند باب الحديقة الذي هو في أسفلها.

## في قلب المدينة:

كان المقرر في البرنامج أن تكون الفقرة التالية زيارة معبد بوذي في المدينة وقد وضعتها الحكومة للتدليل على أنها لا تمنع العبادة ولا تغلق دورها غير

أننا رأينا عدم الذهاب للمعبد لأنه واضح من الموكب ومن ملابسنا العربية أننا وفد إسلامي رسمي ولا نحب أن نزور معبداً بوذيًا ونحن بهذه الصفة الرسمية.

فعدلنا عن ذلك إلى قضاء بعض الوقت على ضفة النهر الأصفر فاخترقنا قلب المدينة الذي يعج بالناس في مثل هذه الساعة التي تجاوزت الخامسة وهي وقت انصراف الموظفين في العادة ولكن اليوم هو يوم الأحد الذي هو يوم العطلة الأسبوعية.

وأكثر ما يلفت النظر في هذه الشوارع هو منظر راكبي الدراجات لكثرتهم وتنوع أعمارهم وسيرهم الحضاري الرزين الذي لانرى فيه أحداً يحاول الاعتداء على أحد بالتسابق على المرور أو الازدحام عليه.

والقوم هنا صينيون لغتهم الوحيدة هي الصينية ولكنك ترى في ملامحهم شيئًا يغاير ما نعرفه عن وجوه الصينيين قليلاً فالوجوه فيها استطالة أكثر من المألوف في وجوه الصينيين والأجسام أقل كثافة؛ والعيون أقل اتساعًا أو لنقل أكثر ضيقًا لأن الاتساع الحقيقي غير موجود في عيون الصينيين على وجه العموم. كما يبدو الشباب والأحداث منهم في صحة أكثر ممن هم في سائر الصين أو هكذا خيل إلي وربما كان ذلك بسبب تأثير الجو الشمالي البارد لقد فكرت وأنا أرى كثرة المشاة وراكبي الدراجات وقلة السيارات فيما لو أتيحت للصينيين الفرصة التي أتيحت لأكثر الشعوب من امتلاك السيارات لأنه لا يكاد يوجد في الصين من يملك من المواطنين سيارة خاصة به فتيقنت أنهم لو ملكوا السيارات مثل غيرهم لضاقت بهم مدنهم ولم يستطيعوا التحرك في شوارعها.

وذلك بسبب كثرتهم ولكون شوارع المدن الرئيسية قد بقيت على ماهي عليه قبل الشيوعية من دون توسعة، وتحتاج توسعتها وتهيئتها للسيارات التي

يملكها أفراد الشعب إلى جهود وأموال لا تستطيع الحكومة الشيوعية الحاضرة ولا حكومة مثلها أن توفرها. فتذكرت في نفسي قولة لأحد الظرفاء من أهل بلدنا كان قد قالها قبل الرخاء الاقتصادي واليسار الذي نتمتع به الآن وهو قوله على طريق التمالح والتمازح: «الحمد لله على الفقر وقلة الدراهم».

وشيء آخر من قلة السيارات في شوارع المدن الصينية قد ينفع السكان الا وهو قلة تلوث الهواء بما تقذفه السيارات من دخان محترق.

وسرنا رويداً ونحن في السيارات في بعض الأسواق ذات الحوانيت الكبيرة والمتوسطة التي قال لنا مرافقونا: إنها كلها حكومية بمعنى أن الحوانيت والبضائع التي فيها كلها مملوكة للحكومة وليس فيها شيء يملكه الأفراد أو يملكون البضائع التي فيه.

وذلك أن الحكومة سمحت للأفراد بممارسة التجارة الصغيرة جداً وعلى نطاق محدود وذلك لا يكون في الحوانيت الكبيرة.

ويلفت النظر في هذه المدينة أن سيارات الأجرة (التاكسي) لا توجد فيها فليس هناك سيارة كتب عليها إنها (تاكسي) أو صبغت بما يدل على ذلك كالذي يكون في البلدان الأخرى، وإنما على من يحتاج إلى التنقل في المدن أن يمتطي دراجة أو يركب في حافلات النقل العام التي هي موجودة بشكل ظاهر بل متوفرة في الصين وهي مملوكة للحكومة مثل سائر الأشياء العامة.

ويلاحظ قلة الأطفال الصغار في شوارع المدن وربما كان هذا من آثار تحديد النسل في الصين وإنما يشاهد الأطفال مع أمهاتهم في أعداد قليلة وكثيراً ما شاهدتهم يحملون الطفل على الدراجات فقلت في نفسي: ربما كان الذين حددوا النسل بطفل واحد أو وحيد على حد تعبيرهم للأسرة الواحدة قد لاحظوا عدم إمتلاك أفراد الشعب للسيارات.

ومن الأسواق التجارية أو لنقل الاستهلاكية لأن أكثرها تبيع على الناس ولا تشترى منهم فهي أشبه ما تكون بمحلات توزيع البضائع منها بمحلات البيع والشراء. وصل الموكب إلى ميدان للاستعراضات عليه أبنية (عمارات) حكومية هامة.

ومن الملاحظ أن زفلتة الشوارع والميادين جيدة خلاف ما عليه الحال في مدينة (أورومسي) عاصمة مقاطعة سينكيانغ. بل إن الزفلتة في هذه المدينة تعتبر ممتازة بالنسبة إلى بقية الأشياء في مدن الصين.

والقول بأن المرافق العامة هنا من شوارع وميادين وأبنية احسن منها - على وجه العموم - في مدينة (أورومسي).

وعلى ذكر الشوارع أقول: إنني رأيت هنا ما رأيته في مدن الصين الأخرى من عاملات البلدية اللآتي يكنسن الشوارع وهن ملثمات اتقاء للغبار ومكانسهن من القش وبأيدٍ طويلة.

أما اللباس في هذه المدينة فإنه اللباس المعتاد في الصين وهو الذي يكاد يكون موحداً من حيث الشكل لا من حيث اللون وكان قبل ذلك موحداً بأمر من الحكومة إبان الثورة الثقافية، ولكنه الآن أصبح موحداً، أو هو قريب من أن يكون كذلك بسبب كون المصانع التي هي حكومية كلها وهي التي أنيط بها تأمين اللباس للشعب الصيني الذي يزيد عدده على ألف مليون إنسان هي تخرج الملابس بشكل يكاد يكون موحداً لأنه قصد منه أن يستر العورة ويقي من البرد من دون أن تقصد منه الزينة فضلاً عن الترف في الزينة.

وحتى تفصيل الملابس يكاد يكون موحداً وهو مؤلف في أغلبه من قميص يشبه السترة أو (الجاكيت) ولكنه أطول منها قليلاً تحته سروال واسع لا أثر للإغراء في تفصيله سواء أكان للرجال أو للنساء فهو متقارب بالنسبة إلى الجنسين.

ولا يرى المرء أصباغًا أو مساحيق أو أي شيء من الزينة في وجوه النساء ما عدا تصفيف الشعور بطريقة مبسطة تكاد تكون متماثلة في جميع النساء.

وقد كانت الأصباغ ممنوعة بأوامر حكومية ولكنها الآن لا توجد بسبب الفقر وضيق ذات اليد عند سائر النساء وإلا فإنه لامنع عليها من الحكومة.

ويذكر أن هناك أعداداً نادرة من النساء يستعملن الأصباغ ولكن ذلك لا يكاد يرى لقلته.

إلا أنني لاحظت هنا حمرة غير معتادة في خدود بعضهن فسألت عنها فأخبرني المرافقون أن ذلك سببه الأمراض التي يسببها جفاف الجو في البرد ولذلك يضطر كثير من الناس إلى دهن وجوههم وأيديهم بمادة دسمة أو مرطبة.

ثم تركنا وسط المدينة قاصدين ضفة النهر الجنوبية فسار الموكب مع شارع (الكورنيش) وهو شارع جيد فأوقفنا السيارات على ضفة النهر عند جسر والتقطنا صوراً تذكارية مع المرافقين على ضفة النهر من فوق ذلك الجسر.



صورة تذكارية لاعضاء الوفد على ضفة النهر الأصفر

وبدت لنا مياه النهر غير كثيرة بل هي منخفضة المستوى فأخبرونا أنها تزيد بعد ذلك من جهتين من جهة الثلوج التي تذوب في منابعه العليا عندما تقترب من فصل الدفء ومن الأمطار الصيفية الموسمية الغزيرة التي تسقط على الصين في فصل الصيف.



الضفة الجنوبية من لانجو على البحر الأصفر

وقد وجدت بعض المتنزهين على ضفة النهر في الشارع المرتفع في مجرى النهر وذلك على قلة وهم ليسوا بأهل فضول لذلك تجد بعضهم ينظر إلى اللباس العربي باهتمام ولكن في حدود المعقول من النظر. وبخاصة عندما تقدمنا الشرطيان الملازمان للموكب ونحن نسير على أقدامنا فأوقفا المرور من المشاة والدراجات والسيارات حتى نقطع الشارع فذلك أمر غير مألوف.

ثم تركنا ضفة النهر الجنوبية داخلين في ضواحي المدينة قاصدين الفندق.

فشاهدنا فيها بيوتاً شعبية طينية قديمة. وقد عدنا إلى الفندق في تمام السادسة.

**تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني بإذن الله.**

# المحتويات

الموضوع | رقم الصصفحة

الموضوع رقم الصصفحة

| الموضوع | رقم الصصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|